الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية
مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

مجلة

روافد

للبحوث والدراسات

دورية دولية علمية محكّمة
يصدرها مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية ـ الجزائر

المجلد الثالث – العدد الثاني

ربيع الثاني 1440هـ / ديسمبر 2018 م

P: ISSN: 2543-3563
E: ISSN: 2588-1787

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية

مجلة

روافد

للبحوث والدراسات

دورية دولية علمية محكّمة
يصدرها مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية ـ الجزائر

المجلد الثالث - العدد الثاني
ربيع الثاني 1440هـ / ديسمبر 2018 م

توجه جميع المراسلات باسم مدير المجلة:

مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية

على البريد الإلكتروني: rawafid.ug.47@gmail.com

صفحة الواب: http://rawafid.univ-ghardaia.dz/index

أو **العنوان البريدي** التالي:

ص ب 455 طريق المطار - النوميرات- بنورة ولاية غرداية 47000

جامعة غرداية -الجمهورية الجزائرية

ردمد (الورقي) : P: ISSN : 2543-3563

ردمد (الالكتروني) : E: ISSN : 2588-1787

تنبيه

ما ينشر في المجلة إنما يعبر عن رأي صاحب المقال

ولا يلزم أن يكون معبرا بالضرورة عن رأيها

مجلة روافد للبحوث والدراسات

مجلة دولية علمية محكمة نصف سنوية، تعنى بالدراسات الاجتماعية والإنسانية والحضارة الإسلامية.

تصدر عن مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة غرداية -الجزائر

تنشر البحوث والدراسات باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية.

مدير المجلة الشرفي : الأستاذ الدكتور : دادة موسى بلخير مدير جامعة غرداية

مدير المجلة : أ.د. بوسليم صالح ، مدير المخبر

رئيس هيئة التحرير: أ. د. أولاد سعيد أحمد

مساعد رئيس هيئة التحرير: أ.د. عمـــر مونه

أعضاء هيئة التحرير:

أ.د. بحاز إبراهيم

د.ة. بن صغير يمينة حضري

أ.د. كيحول بوزيد

أ. ملاخ عبد الجليل

د. جعفر عبد القادر

أ. بوعروة بكير

د. قرليفة حميد.

أمانة المجلة: محمد لمين سويلم

الهيئة العلمية الاستشارية

من الجزائر:

أ.د عبد الحميد حاجيات	جامعة تلمسان
أ.د السعيد فكرة	جامعة باتنة
أ.د محمد الأمين بلغيث	جامعة الجزائر01
أ.د بلقاسم رحماني	جامعة الجزائر02.
أ.د باجو مصطفى	جامعة غرداية
أ.د. خليفة حماش	جامعة الأمير - قسنطينة
أ.د. عبد القادر خليفة	جامعة ورقلة
أ.د. مونة عمر	جامعة غرداية
أ.د مبخوت بودواية	جامعة تلمسان
أ.د عبد العزيز خواجة	جامعة غرداية
أ.د دباغ محمد	جامعة أدرار
أ.د. العربي بن الشيخ	جامعة باتنة
أ.د محمد حوتيه	جامعة أدرار
أ.د بوسليم صالح	جامعة غرداية
أ.د حنيفي هلايلي	جامعة سيدي بلعباس
أ.د. عبد الفتاح أبي ميلود	جامعة ورقلة
د. لخضر بن قومار	جامعة غرداية
د. محمد حدبون	جامعة غرداية
د. مصطفى وينتن	جامعة غرداية
د. نورالدين بن عبد الله	جامعة الجلفة
د. الزين محمد	جامعة سيدي بلعباس
د. أرفيس باحمد	جامعة غرداية
د.ة. أولاد حيمودة جمعة	جامعة غرداية
د. مصيطفى محمد السعيد	جامعة غرداية
د.باعثمان عبد الرحمان	جامعة أدرار
د. مصطفى رباحي	جامعة غرداية
د. بقادير عبد الرحمان	جامعة غرداية

من خارج الجزائر :

أ.د. محمد عفيفي	جامعة القاهرة – مصر
أ.د. منصر عدنان	جامعة سوسة - تونس
أ.د. محمد أمين	جامعة سيدي محمد بن عبد الله - المغرب
أ.د. إبراهيم القادري بوتشيش	جامعة مولاي اسماعيل بمكناس - المغرب
أ.د ليلى مزيان	جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء - المغرب
أ.د فيل يب بوتري	جامعة السوربون باريس - فرنسا
أ.د التليلي العجيلي	جامعة منوبة - تونس
Dr.Wolfgong Kaiser	جامعة السوربون - فرنسا
د. محمد الأمين ولد أن	جامعة نواكشوط موريتانيا.

قواعد النشر بالمجلة

تقبل مجلة روافد نشر الدراسات والمقالات المتعمّقة وفقا للقواعد التالية:

أ-القواعد العامة:

- الالتزام بالقواعد العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية.
- يجب أن لا يزيد عدد صفحات البحث عن 25 صفحة وأن لا يقل عن 10 صفحات من مقاس:A4.
- الالتزام بالدقة العلمية والاستقصاء مع سلامة اللغة .
- كتابة العناوين الرئيسية بخط عريض.
- يجب أن يتضمّن المقال ملخصين يعبران عن محتوى المقال: الأول بلغة المقال والثاني مترجم إلى إحدى اللغتين (الإنجليزية أو الفرنسية).
- الالتزام بإرسال السيرة الذاتية المختصرة.
- يجب أن لا يكون البحث قد سبق نشره.
- تقديم طلب نشر مقال موقع، و تعهد بعدم نشره(يحمل من صفحة المجلة).
- تخضع كل البحوث والدراسات إلى التحكيم السري من قبل محكّمين مختصين.
- للمجلة الحق في طلب إدخال التعديلات المناسبة بناء على تقارير المحكمين.
- ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي صاحب المقال، ولا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.
- الدراسات والبحوث التي تصل إلى المجلة لا تردُّ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

ب- القواعد التقنية :

1- كتابة النص :

- يكتب نص المقال ببرنامج وورد(**Word**)، بخط : (Traditionnel Arabic) رقم 18 ، والهوامش برقم : 14. واللغة الأجنبية بخط : Times New Roman برقم : 14. والهوامش برقم : 12.
- تخصص الصفحة الأولى من المقال لكتابة المعلومات الأساسية (عنوان البحث ، اسم الباحث أو الباحثين ، الدرجة العلمية ، اسم المؤسسة التي يعمل بها)، إضافة إلى ملخص البحث مع ترجمته .
- إذا تضمن المقال جداول أو أشكالا فيجب أن توضع في مكانها المناسب مع ترقيمها .
- يرجى تجنب استخدام برامج أخرى في المقال كبرنامج :Excel. في الجداول وغيرها.

2- الهوامش:

- يجب أن تكون الإحالات آلية تهمش أسفل الصفحة.
- تسجل الإحالات عند أول ذكرها كما يلي : رقم الإحالة ، المؤلِّف ، عنوان الكتاب ، المحقّق ، دار النشر ، مكان النشر ، تاريخ النشر ، الجزء ، الصفحة .
- إذا كانت الإحالة إلى مقال منشور في دورية تسجل كما يلي :
رقم الإحالة، المؤلِف، عنوان المقال، اسم المجلة، البلد، العدد، السنة، الصفحة.
- في حال تكرار المصدر أو المرجع يكتفى بـ : المؤلِّف، مرجع سابق، الصفحة.

تنبيه : للمجلة أن تطلب من صاحب المقال إعادة الالتزام بالمواصفات الفنية المعتمدة.

محتويات العدد	
افتتاحية العدد أ.د. أحمد أولاد سعيد ، رئيس التحرير	01
- **تحقيق المخطوطات : بين النظريات والتطبيق** د. وانس صلاح الدين جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف	03
- **الحياة السياسية بمنطقة توات خلال العصر الوسيط** الباحث : بلحاج ميلود جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان	23
- **الرحلة العلمية الجزائرية : قراءة في المفهوم و الدوافع** د. الأحمر قادة / أ. عطلاوي عبد الرزاق / جامعة سيدي بلعباس	48
- **التجارب الوحدوية في الوطن العربي والدروس المستفادة منها – جامعة الدول العربية –** د. ميلود ميسوم / جامعة الشلف	61
- **مؤتمر طنجة المغاربي 1958م – مطامح ... ومطامع** د.جيلالي تكران / جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف	91
- **قراءة في كتابات المناضل أحمد علي مهساس بخصوص مؤتمر وادي الصومام** أ: بكار الدهمة/ جامعة غرداية – أ.د: صالح بوسَليم/ جامعة غرداية	111
- **الدراسات التاريخية والحضارية في فكر محمد فتحي عثمان – قراءة نقدية في كتابه المدخل إلى التاريخ الإسلامي–** الباحث. نبيل ربيع / طالب دكتوراه / جامعة باتنة 1 / باتنة	142
- **البيئة في ظل تنمية مستدامة في الجنوب الجزائري** أة.نسيبة فريجات / أة . ليلى سليماني جامعة غرداية	148
- **المعايير المساعدة في عملية إدماج مخرجات المنظومة التكوينية في الحياة العملية** سويداني عبدالرحمن / أستاذ مؤقت بجامعة غرداية– الجزائر	177
- **دور الاتصال الشخصي الأسري في عملية التنشئة الاجتماعية** د. عبد الرحمان بابا واعمر / جامعة غرداية – غرداية	204

افتتاحية العدد

بفضل الله و توفيقه يصدر العدد الخامس من مجلة روافد متضمنا حلة من الأبحاث والدراسات في مجال العلوم الاجتماعية و الانسانية.

و لا شك أن هذه المقالات التي تحفل بها "روافد" في سنتها الرابعة تسهم في بناء العلوم الاجتماعية و الانسانية المترامي الأطراف، و هي ترنو إلى ولوج الأرضية الجزائرية الموحدة للمجلات العلمية المحكمة.

و في هذا الصدد تجدد إدارة مجلة روافد ترحيبها بمشاركات الأساتذة الباحثين من داخل الجزائر و من خارجها، و الله ولي التوفيق.

أ.د. أحمد أولاد سعيد

رئيس التحرير

مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد الخامس (ديسمبر 2018 م)
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

تحقيق المخطوطات
بين النظريات والتطبيق

الدكتور: وانس صلاح الدين
جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف.
Email : salahd81@gmail.com

ملخص

يُعد علم تحقيق المخطوطات من الموضوعات الهامة التي شغلت بال واهتمام الباحثين العرب، خاصة بعد أن قلّدوا المستشرقين أصحاب قصب السبق في طرق بابه، فتسابق الباحثون العرب والجادين منهم إلى وضع مناهج وقواعد شتى؛ فرادى وجماعات، من أجل خدمة هذا التراث الذي ينبض بالمعرفة والعلم. غير أن الكثير من التراث المحقّق، ينم على بعض الأخطاء المنهجية؛ بسبب محاولات بعض الباحثين العرب ابتكار منهج جديد وقع أصحابه في أخطاء منها: بعد هذا المنهج الجديد عن المنهج العلمي، وتعصب العرب الناقدين للمنهج الغربي، وعدم اطلاعهم على المناهج السابقة وتركيزهم على النص دون المحقق. حاولت أن أتلمس جوانب هذا الموضوع، معالجا إيّاه مبيّنا ثمرة هذه الجهود، مقترحا بعض الشروط الهامة التي ينبغي أن تتوفر في المحقّق.

الكلمات المفتاحية: المخطوطات؛ التحقيق؛ النظريات؛ المنهج.

Abstract

The study of the manuscripts is one of the important topics that attracted Arab researchers, especially after they imitated orientalists who were the first to take the lead towards it its doors. Serious Arab researchers, individuals and in groups, were eager to develop different curricula and rules for the service of this heritage, which is full of knowledge and sciences. However, many of the studied heritages contain some methodological errors because some Arab researchers have tried to invent a new approach that their authors have been

wrong in some errors such as: the far of this new approach from the scientific method, the Arabs' intolerance to the Western curriculum, and their ignorance of the previous curricula and their focus on the text without the investigator. I tried to grasp the aspects of this subject, addressing it, showing the fruit of these efforts, suggesting some important conditions that should the investigator have.

Key words: Manuscripts, investigation, theories, curriculum.

تقديم:

يعتبر تحقيق التراث أمر من الأهمية بمكان، لأنه يصل حاضر الأمة بماضيها، ويُساهم مساهمة فعالة في بعث كنوزها الدفينة من العلوم والآداب والفنون. فيستفيد الأحفاد مما خلفه لهم الآباء والأجداد، من ذخائر فكرية متنوعة، يتخذونها منطلقا لهم في متابعة المد الحضاري والثقافي والمساهمة فيه مساهمة فعالة، حيث بات معلوما أنه لا تجديد في مجال من مجالات العلم والفكر والثقافة، إلا باعتماد قاعدة من المعارف والأفكار تكون الأسس التي لا بد منها في عملية الإبداع العلمي الفكري، لأن أية محاولة للتجديد من دون اعتماد تلك المعارف والأسس، لا تعدو أن تكون توهما، أو ضربا من ضروب الخيال.

فالإحساس بقيمة هذا التراث العلمي والفكري، هو إحساس طبيعي بالماضي وحاجة الحاضر إليه، فالماضي والحاضر كلاهما يستحوذ على أعماق شعورنا، والعمل على استثماره على الأسس العلمية التي يجني منها الواقع أزكى الثمار وأشهاها، هو بعينه الرؤية العلمية الصحيحة للتجديد.

لذلك كان علم تحقيق المخطوطات من الموضوعات الهامة التي شغلت بال واهتمام الباحثين العرب خاصة بعد أن قلدوا المستشرقين أصحاب قصب السبق في طرق باب هذا المجال، فتسابق الباحثون العرب والجادين منهم إلى وضع مناهج وقواعد شتى فرادى وجماعات من أجل خدمة هذا التراث الذي ينبض بالمعرفة والعلم.

غير أن الكثير من التراث المحقق؛ ينم على بعض الأخطاء المنهجية بسبب محاولات بعض الباحثين العرب ابتكار منهج جديد وقع أصحابه في أخطاء منها بعد هذا المنهج الجديد عن المنهج العلمي وتعصب العرب الناقدين للمنهج الغربي وعدم اطلاعهم على المناهج السابقة وتركيزهم على النص دون المحقق.

وهو ما يدفعنا إلى طرح الإشكال التالي: **"هل تستطيع هذه النظريات أن تصمد أمام واقع التحقيق وتستطيع أن تلبي حاجات المحقق"؟،** أم أنها عبارة عن مثل وتعاليم بعيدة المنال مستحيلة التطبيق، وإلى أي مدى تطابقت هذه المناهج المطروحة والنظريات والقواعد المتبعة في التحقيق عند العرب وقدرة الباحث على تطبيقها ميدانيا مع التراث العربي المحقق، وهل يمكن أن نجد لها أثرا، وما الذي يؤرق المحقق تحرير النص وتحريره من النسيان؟ أم الإخراج الفني؟

حاولت أن أتلمس جوانب هذا الموضوع، معالجا إيّاه مبينا ثمرة هذه الجهود، مقترحا بعض الشروط الهامة التي ينبغي أن تتوفر في المحقق.

وقد قسّمت البحث إلى مقدمة، وثلاث مباحث، وخاتمة تضمّنت أهم النتائج المتوصل لها مع تقديم مقترحات للمنهج العلمي في التحقيق رأيتها ضرورية ومهمة، من أجل السعي قدما نحو منهج علمي رائد ورصين.

وجاء المبحث الأول كمدخل تمهيدي تحدثت فيه عن ماهية علم التحقيق وأهمية المخطوط عند العرب، وقسّمت هذا المبحث إلى مطلبين الأول تعريفي بعلم التحقيق والثاني الأهمية العلمية والثقافية والاجتماعية للمخطوطات على الفرد والمجتمع.

أما المبحث الثاني، فعنونته بجهود المحققين الغرب ومناهج المحققين العرب : فكان المطلب الأول عن جهود المحققين المستشرقين و بما عليها من ملاحظات فقد كانت شرارة البداية والانطلاقة الحقيقية لفتت انتباه العرب لقيمة تراثهم القديم، بينما المطلب الثاني خصصته: مميزات وخصائص مناهج التحقيق عند العرب، وحاولت أن أسوق نوعين من المناهج الفردية والجماعية المؤسساتية وقسمتها إلى قسمين مناهج مستقلة قطعت كل صلة بمناهج الغرب المستشرقين بل أعابت عليها ولم تقلد

التجارب السابقة العربية التي طبقت على الأحاديث مثلا محاولة ابتكار منهج فريد، أما القسم الثاني فهي مناهج لم تنطلق من فراغ بل حاكت الغرب واستفادت بها عندهم من دقة وأسلوب علمي رصين، ومنهج تحقيق النصوص الاسلامية(الحديث وطرق تخريجه) فصاغت منهجا جديدا مزيجا مابين الثقافتين والحضارتين.

أما المبحث الثالث؛ فقد خصّصته إلى بعض الملاحظات على جهود الغرب من المستشرقين وبعض المؤخذات والتصويبات على مناهج العرب لتقويم بعض الأخطاء والانتباه لبعض الهفوات في الأبحاث القادمة، مع سياقة بعض الأمثلة تزيد من وضوح الفكرة وسداد الرأي وتقويم المنهج.

المبحث الأول: ماهية علم التحقيق وأهمية المخطوط عند العرب،

المطلب الأول: ماهية علم التحقيق.

أولا: تعريف التحقيق لغة واصطلاحا.

1-**لغة:** اثبات المسألة بالدليل[1].

ومحقق: أي محكم، يقال: "كلام محقق" أي محكم منظم.

والحق: الثابت الصحيح، وهو ضد الباطل[2].

وقال أبو البقاء: التحقيق: تفعيل من حق بمعنى ثبت.

وقال بعضهم: التحقيق لغة: رفع الشيئ إلى حقيقته بحيث لا يشوبه شبهة، وهو المبالغة في إثبات حقيقة الشيئ والوقوف عليه.

والتحقيق: مأخوذ من الحقيقة وهو كون المفهوم حقيقة[1].

1 – التهانوي، **كشّاف اصطلاحات الفنون**، تحقيق لطفي عبد البديع، مصر–القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر(1382هـ/1963م)،.

2 – **معجم الفاظ القرآن**. مجمع اللغة العربية، ج1، القاهرة، سنة 1970م، ص288.

ثم يقول: والتدقيق: إثبات دليل المسألة على وجه فيه دقة[2].وفي لسان العرب التحقيق: حققت الأمر: كنت على يقين منه[3].

وهو التصديق واثبات الحقّ واحكام الشيئ وصحته، وقد استعملت كلمة التحرير للدلالة عليه في السابق، فقالوا تحرير الكتاب خلوصه وتقويمه، وحقّ الأمر: صار حقا وثبت وأحققت الأمر احقاقا، وأحققت الأمر احقاقا: أحكمته وصححنه[4]، وحققت العقدة أحقّها: إذا أحكمت شدها[5]

2-اصطلاحا: بذل الجهد واستقصاء البحث، بغية الوصول إلى حقيقة ما قاله مؤلف النص.

وهذا هو الذي كان يقصدها عبد السلام هارون: بذل عناية خاصة بالمخطوطات حنى يمكن التثبت من استفائها لشرائط معينة[6].

أو هو: عملية مركبة تقتضي إخراج نص مضبوط يكون على الصورة التي قاله عليها صاحبه[7]، أو أقرب ما يكون إلى ذلك على الأقل.

---

1 – ابو البقاء: **كليات أبي البقاء**، طبعة بولاق 1235هـ، ص122.(نقلا عن: عبد المجيد دياب: **تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره**، دار المعارف، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مركز تحقيق التراث، الطبعة الثانية، سنة 1993م، القاهرة– منيل الروضة ، ص 134).

2 – أبو البقاء: المصدر نفسه

3 – ابن منظور: **لسان العرب**، ج11، الطبعة الثانية، لبنان: بيروت، دار صادر (1414هـ/1994م)، ص333.

4 – ابن منظور: **لسان العرب**، ج11، ص333، صحاح الجوهري: **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلوم للملايين، بيروت –لبنان، 1407هـ/1987م، الفيروز آبادى: **القاموس المحيط**، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة :الثامنة، 1426 هـ /2005 م، حرر وحقق،

5 – أساس البلاغة، ج1، ص189.

6 – عبد السلام هارون: **تحقيق النصوص ونشرها**، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1418هـ/1998م، ص42.

77 – فهمي سعد وطلال مجذوب: **تحقيق المخطوطات بين النظريات والتطبيق، مع تحقيق ودراسة الرسالة الأولى دلف الخزرجي**، الطبعة الأولى، 1413هـ/1993م، ص5.

أما علم المخطوط، فهو العلم الخاص بالدراسة الفيلولوجية والكوديكولوجية للكتب غير المطبوعة[1].

والمراد بالدراسة الفيلولوجية: هي دراسة متون المخطوطات وما فيها من مادة علمية (تحقيق النصوص).

والمراد بالدراسة الكوديكولوجية: هي دراسة الشكل المادي للمخطوطات (الحبر، الجلد، الورق).

المطلب الثاني: أهمية المخطوطات العلمية والثقافية والاجتماعية.

إن المخطوطات أهم وأفضل موروث، ففيها دونت علوم الأمم وتاريخها وحضارتها ولغتها، وفيها دوّن الوحي وتفسيره (أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وشروحها)، وفقه الأمة وعلم الأئمة، وأمة بغير تاريخ ليست أمة، والمخطوطات صورة حية لنتاج الفكر الإنساني في مجالات العلم والمعرفة، بشتى فنونها وفروعها، ضمت مصنفات الفقهاء ودواوين الشعراء، وتجارب العلماء واستنتاجاتهم، وفيها تكمن روح الحياة الثقافية والمعرفية التي عاشها أولئك الصفوة من المؤلفين طوال القرون الماضية، فالمخطوطات شكّلت جسر التواصل بين الأجيال وحلقة الربط بين الحاضر والماضي ومرآة المستقبل، بل عنوان لوفاء الخلف لأسلافهم في دينهم ولغتهم وتاريخهم وعلومهم وحضارتهم وعاداتهم وتقاليدهم. وقد حوت المخطوطات الكثير من العلوم، فهي غنية بمضامينها الفكرية والفنية والعلمية ، وهي خير شاهد على عظمة أسلافهم في أخذ العلم وتمثله بأوجهه المتنوعة، ولأنها تمثل عصارة فكر الإنسان العربي والمسلم في المشرق والمغرب وفي أنحاء عدة من العالم، وبالجملة فهي[2]:

1 – إبراهيم بن حسن بن سليمان البلوشي: **علاقة اللغة العربية بتحقيق المخطوطات**، وهي ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر الدولي للغة العربية–العربية لغة عالمية: ومسؤولية الفرد والمجتمع والدولة، بدون تاريخ، ص6.

2 – شوقي براركة: **التراث المخطوط بالصحراء الكبرى حفظه ومراكزه واتاحته للباحثين**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد15، (2011) ص59، 60.

– تعكس جانبا تاريخيا من حياة أمتنا العربية والإسلامية، إذ تمكننا من الوقوع على الكثير من الأحداث والوقائع والحقائق التي طواها النسيان، وجهلت حيثياتها ومعالمها.

– تعرفنا على أعلام المنطقة وجهودهم الفكرية والإصلاحية عبر العصور وتضع بين أيدينا الحقائق الواضحة

– تقدم لنا صورا متنوعة لمجتمعاتنا في النواحي الدينية والخلقية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والفكرية وغيرها من النواحي الكثيرة.

– تسجل لعلاقات التي كانت تربط الشمال بالجنوب وحركة انتقال الإسلام واللغة العربية إلى إفريقية السوداء.

– ولا تخفي القيمة الحضارية والفكرية التي تحملها هذه المخطوطات لأنها تحمل علم الأولين وتعرفنا إياه ومدى التطور الحاصل في مجالاته المتنوعة عبر السنين.

لذلك كان لزاما علينا العناية به والحرص على أن ترى الكثير من المخطوطات النور واخراجها من غربتها، ذلك لأن أغلبها يتهددها الكثير من الأخطار كالحرق أو الغرق أو نالت منها السنون أو غيرتها الظروف الطبيعية، أو قد تتعرض للسلب أو النهب لقلة الوعي بأهميتها، مثل مكتبة بغداد التي قضى عليها التتار، ومكتبة نور الدين السالمي في الرستاق التي أحرقت.

وقد أدرك الغرب هذه الأهمية القصوى لهذا التراث النفيس فسبقنا إلى تحقيق تراثنا، بل وقد خصّصت بعض الدول الغربية كراسي الأستاذية في الجامعات لدراسة التراث العربي الإسلامي وأثره على الحضارة العالمية.

المبحث الثاني: جهود المحققين الغرب ومناهج المحققين العرب.

المطلب الأول: جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي:

كان للمستشرقين فضل السبق في هذا الميدان، حيث سبقوا العرب في تحقيق تراثهم العربي ونشره منذ أكثر من مائة عام متبعين في ذلك نهجا علميا دقيقا استقوه

من القواعد والأسس التي وضعها علماء الغرب القدامى عند نشرهم لنصوص للآداب قديمة يونانية واغريقية منذ القرن الخامس عشر الميلادي، فقد استفادوا مما كتبه سلفهم من قواعد انشر الآداب اليونانية واللاتينية وآداب القرون الوسطى[1]، ثم استعمل هؤلاء تلك القواعد في نقد الكتب العربية الشرقية، غير أنهم لم يؤلفوا في ذلك تأليفا خاصا، حتى كان الدكتور برجستواسر أول من ألف في ذلك مع تطبيق ذلك على التراث العربي، آخذ بالحسبان طبيعة المخطوطات العربية، من حيث اختلاف النسخ وأفضليتها ونحو ذلك[2].

ورغم الصعوبات التي واجهتهم في فهم النصوص أهمها ضعفهم باللغة العربية وعدم إلمامهم بالتاريخ العربي، غير أن هذه العوائق لم تمنعهم من مواصلة جهودهم لتحقيق هدفهم الأساسي، وهو اخراج هذا التراث من الظلمات إلى النور.ومن بين هؤلاء المستشرقين نذكر[3]:

1- وليم رايت(الانجليزي) الذي نشر كتاب "الكامل" للمبرد بشكل متقن مزود بالفهارس الدقيقة المستقصية، طبع في ليبزج سنة1864م.

2- جوستاف يان (الألماني) الذي نشر شرح المفصل لابن يعيش في ليبزج سنة 1882م.

3- هارتفيج ديرنيورج (الفرنسي) الذي نشر كتاب سيبويه في باريس في مجلدين ظهر أولهما سنة 1881م والثاني 1889م.

4- قستنفلد (الألماني) الذي نشر سيرة ابن هشام في ليبزج سنة 1899م.

1 – صلاح الدين المنجد: **قواعد تحقيق المخطوطات**، الطبعة السابعة، بيروت، 1987م، ص7.

2 – إياد خالد الطباع: **منهج تحقيق المخطوطات ومعه كتاب شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشية النبطي**، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1423هـ/2003م، ص14.

3 – رمضان عبد التواب: **مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين**، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى1406هـ/1985م، ص57.

بل لم يكن للعرب أن يلتفتوا لهذا التراث لولا جهود المستشرقين، ولم يقتصر الأمر على الأفراد بل تبنى الموضوع مؤسسات مستقلة بذاتها لنشر النصوص العربية القديمة وتحقيقها ومن بين هذه الجميات نذكر على سبيل المثال لا الحصر[1]:

جمعية المستشرقين الألمانDMG في نشرياتها الإسلامية Bibiotheca Islamica، وكان يشرف عليها المستشرق ه- ريتر. وجمعية غيوم بوده Association Guillaume Budè في فرنسا

المطلب الثاني: مميزات وخصائص مناهج التحقيق عند العرب:

عرف التحقيق العربي للمخطوط نوعين من المناهج:

مناهج فردية اخترعها علماء أفاضل منهم من أصاب ومنهم من جانب الصواب، ومناهج جماعية مؤسساتية يمكن أن تضم بعض من أولئك الذين اجتهدوا وابتكروا واخترعوا.

أولا: المناهج الفردية:

انقسم المحققون العرب في وضع مناهج لتحقيق التراث العربي إلى قسمين:

1-الرافض لتقليد المستشرقين جملة وتفصيلا: يذهب فريق كبير من الباحثين في هذا الفن إلى أنّ علم تحقيق المخطوط هو منهج عربي أصيل، وأن العرب هم الرواد لهذا الفن في طرق بابه ووضع قواعده ومناهجه، وهو ما يضحض زعم بعض الباحثين من العرب في أن فن تحقيق النصوص فن حديث، ابتدعه المعاصرون من المحقيقين العرب أو استقوه من المستشرقين الذين سبقونا في العصر الحاضر بعض الوقت في تحقيق شيئ من تراثنا ونشره بين الناس[2]، وهو منهج رافض لتقليد المستشرقين جملة وتفصيلا، فقد أكد رمضان عبد التواب بعد أن أدحض مزاعم بعض

1 - صلاح الدين المنجد: **قواعد تحقيق المخطوطات**، الطبعة السابعة، بيروت، دار الكتاب الجديد 1987م.، ص8.

2 - رمضان عبد التواب: **مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين**، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1406هـ/1985م، ص1.

الباحثين في أسبقية المستشرقين العرب في هذا الفن، حيث يقول: أن العرب سبقوا علماء أوروبا إلى الاهتداء للقواعد التي يقابلون بها النصوص المختلفة، لتحقيق الرواية والوصول بتلك النصوص إلى الدرجة القصوى من الصحة[1]، ويسوق في ذلك بعض النماذج العربية الرائدة فيذكر: علي بن محمد بن عبيد الله اليونيني(ت.701ه) في تحقيق روايات صحيح البخاري للإمام البخاري(ت.256ه) صاحب الصحيح، فقد تمكن من اخراجه على الصورة التي بين أيدينا، وهو على حدّ قوله مفخرة لعلمائنا القدامى في التحقيق والضبط، وتحري الصواب[2]، وقد شرح اليونيني في بحث له منهجه في العمل ومختصراته ورموزه[3]، واضعا بذلك أصول منهجه العربي الأصيل، وقد تأثر به بعض العرب بهذا المنهج محاولين وضع مناهج جديدة رافضين للمنهج الغربي متعصبين لمناهج العرب بل حاول بعضهم أن يبتدع طرق وأساليب جديدة محاولا ستر نقصه بالطعن فيما جاء به الغرب ونشره مبينا ضعفهم في اللغة وعدم إلمامهم بالتاريخ، ومن أبرز الرافضين لنهج المستشرقين عبد السلام هارون، وعندما وجه له هذا النقد حز في نفسه اتهام اخوانه المشرقيين له رغم أن بعض المستشرقين كتبوا له مهنئين إياه بهذه الخطوة الجريئة في مجال لم يسبق وأن ألف فيه أحد فما بالك أن ترسم له طريقا جديدا وتضع له أسسا تكون الأولى من نوعها حيث يقول: "إذ أمكنني بعون الله وحده أن أضع علما متكاملا لم أسبق إليه"[4]، ليس هذا فحسب بل إنه يشك في الثقافة الغربية الوافدة إلينا والتي لا تخلو من السموم على حد قوله، مجنبا نفسه بل عاصما إياها من " التطفل على مائدة كثيرا ما وضع فيها للعرب صحاف مسمومة"[5] كيف لا وموائد العرب حافلة بالجهود الوثيقة، والأمانة العلمية المرموقة[6].

1 – رمضان عبد التواب: مرجع سابق، ص13.
2 – رمضان عبد التواب: المرجع السابق، ص13.
3 – رمضان عبد التواب: المرجع نفسه، ص14.
4 – عبد السلام هارون: **تحقيق النصوص ونشرها**، مقدمة الطبعة الثانية ص8
5 – المرجع نفسه ص8
6 –المرجع نفسه ص8

ويبرر أن هذا النهج استقاه من جهود مجتمعة عساه، يتخلص من أسر زعماء الاستعمار الثقافي على حد قوله، نجملها فيما يلي:

- تجارب العرب الأمناء؛

- تجاربه الخاصة التي حاول من خلالها ترسم وتتبع خطى العرب الطاهرة زهاء أربعين عاما؛

- مشاهداته وحضوره العلمي؛

- نهج السلف القدامى.

فجاءت آثارهم المحققة يعتريها الكثير من النقص، ويكتنفها الكثير من العوار ناهيك عن التناقض، وفي بعضها تكون بعيدة كل البعد عن المنهج العلمي، وربما وقع بعضهم في الخلط بين قواعد التحقيق والعلوم المساعدة على التحقيق.

2 - **المستفيد من المناهج الغربية والمناهج السابقة العربية:** حيث استطاعوا بعد الاطلاع على نهج المستشرقين والافادة من المناهج السابقة بناء قاعدة منهجية صحيحة ووضع قواعد جديدة مبتكرة من هؤلاء الجادين الباحث المحقّق صلاح الدين المنجد، الذي يشيد بمناهج المستشرقين واستعان بقواعد المحدثين في ضبط الروايات فيقول: "وقد استقيناها من نهج المستشرقين الألمان ومن خطة جمعية غيوم بوده ومن قواعد المحدثين القدامى في ضبط الروايات ومما نشر في هذا الموضوع من قبل"[1] ، فهو يضع طريقا جديدا لمنهج علمي رائد في التحقيق مزيج بين تجربتين فذتين:

غربية علمية تتمتع بالدقة والأمانة في ضبط النص واخراجه في أحسن صوره. وعربية تهتم بضبط الروايات في سندها ومتنها. فهي طريقة مبتكرة جديدة تدعم بها علم التحقيق.

1 - صلاح الدين المنجد: **قواعد تحقيق المخطوطات**، ص8.

وسنعرض للقواعد التي وضعها الدكتور صلاح الدين المنجد التي انبثقت من تلاقح ومزج هذين التجربتين وكذا من تجربته الطويلة مع التحقيق ليصيغ لنا منهجا جديد أخرجها في كتاب "قواعد تحقيق المخطوطات"[1].

ويمكن أن نقسم القواعد التي وضعها الدكتور صلاح الدين المنجد، بعد الاستقراء والتأمل إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

أ- ما يتعلق بالجانب التقني في المخطوط (جمع النسخ وترتيبها وتقسيمها إلى فئات .....)

ب- لب الدراسة وجوهرها (يتعلق بالنص شكلا ومضمونا)

ت- ما يتعلق بالجانب الفني الجمالي (التنقيط التشكل الأقواس.... وكل ما يزيد في وضوح النص وجلائه واخراجه في أحسن صوره).

وقد جاءت قواعده في المستوى ولاقت قبولا عند العلماء في المؤتمر الذي تم عقده في المجامع العلمية بدمشق سنة1956م، وحضره علماء من بلدان مختلفة كالقاهرة ودمشق وبغداد وبعد دراسة لجنة التراث العربي في المؤتمر والمؤلفة من "خليل مردم بك رئس المجمع العلمي العربي يومذاك، والدكتور مصطفى جواد، والأمير جعفر الحسيني؛ وقد انتقلوا إلى رحمة الله، والأستاذ: محمد بهجة الأثري، والأستاذ خير الدين الزركلي، وصلاح الدين المنجد"[2] وبعد دراستها رأت اللجنة الموافقة عليه، وترجمت إلى ستة لغات وهي "الفرنسية ثم الإسبانية، ثم الايطالية ثم الفارسية ثم التركية ثم الانجليزية"[3].

ثانيا: المناهج الجماعية المؤسساتية.

1 - صلاح الدين المنجد: المرجع نفسه، ص3.
2 - صلاح الدين المنجد: **قواعد تحقيق المخطوطات**، ص3.
3 - صلاح الدين المنجد: المرجع نفسه، ص3.

هي جهود بعض العلماء تكاتفت وتوحدت في البدايات الأولى عندما بدأ العرب ينتبهون لتراثهم ويفيقون من ثباتهم في سعي منهم لمحاكاة أساتذتهم الغربيين من المستشرقين، فكانت أول مبادرة جماعية مؤسساتية من قبل المجمع العلمي بدمشق، حيث نال شرف وضع أول منهج لتحقيق كتاب وكانت أول باكورة "نشر كتاب تاريخ مدينة دمشق"[1] فكانت اضافة ايجابية.

حيث قام مجموعة من العلماء بوضع قواعد عامة موجزة، سنحاول أن نورد المعالم الكبرى لها، وهي تعتبر الأولى من نوعها في وضع منهج جماعي:

- كان الهدف تقديم نص صحيح؛
- الايجاز في التعليق كي لا يثقل النص بتعليقات طوال؛
- ضبط الأعلام؛
- تفسير الألفاظ الغامضة؛
- صرف النظر عن تخريج الأحاديث؛
- يسمح بوضوح النقطة والنقطتين والفاصلة واشارات الاستفهام والتعجب لتوضيح النص؛
- اثبات الآيات القرآنية بين قوسين؛
- ترقيم سطور النص.

المبحث الثالث: مؤاخذات على جهود الغرب المستشرقين ومناهج العرب.

المطلب الأول: على جهود المستشرقين:

1- الأخطاء النحوية والإملائية:

1 – صلاح الدين المنجد: المرجع نفسه، ص9.

من خلال ما سبق، وبعد اطلاعنا على بعض الأعمال الغربية المحقّقة، نجد الكثير من النصوص المحققة من قبل المستشرقين لا تخلو إن لم نقل مليئة بالأخطاء النحوية والإملائية وذلك راجع لضعفهم باللغة العربية-وان كان هذا الحكم لا يمكن تعميمه- من ذلك ما أوردته صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد في قسم نقد وعرض الكتب: وفي مقالة تحت عنوان: لسان الدين بن الخطيب أعمال الأعلام: تحقيق الأستاذ ليفي بروفنسال، حيث حاول صاحب المقالة تقديم تصويبات على الطبعة الجديدة التي أخرجها المحقق ولكن للأسف كانت بعد وفاته، كان يا حبذا لو أهديت إليه وهو حي حتى يطعم بها بحثه، فكانت التصويبات في المستوى، خاصة في المجال اللغوي النحوي والشكل فيما له علاقة بالتنقيط نورد منها على سبيل المثال لا الحصر[1]:

- في الصفحة128 الخطأ: "مما يرجى القول فيها إلى الجزء الثالث"، والصواب "يرجأ" يؤخر ويؤجل.

- في الصفحة153 الخطأ "والجد يساعده بكسر الجيم، والصواب الجدّ أي الحظ بفتح الجيم.

- الصفحة160 الخطأ" وقيّض-بالباء-لبن عمار من ابن رشيق جزاء عامل بسوء عمله" والصواب بالياء "وقيض" أي تهيأ.

2- المغالطات التاريخية والخلط في الأحداث:

وذلك لعدم إلمامهم بتاريخ الحقبة المحققة، فأدى إلى الخلط بين الشخصيات والمغالطات التاريخية منها على سبيل المثال لا الحصر:

1 - أنظر مجلة: صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد: مجلة علمية تصدر عن وزارة التربية والتعليم والإدارة العامة للثقافة-في جمهورية مصر العربية-تصدر عددين في العام-عن المعهد المصري للدراسات بمدريد، ماتياس مونتيرو، رقم 14 مدريد اسبانيا، العدد الرابع، مطبعة المعهد المصري في مدريد1956م، ص200.

في نفس الكتاب الصفحة11 ، حيث يتحدث ابن الخطيب عن عقد عبد الرحمان الداخل الخلافة لابنه هشام وسليمان، وكانا عند وفاته غائبين فقد كان هشام بمارده وسليمان بطليطلة، فيقول-تحقيق ليفي-: "وكان أخاهما الثالث عبد الملك المعروف بالبلنسي يدفع الأمر لمن يسبق منهما...الخ" والصواب أن "عبد الملك المذكور إنما هو تحريف لعبد الله" فهو الذي عرف بالبلنسي، ولم يعرف لعبد الرحمان الداخل ابن يسمى عبد الملك على الاطلاق، واستنادا في هذا إلى أكبر حجة في الأنساب العربية بالأندلس ابن حزم الأندلسي صاحب المذهب الظاهري الذي أورد في كتابه جمهرة أنساب العرب تعدادا لأبناء عبد الرحمان الداخل فلم يذكر من بينهم عبد الملك بل تحدث عن عبد الله فقال: "وعبد الله المعروف بالبلنسي لتملكه على بلنسية وتدمير وطرطوشة وبرجلونة ووشنة"[1] .

هذا وقد اعتمد تلك الواقعة الأستاذ ليفي بروفنسال نفسه في تاريخه لإسبانيا الإسلامية 140/1 واعتمد في ذكرها رأي جمهور المؤرخين القدماء من أن الأخ الثالث كان عبد الله لا عبد الملك[2].

المطلب الثاني: على المناهج العربية.

لقد رأينا من خلال عرضنا لبعض النماذج العربية، أن هناك قسمين من المحققين

أولا: من لم يستفد من تجارب الغرب وأفاد مناهج السابقين فقط دون غيرها: فقد وقع في أخطاء كثيرة منها:

- الخلط بين التحقيق والدراسة ومن بين الأمثلة التي وقعت في الخلط الأستاذ: عبد السلام هارون الذي لم يفد من مناهج المستشرقين حيث أنه" لم يميز

1 - ابن حزم الأندلسي: **جهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر،1962م. ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ/1374م)، ص 86.

2 - أنظر مجلة: صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد.ص197.

قواعد تحقيق المخطوط من العلوم المساعدة على التحقيق فجاء بحثه خليطا من كل شيء لا منهج فيه ولا تنسيق"[1]

- فقدان الدقة العلمية والموضوعية
- المغالطات التاريخية.
- التركيز على النص مع إهمال صاحبه
- غياب الأمانة العلمية من خلال التدخل في النص بالزيادة أو النقصان أو ملء الفراغات والاجتهادات.

ثانيا: ممن أفاد من مناهج المستشرقين والمناهج السابقة:

ما يمكن أن نسجله على الدكتور صلاح الدين المنجد ومن حذا حذوه، لو وقفنا عند أول نقطة من القواعد التي وضعها يقول فيها: "عندما نريد تحقيق مخطوط قديم علينا أول الأمر أن نسعى إلى معرفة نسخه العديدة التي توجد مبعثرة في مكتبات العالم ما استطعنا إلى ذلك سبيلا"، هذا الشرط فيه نوعا من المثالية إن صح التعبير، وإذا سلمنا جدلا واستطاع المحقّق أن يجوب العالم، ويتحصل على نسخه جميعها، فإن بعض الجهات المعنية تحتكر مثل هذه المخطوطات.

لذلك يُعد هذا الشرط في تقدير الباحث تعجيزي ومنفّر، ويجعل عملية التحقيق عملية عزيزة المطلب ومهمة شاقة وغير مرغوب فيها، وتستهلك وقتا كبيرا في البحث عن النسخة الأخرى.

لقد شفع لهذا الشرط قيد ما "استطعنا إلى ذلك سبيلا"[2]، فجعل المهمة تنزل من الوجوب والمشقة إلى الندب والسعة.

- **خاتمة:**

1 – صلاح الدين المنجد: **قواعد تحقيق المخطوطات**، ص4.
2 – صلاح الدين المنجد: **قواعد تحقيق المخطوطات**، ص12.

وفذلكة القول، فإن معظم المناهج الغربية والعربية ركّزت على جانب وأهملت جوانب عدّة، ويعتري بعضها النقص، ناهيك عن بُعد الهوة بين النظريات والمناهج المبتكرة والموضوعة (ما يجب أن يكون) وتطبيق هذه النظريات في الميدان (الواقع الفعلي)، فبعض المخطوطات لا يمكن أن تجد له أكثر من نسخة فما مصيره؟ مجرد سؤال يحتاج إلى جواب.

كما نجد أن بعض ملاّك خزائن المخطوطات يتعاملون مع المخطوط كأنه ملك شخصي وسر لا يجب الاطلاع عليه رَحِمَهَاٱللَّهُأسرار العائلة رَحِمَهَاٱللَّهُ وإرث يجب صرف النظر عنه فتحرم الأجيال من علم نافع وكنز ضائع فهو عائق يقف أمام المحقق ويحول بينه وبين المخطوط.

كما أن أغلب المناهج والنظريات ركّزت في مجملها على النص وعنيت به من الناحيتين، الشكلية "الورق، الحبر، الجانب الفني والتقني. " والمضمون "التحقيق العلمي والضبط المنهجي وحتى التاريخي"، لكنها أهملت في المقابل أو نسيت الكاتب ولم توليه عناية في مستوى عنايتها بالنصوص المحقّقة.

هذه النظريات والمناهج، وإن قدّمت الكثير للمخطوط، إلا أنها تظل عاجزة عن مواكبة التقدم العلمي والتطور التكنولوجي، وهي تجابه برفض وعزوف شبه تام من طلبة العلم والمؤسسات العلمية؛ باعتبار أن دراسة المخطوط وتحقيقه ونشره عملية طويلة وتحتاج إلى صبر كبير ونفس طويل؛ ناهيك أن البلدان العربية لم تلتفت لهذا الموروث إلا في السنوات الأخيرة، ولم توليه الاهتمام اللائق به، بل حتى الأموال والميزانيات المرصدة له تظل عاجزة وغير كافية لخدمته الخدمة المنوطة به.

- **توصيات ومقترحات:**

ومادام التحقيق هو جُهد علمي هام، لا يقل أهمية عن التأليف، بل هو جُهد وطني يعمل على إحياء تراث الأمة، والتعريف به، وإبرازه لينير السبيل أمام الأجيال الصاعدة، ومن واجبنا اليوم أن نفخر بعلمائنا الأجلاء الذين يصرفون الوقت والجهد،

للتعريف بتراث أمتهم وإسهاماتها عبر التاريخ في الحضارة الإنسانية، وخدمة للتراث المخطوط، نقترح على الباحثين ما يأتي:

– ينبغي على المحقّق أن يروض نفسه على الصبر والجلد، لأن تحقيق الكتب والنصوص يحتاج إلى طول نفس.

– على الباحثين أن يختبروا الأدلة قبل أن يختبروا الأقوال المستندة إليها، إذا كانت صحيحة يتأكدون من صحتها، وإذا لم تكن صحيحة صحّحوها، هذا هو المنهج الصحيح للبحث عن الحق والصواب، بعيداً عن الأحكام المسبقة.

– ألا يُعتمد في قبول الأعمال المحقّقة، إلا الكتب المحقّقة تحقيقا جماعيا (التحقيق الجمعي)، مع عدم اعتماد الكتب المحقّقة فرديا، وذلك من أجل اكساب الكتب المحقّقة مصداقية علمية أو جريا على نموذج المجامع الفقهية، حيث التكامل وكل مشارك في الفريق يراعي تخصّصه، فيصبح الكتاب المحقّق كالمنتوج في المصنع، فيمر على مراحل مختلفة.

– اعادة تحقيق الكتب المحققة سابقا، أو مراجعتها وتمحيصها، مع مراعاة المزج ما بين المنهجين الغربي للمستشرقين والعربي المبتكر.

– سوف يظل المخطوط من أنفس ما اكتشفته الانسانية في تاريخها الحديث، ويعد إضافة حضارية ونوعية تضاف إلى رصيد تاريخها المشرف لتحقيق نهضة علمية رائدة؛ تضاهي بها الحضارات السابقة، فهو مرآة الماضي وميزان الحاضر وأمل المستقبل، ليزرع الأمل في نفوس الأجيال اليائسة الباحثة عن شعاع أمل يضيء لها الطريق ومجد تتعلق به.

وسيظل المخطوط العربي الاسلامي؛ بمثابة المعلم الهادي والمنارة الوحيدة التي تكشف للأجيال عن إرث آباءهم ودرر كنوزهم الضائعة، فيدركوا أنّ آباءهم وأجدادهم كانوا رجالا وقادة وعلماء تشدّ لهم الرحال وتبلغهم المطايا، وأنهم كانوا بحق صانعوا الحضارة. وقد يخطئ من يقول أنّ تحقيق المخطوط والعمل على اخراجه هو اجترار للماضي، بل هو عنوان الوفاء للماضي ونبع الحاضر وشعاع المستقبل.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

أولا المصادر:

- ابن الخطيب لسان الدين (ت 776ه/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة ج4، حققه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، مصر: القاهرة، مكتبة الخانجي، ج1، الطبعة الثانية (1393ه- 1973م).
- ابن الخطيب لسان الدين (ت 776ه/1374م)، تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الإعلام في من بويع قبل الإسلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق إ -ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، لبنان: بيروت، دار المكشوف، 1956م.
- ابن حزم الأندلسي، محمد بن علي بن أحمد بن سعيد، (ت.456ه/1064م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر،1962م.
- ابن سعيد المغربي، علي بن أبي موسى بن محمد بن عبد الملك (ت.685ه/1286م) المغرب في حلي المغرب ج2، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، الطبعة الثانية، مصر: القاهرة، دار المعارف 1964م.
- ابن منظور، الإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت. 711ه/1311م) لسان العرب، ج15، الطبعة الثانية، لبنان: بيروت، دار صادر (1414ه/1994م).
- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت.383ه) تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلوم للملايين، بيروت -لبنان، 1407ه/1987م.
- التهانوي، محمد علي الفاروقي (ت. بعد 1158ه/1745م) كشّاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع، مصر-القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر(1382ه/1963م).
- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى(ت. 817ه) القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان الطبعة :الثامنة، 1426 ه /2005 م.

ثانيا: المراجع العربية:

- **إياد خالد الطباع** منهج تحقيق المخطوطات ومعه كتاب شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشية النبطي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1423ه/2003م.

- **رمضان عبد التواب،** مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى1406ه/1985م.

- **صلاح الدين المنجد،** قواعد تحقيق المخطوطات، الطبعة السابعة، بيروت، دار الكتاب الجديد 1987م.

- **عبد السلام هارون،**تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1418ه/1998م.

- عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 1415ه/1994م.

- **عبد المجيد دياب،** تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، الطبعة الثانية، سنة 1993م، القاهرة-منيل الروضة.

- فهمي سعد وطلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظريات والتطبيق، مع تحقيق ودراسة الرسالة الأولى دلف الخزرجي، الطبعة الأولى، 1413ه/1993م

- هلال ناجي، محاضرات في تحقيق النصوص، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1994م.

ثالثا: المجلات العلمية:

- **البلوشي** إبراهيم **بن حسن بن سليمان،** علاقة اللغة العربية بتحقيق المخطوطات، وهي عبارة عن ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر الدولي للغة العربية-العربية لغة عالمية: مسؤولية الفرد والمجتمع والدولة. بدون تاريخ ولا مكان عقد المؤتمر.

- **شوقي براركة،** التراث المخطوط بالصحراء الكبرى حفظه ومراكزه واتاحته للباحثين، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد15، (2011)

- صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد: مجلة علمية تصدر عن وزارة التربية والتعليم والإدارة العامة للثقافة-في جمهورية مصر العربية-تصدر عددين في العام- عن المعهد المصري للدراسات بمدريد، ماتياس مونتيرو، رقم 14 مدريد اسبانيا، العدد الرابع، مطبعة المعهد المصري في مدريد1956م.

مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد الخامس (ديسمبر 2018 م)
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

الحياة السياسية بمنطقة توات خلال العصر الوسيط

الباحث: بلحاج ميلود
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان –

ملخص

تعتبر منطقة توات من المناطق التي حفلت بنشاط علمي وفكري كبير تمثل في زوايا العلم التي تبارت لتدريس كل صنوف العلم التي كانت رائجة في العالم الاسلامي في تلك الفترة، وقدوم كثير من العلماء والصلاح الذين نزلوا عليها ابتداء من القرن الرابع الهجري وذلك بسبب بعدها عن بؤر التوتر والنزاع التي كانت تعصف بالعالم الإسلامي والتي صاحبته حوادث سياسية تمثلت في سقوط دول وقيام أخرى وخاصة في المغرب الاسلامي، و شكل تواجد اليهود الجدل الأكبر بالنسبة للعلماء كالونشريسي ، الحافظ التنسي و الفقيه السنوسي و ذلك بسبب ما أقدم عليه اليهود كعادتهم من السيطرة على البلدان التي نالوا الإقامة بها و شراء ذمم حكام المسلمين و ذلك كله نتيجة تساهل وضعف الحكم و استغلال اليهود لذلك، و بعد كل هذه الحرب التي أعلنها عليهم المغيلي و شيعته والتي عارضها بعضهم و أيدها آخرون، و انتهت بمغادرتهم البلاد و انتهاء نفوذهم بتوات ووفاة المغيلي بعد نصف قرن من التأليف و التصنيف و الدعوة الى الاسلام في افريقيا.

كلمات مفتاحية: توات–قصور صحراوية–الحضور اليهودي–الحركة العلمية.

Abstract

Considéré comme Touat des régions qui était pleine d'activité scientifique et intellectuelle représentée dans les coins de la science, qui se sont mobilisés pour enseigner toutes sortes de science qui étaient populaires dans le monde musulman à cette époque et l'arrivée de nombreux savants et la justice qui ont afflué du IVe siècle à cause de l'éloignement des foyers de tension et de conflit le basculement du monde musulman, qui a été accompagnée d'incidents politiques a été la chute d'autres pays et faire en particulier au Maghreb islamique, et la forme de la présence des juifs, la plus grande controverse pour les scientifiques Al_wancharissi , Hafiz Altensee et al-Faqih al-Sanusi et la raison de ce qu'il Juifs, comme d'habitude du contrôle des pays qui ont atteint un Pour la création et l'achat des dettes des souverains musulmans, grâce à la clémence et à la faiblesse des juifs et à

l'exploitation des juifs, et après cette guerre annoncée par les Al_magilli et les chiites, qui finit par abandonner le pays et la fin de leur influence dans Touat et la mort. Après un demi-siècle d'auteur, de classification et de plaidoyer de Dieu en Afrique.

Mots clés : Présence juive dans le désert, Le combat de Maghili contre les Juifs, Mouvement scientifique dans la région.

مقدمة:

لقد عرفت الحضارة الإسلامية أوج ازدهارها، واستطاع الفاتحون العرب البلوغ إلى أقصى المغرب وهذا في أقل من قرن من الزمان وتمكن نور الإسلام أن يغمر قطاعا واسعا من المعمورة، وفي ظرف وجيز توصل إلى صنع حضارة عظيمة حيث ما حل، وذلك بفضل تعاليمه التي تدعو إلى العلم والعمل وكان ذلك واضحا جليا في سلوك أتباعه وتحضرهم.

لقد ساهم العرب مع إخوانهم المسلمين في البلاد المفتوحة في إفادة الإنسانية في شتى مناحي الحياة و لازالت تشهد بذلك الآثار والعمران وكذا بطون كتب التاريخ، فاهتم المؤرخون بحواضر العالم الإسلامي ومدنه ودونوا التراجم لأعلامه ونوابغه في شتى العلوم ولم يكتف العلماء المسلمين بالعلوم الدينية وحدها بل عكفوا على سائر العلوم الأخرى من طب وكيمياء وفلسفة و غيرها من العلوم الوضعية، ونظروا و غيروا كثيرا من النظريات والقوانين التي كان يعتقد ثباتها وصحتها وقدموا للإنسانية الكثير من منطلق اعتقادهم أن الواجب عليهم إسعاد وخدمة البشرية بالنور والعلم والإيمان ، وسجلوا بأحرف من ذهب على صفحات التاريخ ما شهدته الحضارة العربية من معاني العطاء والتسامح والإخاء وهذا كله في جو من الأخوة واحترام الآخرين وتقديرهم وعدم إلغائهم بل إعطائهم الفرصة للمشاركة بآرائهم وإسهاماتهم، وذلك في حدود احترام ما تمليه قواعد الآداب والأخلاق، فانبرت الأقلام وانطلقت الألسنة لأول مرة في التاريخ متحررة من دكتاتوريات الفرس والروم وغيرهم من طغاة شعوبهم، متفرغة للعطاء والإسهام والإبداع وذلك لأن العرب الفاتحين الأوائل منذ الوهلة الأولى التي وطئت فيها أقدامهم البلدان المفتوحة أفهموا شعوبها ندائهم الخالد نداء نبيهم << لا فضل لعربي على أعجمي إلا

بالتقوى ...>> وأنهم إخوان لهم لا أسياد عليهم وهذا ليس محض تفاخر بل هو ما شهد به كثير من المؤرخين ولعل أهم شهادة هي تلك التي شهد بها المؤرخ الروسي غوستاف لوبون حيث يقول << ما عرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب >> وإذا كان بريق الإسلام وجذوته انبثق وزحف من الشرق ونالت عواصمه الذكر والفخر من دمشق وبغداد وسمرقند ومكة وأطراف آسيا، فقط أبلي أبناء المغرب الإسلامي أحسن البلاء في نشر الإسلام والدفاع عنه فقبائل البربر التي عادت الإسلام لأول وهلة انقلب أمرها من العداوة والحرب إلى الحب والاحتضان بعد أن لمس أبناء كسيلة والكاهنة ما لهذا الدين وهؤلاء الفاتحين من أخلاق سامية وقيم نبيلة إذ تأكدوا أن هؤلاء الناس يختلفون عن الرومان وغيرهم من الغزاة الذين حاربوهم سابقا، وكان للبربر أبناء صنهاجة ولمتونه وغيرهم من بطون البربر الفضل في نشر الإسلام وإكمال مسيرة النور إلى الأندلس وجنوب فرنسا ورفع راية الإسلام هناك ،وعلى الجبهة الأخرى استطاع الملثمون أو الطوارق (المرابطين) إيصال تعاليم الإسلام إلى القارة السمراء وانتشر الحق بفضل تعاليمه السمحاء ودعوته للإخاء ومحاربة العنصرية ، ونجح في كسب قلوب الملايين من أبناء إفريقيا وانتشالهم من الضياع بعد أن كانت حياتهم نهبا للفوضى و الرق والحروب والعداوات ، ليدفعهم الدين الجديد للإسهام في بناء التاريخ وتسجيل بصماتهم على صفحاته بعد أن لم يكن لهم ذكر يذكر أو خبر يعاد، ويحفزهم لأول مرة لتشكيل دول لهم سادت ردها من الزمان في شرق وغرب ووسط إفريقيا، وكانوا قادة وأسيادا في أوطانهم على خلاف ما فعل بهم الاستعمار الغربي .

وإذا كان هذا حال الأندلس وإفريقيا الإسلاميتين فمن كان له الفضل بعد الله في إيصال النور إلى هذه الربوع.

لقد كان اهتمام المؤرخين منصبا على تلك العواصم و الحضارات والشعوب التي بلغت شهرتها الآفاق و كان حظ كل أمة من اهتمامهم بقدر اتصالها و قربها من البحر ومدن صناعة التاريخ و الحضارة الإنسانية، ولما كانت بعض الأمم والجماعات تعيش العزلة جغرافيا عن عواصم العالم وكان ذكرها

لا يرد إلا عرضا وبالمناسبة في المراجع التاريخية المشهورة دون المحلية(المخطوطات) التي أفاضت في ذكرها وهذا لا يعني البتة أنها لم تساهم في ركب الحضارة والنماء والرقي وإنما كان بعدها الجغرافي الحائل دون رقيها المستوى المطلوب وخاصة تلك المجتمعات أو الجماعات التي استوطنت الصحراء والتي رغم قساوة الحياة فيها وعزلتها استطاع إنسانها أن يتعامل مع الطبيعة ويسخر عناصرها لخدمته ويوفر لنفسه كل أسباب العيش الكريم فلم يكن السكن في الصحراء عائقا وحائلا أمام الرقي والتحضر بل على العكس من ذلك كان مدعاة وحافزا شديدا إلى السعي الحثيث وراء الرزق واستثمار المال وطلب العلم، وإذا كان هذا حظ العالم الإسلامي من مشرقه ومغربه أو قل حظ كل أقاليم وحواضر العالم الإسلامي من الرقي والنماء فما هو حظ وإسهام أبناء الصحراء الكبرى أي إقليم توات ؟ أو تحديدا ما هو حظ عاصمة الإقليم تمنطيط من المجد والحضارة؟ ومدى النشاط السياسي الذي قام في الإقليم حتى القرن الماضي؟ وسوف نتعرض في هذا المقال كذلك لعاصمة الإقليم لأن معظم الحراك السياسي والاقتصادي قد جرى بمدينة " تمنطيط" التي لولا شهرتها وتأثيرها لما ذكرها العلامة ابن خلدون في كتابه "العبر".

مدخل:

1) أصل تسمية القصر:

يقصد من تسمية القصر أو القصر في مناطق الأطلس وجميع المناطق الصحراوية تلك التجمعات السكنية التي تشغل أحيانا مساحات صغيرة وتكون محصنة أو على الأقل تقع فوق أماكن مرتفعة [1]وليس ذلك المعنى الذي يراد به المكان الفسيح الذي يقيم فيه الأمراء والوجهاء فقصر تمنطيط عاصمة الإقليم التاريخية إقليم توات المتكون من ثلاثة مقاطعات وهي (توات الوسطى وتيكورارين وتيديكلت) اختلفت الروايات التاريخية في تسميته إلى روايات محلية وأجنبية نذكر منها:

1- Despois (J), le djebel l"amour, presse universitaire de France, paris 1957p25.

أولا: سميت توات لأنها تواتي للعبادة، وهذا سر سكنى كثير من الأولياء العارفين وهذا مما انطلق على لسان كثير من العامة .[1]

ثانيا: وأما ما يحكيه قاضي توات سيدي محمد بن عبد الكريم التواتي حيث يقول <<حكي عن بعض القدماء أن أهل الصحراء لما طالبهم المهدي الموحدي بالمكوس والمغارم استضعفوا وقالوا: لم يكن أرضنا ذهب ولا فضة، وكان ذلك شهر الخريف، فأمر عامله أن يقبض في المغارم الرطب والعنب وسائر أثمار الكروم ففعل، ثم باعه السلطان للبدو النازلين قرب تلمسان فحملوه وعظمت بذلك المصلحة .[2]>>

ثالثا: وهناك رواية أخرى لأحد مؤرخي توات حيث يقول << عندما فتح عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب، ولما عاد لواد نون ودرعة وسجلماسة ووصلت خيله توات عام (62 ه-662 م) سأل جنده عن هذه البلاد، وهو يعني، توات، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاه المغرب فأجابوه بأنها تواتي (تلائم)، فانطلق اللسان بذلك >>.[3]

رابعا: وأشهر الروايات الأجنبية للسعدي حيث يقول << أن سلطان مالي (كنعان موسى) عندما رحل إلى الحج مر بتوات ، فأصابه وجع في رجله في تلك المنطقة ،وكان اسم المرض الذي أصابه بلغة أهل سنغاي توات [4]، ومهما اختلفت الروايات في تسمية الاقليم و أسبابها فهذا ليس غريبا فمعظم القصور التي تترامى على مساحة الاقليم وكأنها أرخبيل من الجزر اختلف الناس في سر أساميها فحتى عاصمة

1- الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، مديرية الثقافة (أدرار) ،2003، ص27.

2- محمد بن عبد الكريم البكراوي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط، خزانة بن ع الكبير، المطارفة (أدرار)، ص03.

3- محمد بن عمر الجعفري، نقل الرواة من أبدع قصور توات، مخطوط، زاوية سيدي حيدة، بودة، ص05.

4- عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، هوداس، باريس، 1964، ص07.

الاقليم والتي اختطتها قبائل البربر من زناتة ،اختلفت الروايات في تسميتها ولعل أشهرها روايتان حازتا الكثير من الشهرة في كتابات مؤرخي الإقليم فمنها:

أولها: ان مدينة تمنطيط كانت بها فقارة تسمى بأهنوا والفقارة هي أقدم مصدر مائي للاستعمال الفلاحي بالدرجة الأولى ، وهي عبارة عن سلسلة من الآبار يتصل بعضها ببعض تنحدر مياهها من مستوى أرضي عالي الى مستوى منخفض يشرف على تربة صالحة للزراعة فيجري عليها منسوب مياه الفقارة [1]فسميت تمنطيط وهي تفسير لكلمت "آتما"و"تيط" وهي اللهجة المحلية لزناتة ،فكلمت "آتما" تعني النهاية ،أما "تيط" فتعني العين بالعربية ،فكانوا يقولون لمن يريد الماء من القوافل التجارية أو المسافرين هناك في طرف القصر عين وهي فقارة أهنوا وهي الواقعة جنوب غرب قصر أولاد نسلام.

ثانيا: فهي لقاضي الجماعة التواتية حيث يقول <<تمنطيط>> هي كلمة مكونة من اسم أعجمي هو بلهجة زناتة يعني: "تمي" الحاجب، و"تيط" العين وبالعربية حاجب العين وهي بلدة من أقدم بلدان الصحراء [2]ويذهب رأي آخر إلى اعتبارها أنها في اللهجة الزناتية تلك العيون من الفقاقير التي انهمرت في ذلك المنخفض من الأرض الذي وإلى اليوم يشكل خليجا من النخيل تجري فيه فقاقير زناتة ومن سكن [3]بعدهم تمنطيط.[4]

ومنهم من فسرها بقوله كذلك تعني بالزناتية "آمان" "تيط" أي عين الماء بالعربية.[5]

(1الخليفة الجغرافية والسكانية للقصر:

1- عبد الله الاسماعيلي، لمحة عن نشأة الفقارة وتطورها بتوات، أنظر مجلة النخلة، عدد تجريبي، جويلية 2005 ص23.

2-عبد الكريم التمنطيطي، تقاييد عن تاريخ توات، زاوية سيد البكري، تمنطيط، ص 2.

-3

4 - عبد الله الإسماعيلي، المرجع السابق، ص23.

5- المرجع السابق ص23.

أ) الموقع الجغرافي للقصر:

تمنطيط هي إحدى بلديات أدرار، وتبعد عن أدرار ب 12 كم وتعتبر الأقرب للولاية، يحدها شمالا كل من سبع وأدرار ومن جنوبها بلدية فنوغيل، وغربا بلدية بودة أما شرقا فكل من تمقطن وأوقروت.

وموقع تمنطيط يشرف على مرتفع، وسبب اختيار القدامى من أهل الصحراء بناء قصورهم وقصباتهم في المرتفعات وترك بساتينهم وواحاتهم أسفل القصر، يعود لضرورة السقي لمزروعاتهم والتي فرضها نظام السقي بالفقاقير، أما القصبات فضرورة الأمن من غارات البرابرة استدعت بناءها في المرتفعات.

أما تمنطيط القديمة فهي تلك التي كانت تتكون من قصور وقصبات لازالت باقية وأخرى عفا عليها الزمن وربما كان ليد الإنسان فيها سبب سيما إذا علمنا أن الحروب كانت تفرض مرات داخل الإقليم بسبب الصراع بين القبائل العربية والبربرية على رئاسة العاصمة تمنطيط مركز القضاء، ولعل سبب زوال بعض قصباتها راجع لحملة المنصور السعدي [1]على تيكورارين ومركز توات وقد تضررت كثيرا قصور قورارة من هول القصف بالنار وخاصة القبائل التي عارضت الحملة وعقب هذا غزوه للسودان طمعا في مناجمها التي حوت الكثير من الملح والذهب.

أما قصور تمنطيط القديمة هي:

1) تاهقة:

سكنه أولا اليهود وهو الآن بقايا من الجدران المهدومة وهو مهجور، وقد سكنته إحدى قبائل اليهود، وهم إحدى القبائل التي طالبها البربر بالإسلام فأبوا وبقوا على يهوديتهم مع قبائل أولاد يعقوب وأولاد أهمالي[2] وقد سكنها العصنوني وبه قصر سيدي سالم وهو مقر قضاء الجماعة بعد جلاء اليهود وكلمة "تاهقة" تعني بالعربية العين الجارية.

1- نفس المرجع، ص23.

2- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، تقاييد في تاريخ توات، مرجع سابق، ص3.

2) قصر أولاد ميمون:

إحدى قصور اليهود وقد هجروه بعد حرب المغيلي عليهم << وهو الآن مندرس...وبه أثر عمران لا بنيان به>>، وكانت عادة بعض النسوان المحتاجات إذا آوين لذلك المكان يبكين ويشتكين الفاقة ربما وجدن لقيطا من ذهب يأتين به للمدينة ويبيعنه بمتاع يتقوتن به.[1]

3) قصر أولاد داوود بن عمر:

لم يبق منهم إلا بقية ضعافا وقصورهم الآن هي قاعدة أسواق تمنطيط، وبها الحدادون النجارون والدلالون العطارون[2]

وقد سكنته قبيلة أولاد داوود العربية، ويرجع صاحب البسيط أن السمرة والأدمة تدل على أصولهم العربية.

4) قصر أولاد أهمالي:

من أقدم القبائل اليهودية التي وفدت للقصر وقصرهم يجاور أولاد يعقوب وكذا أولاد محمد << وقد انحل أمرهم ونسبهم ولم يبق إلا رسم قصرهم واسمهم >>.[3]

ولا يزال الساعة مسجد بناه من سكنوا بعدهم يحمل تسمية هذا القصر، مسجد أولاد أهمالي.

5) قصر تايلوت:

بناه البربر من قبيلة لمتونة إحدى بطون صنهاجة، وتعني كلمة "تايلوت" بالعامية "المزود"[4] وهو من أقدم قصور تمنطيط بني بين سنتين (541هـ و542هـ) يقع محاذاة لقصر أولاد أمحمد.

5) قصر أولاد علي بن موسى:

1- بابا حيدة، البسيط في إخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، الجزائر،1977، ص15.

2 - المصدر نفسه ص18.

3 - نفس المرجع السابق، ص18.

4 - المزود: كيس من الجلد تخزن فيه الحبوب.

شيدته قبيلة أولاد علي بن موسى وقد وفدت إلى تمنطيط[1]من بوسمغون وهم ينتسبون للأدارسة. وقد نزلوا بقصر بوملاح وهو القصر الذي هجره اليهود بعد فرارهم من المدينة بعد حرب المغيلي وشيعته، وهو القصر الذي بنى اليهود جدرانه من الملح وقد أشار إلى ذلك "مالفنت" حيث كان يقيم بالجنوب الغربي من مدينة تمنطيط

وقد نزل أولاد علي بن موسى تمنطيط وبنوا قصبتهم والتي كانت تحوي خمسة عشر دارا وكذا مسجدهم ذو الخمس صفوف، وكان من رؤسائهم الشيخ عمرو بن عبد الرحمان شيخ ورئيس الإقليم التواتي، ومن صلاحهم وأعلامهم سيدي بايوسف.

6) قصر أولاد نسلام:

يقع جنوب شرق تمنطيط حذو أولاد ميمون سكنته قبيلة أولاد نسلام إحدى قبائل اليهود وأسلمت لما طالبها البربر بذلك مع أولاد يحي وآغلاد.[2]

ب) التركيبة السكانية للقصر:

تعاقب على سكان تمنطيط، قبائل عدة وفي مجملها قبائل:

البربر:

وهي القبائل البربرية التي وفدت للإقليم فرارا من مطاردة المرابطين من لمتونة الذين تعقبوا الفرع البربري من قبائل زناتة وهذه القبائل هي التي اختطت القصور التواتية ولا تزال هذه القصور تحمل أسماء بلغت أهل زناتة وحتى أسامي بعض فقاقير تمنطيط ومنها وأكبرها فقارة آهنوا) تقع الفقارة جنوب شرق تمنطيط).

فقد سكن البربر الإقليم حتى قبل وفود الإسلام إلى المنطقة بخمس سنين قبل الهجرة.[3]

---

1 – المصدر نفسه، ص.23

2 – (J) Oleil (touat au moyen age. Les juifs au Sahara.CNRS. ED ; paris ; 1994 P145.

3 – غيثاوي التهامي، سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي توات، ج1 ط1، الجزائر، 2003 ص.14

لكن بدأ توافدهم للإقليم بكثرة مع منتصف القرن الخامس الهجري وخاصة الفرع الزناتي الذي كان الغالب عليها وفي ذلك يقول ابن خلدون << ومن قبائل مطغرة أيضا بصحراء المغرب كثيرون نزلوا بقصورها، واغترسوا شجرة النخيل على طريقة العرب، فمنهم بتوات قبيلة سجلماسة إلى تمنطيط آخر عمالها قوم كثيرون مواطنون مع غيرهم من أصناف البربر.[1]

نزلوا بتيكورارين ووادي الجنة، وملئوا أرض توات، وتوالي توافدهم فوفدت أشهر قبائلهم حيث نزلت قبيلة أخروم عام (668 ه.1268 م) وكذا أولاد عياش عام (502 ه.1102 م) (22)، وسعدوا على البلبالي عام (518هـ.1118 م)

وتعتبر زناتة من " أشبه البربر حياة بالعرب لأن أكثرهم مواطنهم الصحراء ".[2]

إذ تطبع حياتهم البداوة والرعي والبحث عن الكلأ والماء حيثما وجد بالصحراء لذلك كان أول نزولهم بوادي "غير" حيث قطعوا ثلاثة عشرة مرحلة من سجلماسة ونزلوا قصر بوده وقد وجدوا الواد قد جف فاختبروه وتيقنوا عودته لمجراه فحفروا الآبار وزرعوا الفواكه والخضر، وخيموا بوادي المسعود الخصب واتخذوه مرعا لمواشيهم ونحتوا وصمموا الفقاقير وعلى ضفاف الوادي أنشأوا القصور والبساتين والجنان [3]

ومن قبائلهم أيضا بتيديكلت الصنهاجيون إحدى بطون البربر وأشهر فروعها لمتونة وقدالة ومسوفة وهم الرابضون على صحرائها ينتقلون بين أطرافها.

1- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص 245.

2 - مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2 ط3 م.و.ك، الجزائر ،1989، ص208.

3 - غيثاوي التوهامي، مرجع سابق، ص14و15.

فجميع قبائل الصحراء يلتزمون النقاب لا تبدوا منه إلا محاجر العينين، ولا يفار قونه في حال من الأحوال حتى أن الرجل لا يعرف وليه وحميمه إلا إذا تنقب ولو زال قناع قتيل لم يعرف حتى يعاد عليه القناع....[1]

2) العرب:

وفد العرب إلى تمنطيط وتوات عموما مع قدوم الفتح الإسلامي إلى المغرب وقد جاءوا بنية نشر الإسلام وإتمام الفتوحات الإسلامية فنزلت بعض عرب المعقل أفواجا كأولاد محمد أصحاب القصبة والذين كانوا سندا للمغيلي في حربه وقد ساسوا تمنطيط دهرا وكان السبب في جلائهم مساندتهم للمغيلي حيث تحالفت ضدهم قبائل البربر وأغلقت قصبتهم وسكنها البكريون.[2]

وكذا المحارزة وأولاد منصور وكذا غيرهم من عرب الساحل وقد قويت أعدادهم بعد أن استغلوا ضعف نفوذ أمراء بني مرين على هذه المناطق فاستقروا داخل الواحات التي كانت تقع في مجالات سيرهم بالصحراء.... وسرعان ما تمكن عرب المعاقيل من فرض نفوذهم الكامل على الإقليم، ولم يجد أمراء بني مرين مفرا من الاعتراف بالأمر الواقع.[3]

3) اليهود:

وفد اليهود إلى الإقليم واستقروا بثلاث قصور بصورة مركزية تاخفيفت وتيطاف وتمنطيط إلا أنهم ركزوا تواجدهم بكثرة في هذه الأخيرة، وقد زاد توافدهم بكثرة للإقليم تنامى إلى سمعهم جدوى وأهمية الخط التجاري الجديد الذي يمر بتوات من السودان مرورا "بتمنطيط فتونس فأوروبا وهذا بعد أن تحولت الطريق تركوا تلك الطريق أي خط السوس، ولاته ونهجوا الطريق إلى بلاد السودان من أعلى تمنطيط.[4]

1 – لحسن الوزان، وصف إفريقيا الشمالية من كتاب البلدان لليعقوبي، نشر هنري بيرس، الجزائر ، 1967 ص42.

2 – بابا حيدة، المصدر السابق، ص17.

3 – محمد بن المبارك، تاريخ توات، مخطوط، أولاد بن ع الكبير، المطارفة، أدرار، ص40.

4 – عبد الرحمان بن خلدون، العبر، مرجع سابق، ص .72.

وقد هاجر اليهود ثلاث هجرات منهم من وفد من شبه الجزيرة العربية، وكذا من العراق، أما آخر من وفد لتمنطيط من العناصر اليهودية تلك الجماعات التي وفدت من المغرب والأندلس مع المسلمين وقد وفدوا في جماعات كبيرة وهذا ما يفسره كثرة قصباتهم بالقصر فكان تواجدهم في قصور توات وكذا تيكورارين، وقد ذكر القاضي البكري التمنطيطي قصورهم وهم على قلتهم كانت لهم قصور خاصة بهم كقصر أولاد نسلام وآغلاد وأولاد يحيى [1]هذا فقط في تمنطيط.

وقد استقر اليهود وبنوا قصورهم وقصباتهم ومارسوا التجارة بل احتكروها وخاصة أسواق الذهب والملح والعبيد والنحاس وهي أهم الموارد والسلع التي كان يكثر عليها الطلب خاصة في العصر الوسيط، وقد أسلمت هذه القبائل الأخيرة.

بعد أن طالبهم البربر بذلك، أما قبائل اليهود الأخرى كأولاد يعقوب وأولاد أهمالي وتاهقة هؤلاء من حاربهم المغيلي وهم من شرى ذمم حكام وبعض قضاة توات وأجلاهم المغيلي من العاصمة التواتية تمنطيط ولم يبقى لهم تواجد بعد أن استقر المغيلي في قصر أولاد يعقوب وانتقل العصنوني ومجلس قضاته إلى تاهقة أما قصر أولاد أهمالي فقد سكنه أولاد النجمي وغيرهم ففر من فر لسجلماسة ودرعه وتافيلالت.

4) الأفارقة:

وهم احدى الطبقات التي استقرت في توات وقد جلبوا كعبيد وبيعوا بأسواق تمنطيط، ولم يخل قصر أو مدينة منهم.[2]

وقد استعملوا لأعمال السخرة والفلاحة ورعي الإبل ولم يفرق الرق بين رجل أو امرأة وكان لليهود اليد الطولى في تجارة الرقيق، وعلى العموم وإن ساد التمييز الطبقي مجتمع توات إلا أن روح التآخي والتآزر التي جاء بها الإسلام جعلت النسب أو المرتبة الاجتماعية أو الغنى والفقر لا تمنع الاحترام والتوادد والتعاون بين أفراد سكان

1 – محمد بن ع الكريم التمنطيطي، تقاييد عن تاريخ توات، ص05.

2 – فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، د.م.ج، الجزائر، 1977ص35.

القصر والإقليم عموما ويلمس ذلك الزائر إلى الإقليم، نظرا لتوحد النظام والعادات والتقاليد فالحياة يطبعها روتين واحد.

2-الأوضاع العامة للإقليم من القرن الخامس هجري على القرن الرابع عشر هجري:

الأوضاع السياسية:

أ) أوضاع الإقليم قبل الإسلام:

لقد ذكر الإقليم التواتي مند القديم من خلال كتب الرحالة والمسافرين أو غيرهم من ذوي المغامرة في الرحلة من المستشرقين أو الضباط المستعمرين.

فكان أول المؤرخين للإقليم المؤرخ اليوناني هيرودوت <<Hérodote>> حيث يقول وخلف منطقة ليبيا صحاري بلا ماء ولا حيوانات ولا أمطار ولا أخشاب وليس فيها أثر للرطوبة، وأسفلها لا يوجد إلا الرمال والجفاف والصحراء القاحلة.[1]

أما الرحالة العرب والمسلمين ومنهم اليعقوبي واصفا الإقليم وسكانه حيث يقول ومن سجلماسة لمن سلك متجها نحو القبلة يريد السودان يسير مغازة وصحراء مقدار خمسين رحلة، ثم يلقاه قوم يقال لهم أنبيه من صنهاجة في الصحراء ليس لهم قرار يتلثمون بعمائمهم (يقصد الطوارق) ولا يلبسون قمصا إنما يتشحون بثيابهم ومعاشهم من الإبل ليس لهم زرع ولا طعام.[2]

لقد عرف الإقليم قبل الإسلام أنه مكان مليء بالواحات ومحطة عبور قوافل التجارة المتجهة للسودان.

فمدينة تمنطيط قديمة جدا، كانت عامرة في عهد الفراعنة، ومن سكانها القبط وهم المهندسون لبنائها حفروا الفقاقير ثم شيدوا عليها البلاد وإلى الآن نجد الكثير من قصورها يجري تحتها ماء الفقاقير وعمارتها التي هي عليها الآن من سبع مئة سنة

1- عليق نابت ريحة، قصر ملوكة، دراسة تاريخية وأثرية، ماجستير علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية جامعة الجزائر، غير منشورة، 2001/2002 ص 8.

2 - لحسن الوزان، المصدر السابق ص 17.

قبل الهجرة وكانت متصلة من نومناس(33) إلى آقبور (34)، غير أن تعاقب الزمان غير من مجراها التاريخي.[1]

بناءا على هذا الرأي << فقصور توات كانت عامرة قبل الإسلام وخربت مع أننا نجد في تقاييد أخرى أن القطر التواتي قبل الإسلام قفر لا عمران فيه...>>.[2]

لقد استوطن توات قبل الإسلام البربر حيث << كانوا ينزلون فيه بخيام من الشعر ويجولون أطرافه طلبا للرعي والعشب لمواشيهم، وقد سكن البربر الإقليم لخمس سنين قبل الهجرة وبنوابه قلعة محكمة على جبل كبير بتمنطيط >>.[3]

ويذهب أحد مؤرخي الإقليم وأحد قضاته البارزين سيدي محمد بن عبد الكريم التمنطيطي في تقاييده حيث يقول إن << منطقة توات كانت تحت سيطرة حاكم سبيطلة وإفريقيا البطريك جريجوريوس الذي أعلن انفصاله عن ملك روما وألحق منطقة توات لحكمه لتوسيع ملكه >>[4]، فلم تعرف المنطقة ذكرا أكثر في كتب التاريخ قبل الإسلام سوى ما ذكرنا.

2-دخول الإسلام لتوات وبداية توافد القبائل:

دخل الإسلام توات مع الفتح الإسلامي للمغرب وسبب تسمية الإقليم باسمه وهو إحدى روايات تسميته لأنه عند وصول خيل وجند عقبة بن نافع الفهري بلاد المغرب ووصل إلى توات عام (62 ه . 662 م) استفسر عن البلاد هل تواتي لنفي عصاه ومجرمي المغرب فقيل له نعم فسميت منذ ذلك التاريخ بتوات [5]،ومنذ تاريخ دخول الإسلام تجاذبت الإقليم تأثيرات الدول الإسلامية المتعاقبة التي حكمت

1 - هذه الرواية خلاف الرواية التي ذكرناها من أن الإقليم كان قفر وأن مهندسو الفقاقير هم البربر وهي كلها روايات مدونة في كتب ومخطوطات مؤرخي توات المحلبين.

2 - الشيخ مولاي التهامي، النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، منشورات ANEP، الجزائر 2005 ج1 ص13.

3 - بن عبد الكريم التمنطيطي، تقاييد عن تاريخ توات، مرجع سابق، ص04.

4 - ع الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، دار الهدى، عين مليلة، 2005 ص.18

5- محمد بن عمر الجعفري، نقل الروات من أبدع قصور توات، مخطوط بودة، زاوية سيدي حيدة، ص05.

المغرب ، وكان للمرابطين وزعيمهم عبد الله بن ياسين المرابطي الفضل في إتمام دخول الإسلام ربوع الصحراء ،فقد كان اللثاميون الصنهاجة وثنيون، وأسلم بعضهم على يد بن نافع ،ولم يعمهم الإسلام إلا القرن الثالث ،ولكنه إسلام إسمي ،ولم يأخذوا به حقيقة وعملا إلا في القرن الخامس على يد عبد الله بن ياسين الجزولي[1]، وكان لظهور دولة المرابطين الآخر السيء على قبائل زناتة ،حيث بعث فقهاء مدينتي درعة وسجلماسة لزعيم المرابطين بن ياسين المذكور شاكين ظلم وفساد أمراء مغراوة ،فقضى المرابطون على إمارة بنو يفرن ومغراوة إحدى قبائل زناتة وذلك في وسط القرن الخامس هجري ، وقتل أميرهم مسعود بن وانودين المغراوي، ففر الباقي من زناتة إلى الصحراء ونزلوا بجرارة ووادي الحنة بعد أن تنامى الخبر من زناتة إلى باقي بنو قومهم من عديد القبائل البربرية وكذا العرب، أن الأمن يوجد بالصحراء حيث الواحات والماء ،فظهر لهم سكن هذه الأرض بعد أن لمسوا صلاحيتها للغرس والفلاحة وكذا المرعى فابتذروها وبنو قصورهم على طرف وادي المسعود[2]، ثم تلى مقدم البربر قدوم القبائل العربية من عرب المعقل و الساحل أفواجا إلى الإقليم، وتحالفت بعض القبائل البربرية مع العرب ضد بعض البربر يظهر في عام (518هـ . 1118م) عصر جديد عصر سيطرة العرب ممثلين في أقوى قبائل العرب أولاد محمد ،بعد أن نشب صراع مرير على الرياسة نتج عنه انقسام البلد إلى كتلتين سفيان وأحمد وفي ذلك يقول أحد مؤرخي الإقليم والعجب كل العجب أن تجد بلدين مختلطي النخيل والمرافق بحيث يسمع كل واحد منهما مؤذن الآخر، والأعجب من هذا إذا اجتمعا شخصان فأخبر أحدهما الآخر بأنه من صف سفيان وكان هو من صنف يحمد كرهه أشد الكراهية ولعمري إن ذلك لعداوة شيطانية.[3]

وقد كان لبعد الإقليم عن مواقع النزاعات والصراعات ووجوده في قلب الصحراء مكانا وملاذا آمنا لكثير من قبائل المغرب العربي التي أثرت الابتعاد عن

1- مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص 217.

2 - محمد بن ع الكريم البكراوي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط، ص04.

3- مولاي التوهامي، المرجع السابق، ص.15

الصراعات السياسية التي عصفت بالمغرب الأقصى وخاصة في أيام الفاطميين والمرابطين الذين تعقبوا الفرع الزناتي من القبائل البربرية ،وكان مقدم العرب الهلاليين وعرب المعقل إلى الإقليم بعد حلفهم مع زناتة بعد أن أعجزهم وقوف عرب بن سليم لهم وسكنوا رمال تافيلالت بالمغرب ثم زحفوا على توات وأقاموا في القفار وتفردوا في البيداء فنموا نموا لإكفاء له وملكوا قصور الصحراء التي خطتها زناته بالقفر مثل قصور السويس غربا ثم توات ثم بوده وتمنطيط ثم وركلان ثم تسابيت ثم تيكورارين شرقا وكل واحد من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل و أنهار...[1]

3) مقدم اليهود وحرب المغيلي معهم:

كان من ضمن القبائل التي هاجرت إلى الإقليم مع العرب والبربر القبائل اليهودية التي بلغتها الأنباء إلى المغرب عن وجود خط اقتصادي يعتبر الشريان الأساسي لتجارة القوافل الصحراوية وهو الخط الرابع بين حقلية وجنوه فتونس فتوات مرورا بغدامس إلى عين صالح إلى آقبلي بآولف إلى توات فسجلماسة بالإضافة إلى طرق عدة كلها تمر بتمنطيط[2]، فكان منزعهم هو السيطرة على تجارة القوافل وخاصة الملح والذهب والعبيد، فاستقر اليهود وبنو لهم قصور خاصة بهم عبر الإقليم وركزوا تواجدهم بتمنطيط فبنو بها قصبة أولاد نسلام وآغلاد وأولاد يحيى، وقد لاحظ هذا الأمر الرحالة الألماني مالفنت (Malfante) حينما زار تمنطيط بدافع الاستكشاف قبل وفود المغيلي بنصف قرن من الزمان حيث يقول يتكاثر اليهود هنا وتسير حياتهم في سلم وظل الرؤساء الذين يدفع كل واحد منهم على أتباعه، ولهذا يتمتع اليهود بحياة سهلة وتسير التجارة بواسطتهم، ويضع الكثيرين منه (يقصد أهل توات) ثقتهم فيهم[3]. ولهذا الأمر أشار مؤرخ إقليم توات القاضي محمد بن عبد الكريم التمنطيطي حيث يقول: ...كان أغلبية التجار يضعون على رأس

1- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص59.

2- التهامي غيثاوي المرجع السابق 10.

3-Jakob oleil. OP CIT, P 86.

قوافلهم يهوديا ...[1]. ووصل الأمر باليهود حد الطغيان واستمالة بعض حكام ومشايخ توات ووجهائها والسيطرة على الأمر بالقصر والتحكم في موارد البلاد وأموالها حتى مقدم شيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني الذي فر من تلمسان قاصدا توات للدعوة لله والنجاة من الفتن التي عصفت بتلمسان في زمانه وبعد أن لاحظ التعفن السياسي الذي ساد عرش بني زيان والتفسخ والانحلال الذين يعمان مجتمع المدينة وتكالب القوى الأوروبية ضد البلاد وموانئها، وضد كل بلدان المغرب العربي شرقا وغربا، ولاحظ المغيلي كذلك خروج الأمراء عن الجادة الإسلامية وانغماسهم في الملذات فتضايق من العيش هناك وتاقت نفسه للهجرة إلى حيث يكون في مقدوره الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2] ، فشد الرحال لتوات بعد وصية شيخه له عبد الرحمن الثعالبي للتوجه إليها بعد التضييق على الفقهاء والعلماء بعد محاولة اغتيال السلطان الزياني محمد المتوكل فأثار هذا سخطه.[3]

وما إن وصل المغيلي ووطأت قدماه أرض توات وبدأ بالاتصال بأهلها وحاط به طلبة العلم ووضحوا له الأمر، ورأى هو ما رأى وجد الوضع كتلمسان أو أشد خطورة من ذلك حيث رأى من يهود توات تجاوزا للحدود الشرعية واستعلاء على المسلمين، حتى أنهم أكثروا التعدي والطغيان والتمرد على الأحكام بتولية أرباب الشوكة أو خدمة السلطان، كما أنه رأى تساهلا من المسلمين مع هؤلاء اليهود حتى كان الواحد منهم يقربه (اليهودي) من نفسه أو عياله أو يستعمله في أعماله ويجعل بيده ما شاء من ماله مع أنه لا دين له ولا مروءة.[4]

1- محمد بن عبد الكريم التمنطيطي. تقاييد في تاريخ توات، مرجع سابق.ص.11

2- أحمد بابا التمبكتي، الابتهاج بتطريز الديباج، فاس ،1889، ص 325.

3- الحسين يختار، أضواء على حياة الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي أشهر تلامذة سيدي عبد الرحمان الثعالبي. رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2005 عدد 02، مارس 2005ص86.

4- محمد بن عبد الكريم المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، الجزائر، 1968، ص 13و14.

لقد جمع المغيلي أنصاره من المؤمنين من كل ربوع توات الذين كرهوا الوضع بعد أن رأوا اليهود وطغيانهم ،واتجه معهم في قوة عظيمة لهدم كنائسهم وبيعهم بعد أن تطاولوا في بنائها ونسوا أنهم في الأرض إسلام لا مملكة يهودية فطردهم المغيلي وحاربهم بعد أن أنذرهم ونهاهم عن تطاولهم ولما أحس اليهود الجد من الإمام لجئوا لمن كانوا يدفعون لهم من المشايخ والوجهاء، والذين رفعوا الأمر للقاضي العصنوني قاضي الجماعات التواتية الذي عارض الشيخ، واشتد الجدال بينهما وأصر العصنوني على أنهم أهل ذمة راعي الإسلام حقوقهم، أما المغيلي فقال أن هؤلاء اليهود سقطت منهم وصف الذمة الشرعية المقصودة بسبب جرائمهم واستعلائهم على المسلمين، ووصل بهم الأمر أن ضربوا عملة ذهبية خاصة بهم[1] ، وأمام هذا الصراع بين الفريقين فريق تمثل في شيخ الإقليم وحاكمه عمر بن عبد الرحمان والشيخ عبد الكريم المغيلي، فريق يرخص لليهود بالإقامة، أما المغيلي أعلن موقفه صراحة برفض بقائهم ونزع صفة الذمة عنهم وأعلن ذلك في قصيدته معبرا فيها عن آرائه قائلا:

برئت للرب الودود من قرب أنصار اليهود
قوما أهانوا دينهم وأكرموا دين اليهود
يكفي الفتى من شينهم وخبث أصل صنعهم
قوما أهانوا دينهم وأكرموا دين اليهود
يا ليتهم لو دبروا واسترجعوا واستغفروا
وستروا ما أظهروا من نصرهم رهط اليهود
لا شك أن الحق نور في كل سوق لا يجور
ينصره الرب الشكور على النصارى واليهود
فيا إلهي بالنبي المصطفى الهادي النقي
وكل قطب وولي شمت بأنصار اليهود
صب البلا من فوقهم والحق بقايا رزقهم

1- مقدم مبروك، محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والمراجع التاريخية، دار الجزائر كتاب، تلمسان (الجزائر)، ط1، 2002، ص21.

وافتح لهم من حقهم بابا إلى نار الوقود

ثم يستثني بالدعاء عليهم:

إلا الذين استغفروا وجبروا ما كسروا

وبينوا ما ستروا حتى استقامت الحدود

فأغفر لهم ما قد مضى وأكتب لهم منك الرضا

وعجلن لمن قضى منهم لجنات الخلود.[1]

وأمام عدم قناعة الطرف الآخر بمسعى المغيلي وحججه قرر كل من الطرفين مراسلة علماء الإسلام، فأرسل المغيلي رسالته إلى كل العلماء الذين عرفوا في زمانه شارحا ومبرزا حججه إلى علماء فاس خاصة، فقرؤوه ومنهم من مدح موقفه ومنهم من خالفه، وتركت الحادثة صدى كبير بالمغرب الإسلامي وعرفت "بقضية يهود توات "فأيده الحافظ التنسي وكذا الفقيه السنوسي.[2]

ورغم كل ما وصل للمغيلي من الردود الحسنة المعززة لمسعاه واجتهاده وما كان يصبوا إليه هو وأتباعه، إلا أن المغيلي لم يهدأ له بال ولم يغمض له جفن حتى جهز راحلته وانطلق يشق الطريق لعاصمة العلم في ذلك الزمان فاس وبعد وصوله إليها عام (891هـ . 1491م) ليلتقي مخالفيه ليقارعهم بالحجج والبراهين ويبين وجه الرأي لديه بعد أن حمل جماعة من مماليكه الفقهاء وقد كلف المغيلي أحد أمهر فقهائه المماليك وكان اسمه ميمون وطلب منه تفصيل المسألة، وحينما رأى العلماء المخالفون ذلك رجعوا لديارهم ورفضوا الحديث مع المملوك محتقرين له[3]، وقالوا للسلطان في غيبة المغيلي عنهم إن هذا الرجل مراده الظهور والملك وليس مراده الأمر بالمعروف

1 – عبد الكريم المغيلي، المصدر السابق، ص61و62.

2 – أحمد الونشريسي، والمعيار المعرب عن فتاوي علماء إفريقية الأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، ج2، ط1، 1981، ص 130.

3– ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر أولياء تلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 249.

والنهي عن المنكر[1]، وحين قصد المغيلي السلطان وسلم عليه قاطعه قبل أن يتم حديثه متهما إياه بالسعي وراء الملك فقال المغيلي والله ما عندي إلا هي والكنيف سيان[2]،وأنصرف معاهدا الله أن لا يجلس عند السلطان ممن يجاري أهل الباطل وقفل راجعا لتوات حيث استخلف ابنه عبد الجبار نائبا عنه في القضاء وترك رسالة لجمهور مدينة تمنطيط ولتلامذته الذين بايعوه بالولاية الشرعية وشد الرحال قاصدا بلاد السودان حيث نزل بتقدة وحفر بها بئرا وبنى بها مسجد الكرامة [3]، داعيا لله بربوعها ناشرا الإسلام ومختلف علومه ومخلفا العديد من الكتب، حيث التقى هناك سلطان السودان الأسقيا محمد وألف له كتابا حول أحكام الشرع وقواعد الإسلام، وأثناء تواجده بالسودان وصله خبر اغتيال ابنه عبد الجبار فاستاء المغيلي واستأذن الأسقيا بالرجوع لتوات فأذن له ووصل لتوات مطلع عام (909هـ.1515م) فوجد أن حاكم توات قد أرجع اليهود بدعوى تعطل مصالح الناس التجارية اعتمادا على فتوى العصنوني ، فزحف المغيلي بجيش عظيم قاصدا ديار، وقصور اليهود فتصدى له الشيخ عمرو بن عبد الرحمان حاكم الإقليم وكانت الغلبة لهذا الأخير وانهزم المغيلي ومعه من شايعه وصفد قصر أولاد محمد وطردوا، أما المغيلي فقد استضافه أهل بوعلي بزاوية كنته وأحبوه ومكث معهم شهورا إلى وفاته في نفس السنة (909هـ.1515م) بعد عمر من العطاء والجهاد و الرحلة في طلب العلم والدعوة والتدريس، واستمر اليهود في البقاء في توات بعد المغيلي لكنهم لم يسلموا من مناوئة ومقاومة تلامذة وأحبة المغيلي وأتباعه حتى أسلم من أسلم وغادر من غادر.

4) بداية أطماع أحمد المنصور السعدي في توات:

بعد أن تحولت طرق القوافل التجارية من السوس وولاته إلى تمنطيط عاصمة الإقليم حيث يقول ابن خلدون " لما صار الأعراب من البداية يغيرون على سابلتها ويعترضون رفاقهم، فتركوا تلك الطريق أي خط السوس، ولاته، ونهجوا الطريق إلى

1- نفس المصدر، ص249.

2- نفس المصدر، ص249.

3- مقدم مبروك، الإمام عبد الكريم المغيلي، مرجع سابق ص 101 – 106.

بلاد السودان من أعلى تمنطيط"[1]، أدى هذا التغيير إلى تحريك الأطماع المغربية أيام دولة السعديين حيث أن سلطان بعد أن تحولت طرق القوافل التجارية من السوس وولاته إلى تمنطيط عاصمة الإقليم حيث يقول ابن خلدون " لما صار الأعراب من البداية يغيرون على سابلتها ويعترضون رفاقهم، فتركوا تلك الطريق أي خط السوس، ولاته، ونهجوا الطريق إلى المغرب مولاي أحمد منصور الذهبي جر عليهم جيشا قاومهم التواتيين بشدة وحزم كبيرين[2]، وذلك عام (990هـ . 1590م) ومني الجيش المغربي بفشل ذريع بسبب مقاومة الأهالي لهم حيث لم يعهد التواتيون أن يحكمهم أحد أو يسيطر عليهم حيث يقول صاحب البسيط... أهل تمنطيط على شهوة في الزعامة إن لم يملكوا فلا أقل من ألا يملكهم أحد[3] فأهل تلك البلاد قد أنكفت عنهم أيدي الملوك ولم تسسهم الدول منذ أزمان ولا قادهم سلطان قاهر إلى ما يراد منهم.[4]

وبقيت فكرة غزو توات وبلاد السودان تراود فكر المنصور للسيطرة على توات ومناجم الذهب والملح، فعاود الكرة عام (991هـ . 1591م) واختار لقيادة حملته حاكم فاس أبي عبد الله محمد بن بركة وحاكم مراكش أبي العباس بن الحداد العمري، وتواعد القائدان اللقاء بسجلماسة واتفقا على غزو تيكورارين أولا وذلك لما كانت أحد شكوتها واعتمدوا تيميمون فنزلوا عليها بعد سبعين مرحلة من مراكش.[5]

وقد نكل العساكر في السكان العزل وأطلقوا أياديهم للنهب والسلب وقذفوهم بقذائف النار والتي أتت على كثير من الحصون والدور وقطعوا مئات النخيل وخربوا كل ما جاء في طريقهم من البساتين، بعد أن أبدى لهم سكان تيكورارين بقصورها مقاومة باسلة والتي لم تصمد طويلا أمام ما جلبه طاغية عصره المنصور من أسلحة لا

1- عبد الرحمان بن خلدون، العبر، مرجع سابق، ص 72.

2- مقدم مبروك، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي .... مرجع سابق، ص 117.

3- بابا حيدة، مرجع سابق، ص 27.

4- أحمد الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، القاهرة ،1904، ج2، ص 98.

5- مقدم مبروك، الإمام المغيلي...، المرجع السابق نص74.

قبل ولا عهد لأهل الإقليم ومحاربوه بها وأبلي القوم في الدفاع عن أنفسهم من وراء الجدران، وامتنعوا عن إلقاء اليد فأذاقهم العساكر نكال الحرب، وأرسلوا الصواعق عليهم عامة يومهم ووصلوهم بالنهار[1]، واقتيد أعيان وشيوخ قورارة إلى الأسر ولما تنامى لحاكم الإقليم حفيد الشيخ عمروا بن عبد الرحمان عقد اجتماعا طارئا ضم قضاة توات وأشرافها من القبائل العربية والبربرية وطلب الرأي قبل وصول الخطر أبواب تمنطيط ، فأشاروا عليه بطلب الأمان فاستوثق منهم لنفسه وقومه بما أراد [2]، إلا ما كان من عرب قصبة أولاد عبد الله فإنهم رفضوا الاستسلام فأبادوهم وحيواناتهم وسووا بقصبتهم الأرض[3]، وبعد هدوء العاصفة وانتهاء العدوان واحتلال البلاد ثبت الشيخ عمر بن أحمد بن عبد الرحمان فتمهدت له الأرض واتخذ السجون وقاتل البغاة (معارضي الاحتلال المغربي) من رؤساء توات.[4]

ولقب هذا الحاكم عمرو الأصغر وقد هلك صباح الثلاثاء سادس شهر جمادى الأول (1014هـ 1614م)، ثم خلفه الشيخ العياشي بن عبد الله بن عمرو، إلى أن وصل الأمر إلى الشيخ الحسن ابن الشيخ باحموا بن الحاج محمد [5]، فلم يستقم له الأمر ولم يجمعوا عليه بسبب جرائمه فعزلوه وولوا عليه الشيخ أحمد بن الشيخ باحموا بن عبد الرحمان بعد أن تحالف مع إحدى قبائل توات (أولاد أملوك) ،وبعد هذا التاريخ لف الإقليم النسيان من قبل حكومة المغرب شأنه شأن الجنود المغاربة الذين دفعهم طمع المنصور إلى غياهب السودان بعد أن تأكد المنصور أن عمله لا طائل من ورائه، يبدوا أنه لم يعد يهتم بالبلاد وأهمل شأنها بعد ذلك[6]، ومن الأمور التي شهدها الإقليم التواتي نهاية القرن السابع عشر ميلادي انتقال عاصمة الإقليم من تمنطيط إلى تمي (

1 – السلاوي المصدر السابق ص 74.

2 – المصدر نفسه، ص74.

3– المصدر نفسه، ص74.

4 – محمد بن عبد الكريم التمنطيطي، أضواء على إقليم توات مخطوط، ص 161.

5 –ابن أحد قادة توات وهو عبد الله بن عمرو أحد أبناء الشيخ عمرو بن عبد الرحمان.

6– عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ش.و.ن.ت، الجزائر، ،1992ص95.

أدرار الحالية) بعد صراع طويل بين قبائل أولاد أحمد بتيمي وبين قبائل أولاد داوود بن عمرو و أولاد يحيى من تمنطيط.[1]

ولم يأفل نجم تمنطيط حاضرة توات بتحويل السيادة عنها بل استمر إشعاعها العلمي والثقافي واحتضانها لأسواق القوافل التجارية القادمة من كل مكان حتى قدوم الاستعمار عام 1900 الذي كان استدمارا حقيقيا لتجارة القوافل الصحراوية حيث استعاض المستعمرون عن التجارة بنهب ثروات الأفارقة وتوجيهها لموانئهم وأسواقهم مجانا والتفتت فرنسا للإقليم بعد إحساسها بالخطر الذي كان بمثله حيث كان مركزا لعبور الأسلحة والمجاهدين.

1- محمد ابن المبارك، تاريخ توات، مخطوط، ص06.

المصادر والمراجع

أ) المخطوطات:

1) -محمد بن عبد الكريم البكراوي، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط، خزانة بن ع الكبير، المطارفة (أدرار).

2) -محمد بن عمر الجعفري، نقل الرواة من أبدع قصور توات، مخطوط، زاوية سيدي حيدة، بودة، ص05.

3) -عبد الكريم التمنطيطي، تقاييد عن تاريخ توات، زاوية سيد البكري، تمنطيط.

(4محمد بن عبد الكريم البكراوي التمنطيطي، أضواء على إقليم توات، زاوية تمنطيط، الجزائر.

ب) المصادر والمراجع:

1) عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، ج 6، بيروت ،1983.

2) عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، هوداس، باريس، 1964.

3) مقدم مبروك، محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والمراجع التاريخية، دار الجزائر كتاب، تلمسان (الجزائر)، ط1، 2002.

4)-Despois (J), le djebel lرَحِمَهَاٱللَّهُamour, presse universitaire de France, paris

5) -(J) Oleil (Touat au moyen âge. Les juifs au Sahara. CNRS. ED ; paris ; 1994.

6) عبد الله الاسماعيلي، لمحة عن نشأة الفقارة وتطورها بتوات، أنظر مجلة النخلة، عدد تجريبي، جويلية 2005.

7) بابا حيدة، البسيط في إخبار تمنطيط، تحقيق فرج محمود فرج، الجزائر،1977.

8) عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، في القرن 9ه إلى 14ه، دار الهدى ع مليلة،2003.

9) غيثاوي التهامي، سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي توات، ج1 ط1، الجزائر،2003.

10) أبي عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقيا والمغرب، تحقيق حماه الله ولد السالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2013

11) الصديق الحاج أحمد، التاريخ الثقافي لإقليم توات، مديرية الثقافة (أدرار) ،2003.

12) أحمد الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، القاهرة ،1904.

13) أحمد الونشريسي، والمعيار المعرب عن فتاوي علماء إفريقية الأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، ج2، ط1، 1981.

14) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، ش.و.ن.ت، الجزائر، ،1992.

15) ابن مريم التلمساني، البستان في ذكر أولياء تلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.

مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد الخامس (ديسمبر 2018 م)
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

الرحلة العلمية الجزائرية
قراءة في المفهوم و الدوافع

د. الأحمر قادة / أ. عطلاوي عبد الرزاق
جامعة سيدي بلعباس

ملخص

الرحلة العلمية هو ارتحال الطالب لغرض التزود من العلوم بلقاء المشيخة والعلماء، ولاكتشاف أمور علمية حتى يتم حصول كمال التعلم والمعرفة، وفيها دلالة على أهميتها وأهمية أغراضها، كما تكمن في كونها تمثل مظهرا من مظاهر الحضارة العربية و الإسلامية، فتحت الآفاق المعرفية، واستقصت العادات البشرية، واحتضنت القوافل التجارية ودونت فنون المجالس العلمية، وألغت الحدود السياسية. وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية أن نقف عند مفهوم الرحلة بصفة عامة والرحلة العلمية الجزائرية بصفة خاصة، مع التركيز على أهم دوافعها.

الكلمات المفتاحية: الرحلة ؛ الرحلة العلمية ؛ دوافع الرحلة.

Abstract

The scientific trip is the trip of the student for the purpose of providing science to meet teachers and scientists, And to discover scientific things until the completion of learning and knowledge. The scientific journey can be considered one of the manifestations of Arab and Islamic civilization, and we will try through this paper to stand at the concept of the trip in general and the Algerian scientific trip in particular with a focus on the most important motives.

Key words: The trip; the scientific trip; the motives of the trip

تقديم:

حفل القرآن الكريم بأمثلة عديدة لأنواع الرحلة على الرغم من عدم ورود لفظ الرحلة فيه إلا مرة واحدة، وذلك في سورة قريش، قال تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ{1} إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ{2} فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ{3} الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ{4}﴾[1].

وقد أفردت هذه السورة بكاملها للحديث عن الرحلة، وفيها دلالة على أهميتها وأهمية أغراضها، كما تكمن في كونها تمثل مظهرا من مظاهر الحضارة العربية و الإسلامية، فتحت الآفاق المعرفية، واستقصت العادات البشرية، واحتضنت القوافل التجارية ودونت فنون المجالس العلمية، واقتحمت الحدود السياسية، ولقد استمر التفاعل والتلاقح بين المشرق والمغرب عبر التاريخ[2]، إذ كل منهما يشعر بحاجته للآخر وهو يحاول اكتشاف العالم المحيط به، في كنف الرحلات المتعددة أسبابها وحوافزها ومقاصدها وأهدافها .

1 – مفهوم الرحلة العلمية

أ- مفهوم الرحلة لغة

الرحلة في اللغة الترحيل والارتحال، بمعنى الإشخاص والإزعاج، ويقال رحل الرجل إذ سار، فالرحلة هنا بمعنى السير والضرب في الأرض، وجاءت الرحلة بمعنى الارتحال أي الانتقال من مكان لآخر، والترحل والارتحال الانتقال، وهو الرحلة، والرحلة اسم للارتحال[3].

1) القرآن الكريم ، سورة قريش، الآية 1-4 .

2) محمد افرخاس ، نادية صلاح محمد صديق : رحلات المغاربة إلى المشرق ودروها في تعزيز ثقافة التواصل ، دبي الإمارات العربية المتحدة (د- ت) ، ص 02 .

3) ابن منظور : لسان العرب، مج1، تح: عبد الله علي الكبير، وآخرون، (د- ط) ، دار المعارف، القاهرة ، (د- ت)، ص 1609 .

وفي قاموس محيط المحيط ((رحل عن البلد يرحل رحلا ورحيلا وترحالا، شخص وسار و راحله عاونه على رحلته، وترحل القوم عن المكان انتقلوا، والرحلة النوع من الرحيل، يقال رحل فلان رحلة من لا يعود، والرحلة بالضم، الوجه الذي يقصده الراحل أو بالكسر الارتحال، يقال غدا رحلتنا أي ارتحالنا، ومكة رحلتنا أي الجهة التي نقصدها ونريد أن نرتحل إليها))[1]،ومنه قوله تعالى: ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ﴾[2]، ورجل رحول ورحّال ورحّالة كثير الرحلة: ويقال (ارتحل البعير) رحلة :(سار ومضى) وقد جرى ذلك في المنطق حتى قيل : ارتحل القوم عن المكان ارتحالا : إذا انتقلوا[3].

وقد يرتبط مفهوم اللغة في الأصل اللغوي العربي بركوب الإبل أو الجياد ونحوهما وترويضها حتى تصير راحلة، وقد نقل ابن منظور عن أبي زيد قوله: ((أرحل الرجل البعير ... إذ أخذ بعيرا فجعله راحلة...)) ، ثم يضيف بن منظور : ((الراحلة من الإبل، البعير القوي على الأسفار والأحمال، وهي التي يختارها الرجل لمركبه ورحله))[4].

وانطلاقا من هذه المعاني يمكن القول أن تحقيق متعة الاكتشاف من ناحية والرغبة في مكابدة الشدائد، والتغلب عليها من ناحية أخرى، هما من الأضداد التي ينشدها الإنسان في الرحلة[5] .

1) بطرس البستاني : محيط المحيط ،ج3، مكتبة لبنان ، بيروت ، ،1977 صص 367 – 368 .
2) سورة قريش : الآية 02 .
3) محمد الحسيني الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، مج16، ج29 ، تح:عبد الفتاح الحلو ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، 1997 ص 59 .
4) ابن منظور: المصدر السابق، ص1609 .
5) سميرة أنساعد :((صور المشرق العربي من خلال رحلات الجزائريين في العهد العثماني))،**مجلة التراث العربي**، العدد 97، دمشق، 2005 ص 1.

ب-مفهوم الرحلة اصطلاحا:

يمكن تعريف الرحلة على النحو الآتي فنقول: ((انتقال واحد أو جماعة، أو عائلة أو قبيلة، أو أمّة، من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة ،... وإن كان انتقال رجل أو جماعة لكشف أمور علمية أو تاريخية أو جغرافية ... سميت رحلة))[1] .

وعرف الإمام الغزالي السفر – الرحلة[2]– بأنها : ((نوع حركة ومخالطة، أو نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة – وأوضح- بأن الفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من هرب أو طلب، وأن الإنسان لا يسافر إلا في غرض والغرض هو المحرك سواء تعلق بأمور دنيوية أو دينية لطلب العلم أو العبادة مثل الحج ونحوه))[3].

وهناك من عدّها ((انجازا أو فعلا فرديا أو جماعيا لما يعنيه اختراق حاجز المسافة وإسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الآخر، ويتأتى هذا الانجاز من أجل هدف معين ويجاوب هذا الهدف إرادة الإنسان وحركة الحياة على الأرض بشكل مباشر أو غير مباشر ... وقد تكون الرحلة هواية تشبع حاجة الإنسان وترضيه، وقد تكون احترافا يخدم حاجة الإنسان ويشبعه، ولكنها تكون في الحالتين – استجابة مباشرة لحوافز الرحلة ودوافع محددة تدعو بكل إلحاح للحركة والتنقل))[4] .

أما الحركة خلال الرحلة بقطع المسافات فهي السفر، وجمعه أسفار ومنه قوله تعالى : ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ﴾[5]، والحركة جوهر الرحلة، وهي مكون

1) زكريا العابد : الجزائر في العهد العثماني من خلال رحلات أوربية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر ،2006/ 2007، ص 15 .

2) ناصر عبد الرزاق الموافي : الرحلة في الأدب العربي – حتى نهاية القرن الرابع الهجري- ، ط1، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ،1995 ، ص 24.

3) أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، ج6 ، دار الشعب ، القاهرة (د.ت) ، ص 1080.

4) ناصر عبد الرزاق الموافي : المرجع السابق ، ص 24-25.

5) سورة سبأ : من الآية 19 .

أصيل من مكونات الإنسان لأن الحركة دليل عل الحياة[1]، كما يقول ياقوت الحموي: ((والسكون من دلائل الموت، وأن تتحرك حركة ضعيفة يؤمل أن تقوى أحب إلي من أن تسكن))[2].

وفي إشارة لأبي الحيان التوحيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة قوله:((والحركة أوضح برهان على كل موجود حسي، والسكون أقوى دليل على كل موجود عقلي))[3] .

ومما سبق يمكن اعتبار الرحلة على النحو الآتي: هي ما يحوزه المرتحل(السائر) بغيه طلبه وغرضه، وقد تكون فنا أدبيا علميا تتوفر على مادة قيمية علمية وأدبية، تساهم في التاريخ والجغرافيا والأدب وعلم الاجتماع .

ب- مفهوم الرحلة العلمية :

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين هذا النوع من الرحلة، وأشهر رحلة علم وردت فيه، هي رحلة موسى مع الخضر عليهما السلام ليتعلم منه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ

لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً ... ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾[4] وحثّﷺعلى الجد في طلب الرحلة و الترحال لأجل العلم، فحثّ على زيارة مسجده الذي يعتبر بمثابة كبرى الجامعات في العالم الإسلامي يقبل إليه طلبة العلم للتزود منه فما روي عنه ﷺحاثا على زيارته للعلم ما رواه أبو هريرة قال: ((من جاء

1) لاناصر عبد الرزاق الموافي: المرجع السابق، ص 25.

2) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مج2، دار صادر ، بيروت ،1977، ص 420.

3) أبو حيان علي بن محمد ابن العباس التوحيدي: الإشباع والمؤانسة ، ط1، تح، محمد حسن، إسماعيل دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 2003 ، ص 138.

4) سورة الكهف: الآية 60-82 .

مسجدي هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه، أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله ومن جاء لغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر على متاع غيره))[1] .

فهذه الآيات و الأحاديث مثال واضح ضربه الله تعالى لبيان أثر الرحلة في طلب العلم وبيان وجوبه، وقد فهم المسلمون معنى ذلك مبكرا، فسعوا لطلبه من مكان إلى آخر مع الحرص على لقاء العلماء والأخذ عنهم[2].

ويرى ابن خلدون أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة تزيد في اكتمال التعليم فعلى قدرة كثرة الشيوخ وتعددهم يكون حصول ملكات التعليم ورسوخها في ذهن طالب العلم ولهذا السبب نجد أن علماء المسلمين اهتموا بها كثيرا[3] .

ومنه فإن مفهوم الرحلة العلمية هو ارتحال الطالب لغرض التزود من العلوم بلقاء المشيخة والعلماء، ولكشف أمور علمية ، حتى يتم حصول كمال التعلم والمعرفة.

2- دوافعها:

مما لا شك فيه أن التحديات التي فرضتها المتغيرات الطبيعية والبشرية والسياسية والتي أعلنت عداءها السافر ضد الإنسان، ومن أجل الحياة والمعرفة انتقل وتحرك وهاجر وخاطر وخاض التجربة، وطلب التعايش مع واقع طبيعي آخر، في موطن جديد ومكان آخر ولعل أهم هذه المتغيرات والمتطلبات التي ساهمت في بروز الرحلة عموما والعلمية خصوصا يمكن طرحها على النحو الآتي:

1) أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ابن ماجة):سنن ابن ماجة ، تح: بشار عواد معروف ، مج1، ج1،دار الجيل ، 1998، ص217.

2) عواطف محمد يوسف نواف : الرحلات المغربية والأندلسية ، مطبوعات مكتبة فهد الوطنية، الرياض 1996، ص 34 .

3) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، تح: عبد السلام الشدادي ، ج3، ط1، خزانة بن خلدون ، بيت الفنون والعلوم والآداب ، الدار البيضاء المغرب ، 2005 ، ص 226 .

أ- الدافع العلمي :

تعود نشأة الرحلة في طلب العلم إلى بداية انتشار الإسلام فهي من الممارسات التي أكد عليها الدين وطالب بها أفراده، فقد كان من المعتقد أن اكتمال العلم لا يتم إلا بالرحلة إليه[1]ويرى بن خلدون:((أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة تزيد في اكتمال التعليم، فعلى قدر كثره الشيوخ وتعددهم يكون حصول ملكات التعلم ورسوخها في ذهن طالب العلم))[2] ولهذا السبب نجد أن علماء المسلمين اهتموا كثيرا بالرحلات العلمية .

وهناك من اعتبر الرحلة تفتّح حبّذها الإسلام، أو رحلة انفتاح دعا إليه الإسلام أو رحلة تنور لحساب الإسلام، وخروج طالب العلم في هذه الرحلة وصولا إلى مجالس العلماء يمثل دعوة مفتوحة من الله لكل الناس لكي يتدبروا ويتمعنوا، سواء كان لأجل التفقه في الدين، أو من أجل التعمق في علوم الدنيا[3] .

أما على الصعيد الجزائري فإنه يمكن القول بأنه كان للجزائر في العصر الحديث رحلات علمية قام بها أصحابها لأغراض عدة يمكن الإشارة إليها من خلال الآتي :

1- طلب العلم والإطلاع : وذالك لغرض طلب العلم والزيارة والاطلاع والأخذ من علماء المناطق المقصودة ومن أقدم من فعل ذلك كما أشار أبو القاسم سعد الله : عاشور موسى القسنطيني[4]، المعروف بالفُكيرين (بضم الفاء وفتح

1) نواف عبد العزيز : رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن 6هـ - 8هـ ، ط1، دار الأهلي للنشر والتوزيع بيروت ، 2008 ، ص 08 .29 .

2) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 226 .

3) صلاح الدين الشامي : الرحلة عين الجغرافي المبصرة – في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية ، ط 2، منشأة المعارف للنشر ، الإسكندرية، 1999، ص 17 .

4) نشأ في قسنطينة وأخذ العلم عن والده توفي والده سنة 1054هـ ، شد الرحال لطلب العلم في عدة بلدان ، توجه في آخر حياته إلى تونس ثم إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مع أهله ليدركه الموت بها سنة 1074هـ. انظر: أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج2، ط6 ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ، ص 383.

الكاف – وهو لقب والده) الذي كان أديبا جمّ المعارف، ذكيا شديد الفطنة والحفظ، وهو رحاله دامت رحلته عشرين سنة .

وكذا رحلة عبد الرزاق بن حمادوش الذي عاش في القرن الثاني عشر هجري 12هـ، وهي رحلة قام بها لطلب العلم والتجارة من مدينة الجزائر إلى تطوان ومكناس و فاس، ثم عاد إلى الجزائر من تطوان الذي وصف الحياة العلمية وجوانب من الحياة السياسية والاقتصادية في المغرب، وقد كان العلماء الجزائريون كثيرا ما يذهبون إلى هناك للدرس والإقامة، ونحو ذلك من الأغراض ومنهم محمد الزجاجي، الذي كان من أبرز علماء تلمسان، ورحلة الحاج بن الدين الأغواطي إلى الصحراء التي كتبها سنة (1242هـ)، والتي تعتبر غاية في الأهمية واستفاد منها الأوروبيون والأمريكيون أثناء اهتمامهم بالصحراء ومحاولة اكتشافها، حيث ترجموها إلى الفرنسية والانجليزية[1] .

2- الإجازات العلمية والسلوكية :

ومن العوامل كذلك ما يعرف بالإجازات العلمية والسلوكية[2]، والتي كانت من العوامل المساهمة في بروز الرحلة العلمية، نذكر على سبيل المثال منها :

إجازات الورتيلاني، حيث قدر عدد شيوخه بمصر (22) شيخا منهم المغاربة المقيمون بمصر وكذا المصريون، تحصل على إجازات من بعضهم، وكذا إجازات أبي راس الناصري المعسكري، حيث تحاور وتفاوض مع علماء مصر وفي مقدمتهم ثلاثة أعمال تحصل منهم على إجازات وتقديرات خاصة، وهم السيد مرتضى أبو الفيض

1)أبو القاسم سعد الله :المرجع السابق، ص ص85-87.

2) الإجازة : هي وسيلة من وسائل الأخذ والتحمل ، تكون بأشكال مختلفة ، شفوية وكتابية وخاصة ، نثرية ونظمية ، لا تكتب إلا بعد استفاء شروطها ، وقد تصدر من عامة العلماء كما قد يتساهلون في منحها لكل راغب فيها ، حتى وان لم يكن بالغا راشدا ممن ينسحب عليه شرط المعاصرة ، أملا في نشر العلم والرواية وربط الصلات بين المشرق والمغرب . أنظر : فقيقي محمد الكبير: ((التواصل العلمي بين اعلام المغرب ومصر أثناء القرنين(17م و 18م) من خلال رحلات المقاربة الحجازية))، محاضرةبقسم التاريخ ، جامعة بشار، الجزائر (د.ت) ، ص 03 .

محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، وهو من أعلام اللغة والحديث ومن مؤلفاته تاج العروس، توفي (1790م) والشيخ الأمير محمد، الذي نبغ في الحديث ومختلف الفنون توفي (1818م)، ثم الإمام الشرقاوي عبد الله حجازي إمام الأزهر[1].

3- تبادل المصنفات والتآليف والرسائل :

اشتهر العلماء المغاربة بشراء الكتب والرسائل واقتنائها من مصر وبلاد المشرق وشملت فنون مختلفة ومنهم أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي[2]، صاحب الرحلة الناصرية حتى قيل أنه اشترى بمصر في آخر حجاته ، مائة مثقال ذهب[3] من الكتب، ومن مكة اشترى صحيح البخاري بثلاثة وسبعين مثقال ذهبا، وكذا الحسين الورتلاني الذي احتفظ لنفسه بنسخة من رسالة التوحيد لشيخه علي البيومي الصوفي الأحمدي[4] .

وما نتج عن هذه الرحلات والاتصالات، أنها ساهمت في بلورة الحركة العلمية في المغرب ومنه الجزائر في الفترة الحديثة، وعادت عليها بفوائد كثيرة خاصة وأن هذه الرحلات كانت تتجه إلى عواصم الأقطار الإسلامية الشهيرة مثل: القيروان ثم جامع الزيتونة فيما بعد في تونس، والإسكندرية والقاهرة والأزهر في مصر، ومكة والمدينة في الحجاز وغيرها من مراكز الزخم العلمي آنذاك .

---

1) فقيقي محمد الكبير : المرجع السابق، ص04 .

2) هو أبو العباس أحمد ابن عبدالله محمد بن ناصر الدرعي ، ولد سنة 1057هـ، كان ممن نصر السنة في المغرب وحبذ أعمالها وآدابها وتعصب لها تعصب الغيور الهصور، له رحلة حجازية ذكر فيها من لقيه وأجازه بالمشرق ، توفي في 18ربيع الثاني عام 1129هـ.أنظر:عبدالحي الكتاني : فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات ، تح: إحسان عباس ، ط2، ج2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1982، ص677 .

3) عبد الحي الكتاني : المرجع السابق ، ص677.

4) فقيقي محمد الكبير : المرجع السابق، ص04 .

ب- الدافع الديني :

يعتبر الدافع الديني من أقوى الدوافع المحركة للرحلات العلمية، خاصة وأن بلاد المغرب عرفت جوا روحيا خاصا، حتى أصبحت المقاييس الدينية متحكمة في مختلف مناحي الحياة، وأصبح الدين حينها القاسم المشترك الذي يجمع الآراء والجهود، لاسيما وأن الحياة الدينية اتسمت بمظاهر عديدة وأشكال متنوعة في المجتمع المغربي، منها انتشار التصوف الذي كان له الأثر البالغ في الحياة الاجتماعية وقد انتشر بين عامة الناس وفضلائهم من علماء وفقهاء[1] .

ومما يجد الإشارة إليه أن الرحلة إلى الحجاز (مكة والمدينة) أضحت واجبا دينيا مرتبطا بفترة زمنية محددة، وتهون في سبيل تحقيقها كل التضحيات وهذا من أجل تأدية فريضة الحج، والقيام بالمناسك التي تتبعه، ولقد كان القيام بهذه الفريضة رغبة الجميع في المغرب العربي، علما بأن هذا السلوك كان مصاحبا للمجتمع المغاربي الذي يضع الدين في المرتبة الأولى ضمن أولوياته[2].

ومن الأمثلة على بعض هذه الرحلات على سبيل المثال لا الحصر في الفترة الحديثة

رحلة أبو راس الناصري[3] إلى الحجاز التي كانت رحلته دينية علمية، وروى عند دخوله إلى أم القرى (مكة) قال: ((فاجتمعت بعلمائها وفقهائها كالعلامة الدارك

1) نواف عبد العزيز: المرجع السابق، ص 25 .

2) نفسه، ص 26 .

3) هومحمد بن احمد بن عبدالقادر بن محمد الراشدي الجليلي المعسكري المعروف بأبي راس ، ولد سنة 1150هـ/ 1737م مؤرخ حافظ ، له مشاركة في الفقه والأدب والحديث ، وغير ذلك ، عرف بعلمه الواسع وكثرة حفظه حتى لقب في مصر بشيخ الإسلام ، له عدة مؤلفات ، أهمها فتح الإله ومنته في التحدث بفضل رب العباد، وحاشية على الشرح الكبير، نثر المقامات الحريرية ويرها ...، توفي بمعسكر سنة 1238هـ/1824م .أنظر: عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر – من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر- ، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، بيروت،

السيد عبد المالك .... وكنت قرأت عليه نبذة من الحديث من الكنز، وشيئا من التفسير في سورة النور وأجازني بالباقي ....))[1] .

كما قام الأمير عبد القادر[2] بن محي الدين[3] برحلته لأداء فريضة الحج والتي زار من خلالها الكثير من الحواضر العلمية المشرقية ، كتونس و الإسكندرية والشام وبغداد، وهو ما أشار إليه الأمير عبد القادر من خلال رحلته التي ألّفها عند أدائه لمناسك الحج،وما تعلق بها من زيارة بعض الحواضر .

وعنها يقول الأمير عبد القادر عن رحلته ((ذكر ما انتهى إليه أمر هذا السيد (يقصد عبد القادر) بعدما بذل مهجته ، وسلك نهجته في حماية بيضة الإسلام .... بعد أن حصّل السياسة الأدبية بالوطن، وحاز الرياسة العلمية في كل سكن وقطن....

1980، ص ص 306-307. أنظر أيضا : أبو القاسم الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة فونتانة الشرقية ، الجزائر ، 1906، ص 332.

1) سميرة أنساعد : المرجع السابق، ص2 .

2) هوعبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار ، الحسني الجزائري ، أمير مجاهد شاعر أديب عالم صوفي ولد سنة 1808م في إحدى قرى الجنوب الوهراني ، بالغرب الجزائري وتعلم بها ، أدى فريضة الحج مع والده سنة 1241هـ ، ثم زار بغداد و دمشق إلى أن عاد إلى الجزائر وبويع للقيادة والقيام بأمر الجهاد عام 1834م بعد احتلال فرنسا للجزائر ، سافر إلى دمشق عام 1271هـ واستقر بها إلى أن توفي في عام 1883م ، له مؤلفات منها ذكرى العاقل ، ورسالة في الأخلاق (المواقف) وديوان شعري . أنظر: عادل نويهض : المرجع السابق ، ص104.

3) هو محي الدين بن مصطفى بن محمد الحسيني الجزائري ،عالم بالفقه من الأعيان ولد سنة (1190هـ /1779م) بالقيطنة، وتعلم بها و مستغانم ، حج ثلاث مرات مر في آخر حجاته على بغداد، أثر عنه أن له عدة كرامات ، توفي رحمه الله يوم الأحد 03 ربيع الأول 1249هـ / 1834م وهو والد الأمير عبد القادر. أنظر: عادل نويهض : المرجع السابق ، ص.114.أنظر أيضا عبدالرزاق البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، تح :محمد بهجة البيطار ، ج3، دار صادر، بيروت ، 1991، ص 1491.

))[1] ويشير هنا إلى أن الأمير عبد القادر أراد أن يعرّف القارئ من خلال رحلاته، أنه حاز على مكانة مكنته وبمساعدة والده من اعتلاه أمور سياسة المسلمين الجزائريين بالغرب الجزائري، إلى أن تولى مكان أبيه لما كان يتصف به من حكمة وحلم وعلم ومعرفة بأمور الحكم والجهاد.

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا الباب واستنادا إلى بعض التقارير الفرنسية كتقرير لوسياني[2]، الذي يشير أنه كان للوازع الديني أثره الواضح لدى المجتمع الجزائري كعامل مهم في الرحلة، وأنه ورغم وجود دوافع وأسباب شتى حملت الأهالي المسلمين – الجزائريين – على الهجرة لكن في نهاية المطاف يبقى الدين هو السبب الرئيسي وهذا ما يسجله حرفيا في قوله : ((وفي رأيي يجب رفض كل الأسباب التي تتعلق بسخط وتذمر الأهالي، أو أن السبب يتعلق بالظروف الاقتصادية الصعبة التي يجتازها، إن مثل هذه الاعتبارات والأسباب لا تضيف شيئا جديدا على ظاهرة الرحيل الجماعي ...، أي السبب الديني والسبب السياسي فالعرب الذين استمعت إليهم وهم يتكلمون فيما بينهم يطلقون على هذه الحركة اسم الهجرة كما هي ماثلة في مخيلتهم التاريخية، هجرة النبي محمد –**صلى الله عليه وسلم**–من مكة إلى المدينة، كما أن الأشخاص الذين يقومون بهذه الرحلة يعرفون بالمهاجرين ، إشارة إلى ما جاء في القرآن من إتباع النبي في هجرته))[3].

1) عبدالقادر بن محي الدين : مذكرات الأمير عبد القادر – سيرة ذاتية – تح : محمد الصغير بناتي وآخرون ، ط7، دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع ،الجزائر،2010، ص 106.

2) شغل منصب مدير شؤون الأهالي بعد الحرب الأولى باعتباره خبير في قضايا الأهالي والإسلام . انظر: نور الدين ثنيو :((هجرة الجزائريين إلى المشرق العربي بين السياسة والدين 1848-1912))،سوسيولوجية الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر،مداخلة ضمن أعمال ملتقى دولي، مطبوعة، جامعة قسنطينة ، 2008 ، ص 102.

3) نور الدين ثنيو: المرجع السابق،ص 102 .

أما تقرير السيد باربيدات (Barbedette) المندوب المالي لمنطقة جيجل ، فيؤكد بدوره على أن الهجرة التلمسانية تمت لأغراض دينية وبقية الأسباب الأخرى فمجرد عوامل عارضة فرغم وجاهة الأسباب الطارئة كما يسميها ، مثل الجفاف والفقر و نقص المحاصيل وغلاء المعيشة ، إلا أنه في نهاية المطاف يبقى السبب الوجيه والقار، هو الشعور الديني المشترك بين جميع سكان العالم الإسلامي، فكل أجزاءه تتلاحم وتنجذب نحو مركز الخلافة الإسلامية، ويقول صاحب التقرير:((إن الواجب القرآني يمنح قوة هائلة للجان الإسلامية القائمة في القسطنطينية،التي تحصّل الدعم مادي والمعنوي من الحكومة العثمانية بقصد تسيير سبيل الهجرة))[1] .

في الأخير إن ما يمكن أن نستنتجه من هذه التقارير هو أن الرحلة الجزائرية كانت تتم في عمومها لأغراض دينية تندرج ضمنها المبررات العلمية مما يضفي على هذه الرحلات الصبغة الدينية العلمية و يمكن القول أن الرحلة العلمية شكلت تقليدا مهما في الثقافة الجزائرية الحديثة والمعاصرة.

1) نفسه،ص 102 .

مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد الخامس (ديسمبر 2018 م)
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

التجارب الوحدوية في الوطن العربي والدروس المستفادة منها جامعة الدول العربية

د. ميلود ميسوم
جامعة الشلف
Email: miloudmissoum02@yahoo.fr

ملخص

إن قيام الجامعة العربية، لم يكن وليد رغبة انجليزية، ولا نتيجة لتصريح بريطاني أصدره وزير الخارجية الإنجليزي أثناء الحرب العالمية الثانية، ففي الأربعينات من القرن الماضي كانت القبضة الاستعمارية لا تزال ممسكة بزمام كثير من خيوط العالم العربي، ورغم أن المنطقة العربية كانت تعج بالقواعد العسكرية الأجنبية، وواقعة ضمن مناطق النفوذ الاستعماري، إلا أن هذه السنوات كانت تشهد مداً تحرريا عارما، وغليانا عربيا يهدد بالانفجار ضد مصالح ونفوذ وقوات الاستعمار. ولا جدال في أن قيام جامعة الدول العربية، وبصرف النظر عن مدى فاعليتها، قد ساعد على خلق شبكة واسعة من المؤسسات الرسمية الجماعية، حيث أسهمت بشكل ملحوظ في تنشيط التفاعلات العربية في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتقنية، وأوصلتها إلى مستوى كان من الصعب تصور تحقيقه في غيابها. وعلى صعيد آخر، يلاحظ أن رغبة بعض الدول الأعضاء التي ترتبط فيما بينها بروابط ومصالح أوثق في إقامة أطر مؤسسية أقوى، أدى إلى ظهور نظم إقليمية فرعية، صمد بعضها كمجلس التعاون الخليجي، وتعثر بعضها الآخر؛ كاتحاد المغرب العربي ، وانهار بعضها الثالث، بعد فترة وجيزة من قيامه ؛كمجلس التعاون العربي الذي قام عام 1989 بين مصر والعراق والأردن واليمن.

الكلمات المفتاحية:

جامعة الدول العربية؛ بريطانيا؛ إيدن، حركات التحرر؛ الاستعمار؛ الشرق الأوسط ؛إسرائيل ؛ الحرب الباردة..

Abstract

Unified experiences in the Arab world and lessons learned from it. League of Arab states

Abstract:

It can be said that the Arab League was not born out of an English desire or as a result of a British statement issued by the English Foreign Minister during the Second World War. In the 1940s, although the colonial grip was still holding many of the threads of the Arab world, With foreign military bases and within the areas of colonial influence, however, these years were witnessing an enormous freedom of expression and an Arab agitation that threatened to explode against the interests, influence and colonial forces. It is indisputable that the Arab League, regardless of its effectiveness, it helped to create a wide network of collective official institutions that contributed significantly to stimulating Arab interactions in all political, economic, cultural, social and technical fields, and brought them to a level that was difficult to imagine without its presence. On the other hand, it is noted that the desire of some member states, which have closer ties and interests to establish stronger institutional frameworks, has led to the emergence of sub-regional systems, some of which have survived (Gulf Cooperation Council), some failed such as (the Arab Maghreb Union) and some of them collapsed shortly afterwards (the Arab Cooperation Council, which was established in 1989,between Egypt, Iraq, Jordan and Yemen)

Keywords: League of Arab states ,Britain, Eden, Liberation Movements, The Middle East, Colonization, Israel, The Cold War.

- **توطئة:**

مرّ المشروع الوحدوي العربي بعدد من التطورات؛ نتيجة لموجات المد والجزر التي تعرض لها التيار القومي عبر المراحل الزمنية المتعددة، فبعد أن استقر هذا المشروع إيديولوجيا في الأربعينات على فكرة إعادة تركيب أشلاء المنطقة العربية المفتتة دولا وعشائر وطوائف متعددة على أسس مستحدثة توفر مزيدا من الحرية والعدالة الاجتماعية، وتحول في الخمسينات، بفعل قوة المد القومي الوحدوي إلى مشروع حاكم ومؤثر في سياسات وتوجهات أكثر من بلد عربي، وكانت فكرة الوحدة - التي تمثل أقصى الطموح القومي- مطروحة في تلك المرحلة كشعار وكهدف سياسي قومي يسعى التيار القومي إلى تحقيقه .

1- الوحدة العربية والأمل المنشود:

تقوم الدعوة لقضية الوحدة العربية بما هي تجسيد لفكرة القومية العربية، وتحقيق وحدة الأمة العربية على توفر عوامل موضوعية ثابتة وتاريخية مستمرة، تتمثل بوحدة اللغة والتاريخ المشترك، والثقافة والتكوين النفسي المشترك، إضافة إلى وحدة الأرض والمصالح الاقتصادية .

وقد ظهرت فكرة الوحدة في العصر الحديث كتعبير عن شعور الشعب العربي بالانتماء إلى قومية واحدة هي القومية العربية، وعن سعيه لتجاوز واقع السيطرة الاستعمارية وطموحه إلى التحرر والاستقلال والاتحاد وإقامة دولة عربية واحدة، كما برزت الدعوة لها والنضال في سبيلها من خلال كفاح الشعب العربي ضد التواجد العثماني الذي دام أكثر من أربعة قرون، ومن ثم ضد سيطرة الاستعمار الغربي الذي ابتلي به الوطن العربي منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر، وكان من أبرز الأثار والنتائج التي خلفها والناجمة عن مخططاته، والمرتبطة بأطماعه وأهدافه القريبة والبعيدة تكريس تقاسم الأقطار العربية، وإخضاعها لنفوذ الاستعمار، وبالتالي فرض حالة من

التجزئة على الوطن العربي، ما تزال قائمة وتتطلب العمل لإزالتها والسير على طريق التحرر والتقدم باتجاه تحقيق الوحدة العربية المنشودة [1].

2- جامعة الدول العربية :

جامعة الدول العربية هي منظمة تضم دول من آسيا وإفريقيا، ويعتبر أعضاؤها دولا عربية، ينص ميثاقها على التنسيق بين الدول الأعضاء في الشؤون الاقتصادية، من ضمنها العلاقات التجارية، الاتصالات، العلاقات الثقافية، الجنسيات ووثائق وأذونات السفر والعلاقات الاجتماعية والصحة، المقر الدائم لجامعة الدول العربية هو مدينة القاهرة.

تعود جذور جامعة الدول العربية إلى حقبة الثلاثينات من القرن الماضي، حين اشتد ساعد حركة القومية العربية في منطقة المشرق العربي [2]، وارتبط ذلك بعدد من المظاهر، مثل اضطراب الوضع الدولي والدعاية الموجهة من ألمانيا النازية اتجاه البلاد العربية ضد بريطانيا وفرنسا، وانتهاء الانتداب البريطاني على العراق عام 1932 ولجوء عدد من القوميين العرب إليه ، وتزايد الهجرة اليهودية إلى فلسطين خصوصا بعد وصول هتلر [3] إلى الحكم في عام 1933[4].

1. حول الوحدة العربية ، عواملها – أهم تجاربها والدروس المستخلصة منها والطريق المؤدية إلى تحقيقها ، حزب البعث الاشتراكي ، القيادة القومية ، مكتب الثقافة والإعداد الحزبي ، سلسلة دراسات ، المطبعة القومية ، دمشق ، 2003 ، ص 5 ، 6 .

2. علي الدين هلال ، مواقف الدول الكبرى من الوحدة العربية - أمريكا والوحدة العربية 1945-1982- مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1،بيروت 1989، ص63.

3. ولد أدولف هتلر في قرية حدودية بين ألمانيا والنمسا تسمى براوناو في العشرين من أفريل عام 1889 من أبوين فقيرين ،مات والده حين كان عمر إبنه 13 عاما ، ومات معه أمله في رؤية إبنه جمركيا ، لكنه قرر أن يكون فنانا فشد الرحال إلى أكاديمية الفنون بفيينا ، لكنه أساتذته قرروا أنه لا يصلح وايست فيه مواهب الفنان أو الرسام ، فوجد نفسه مرميا في شوارع فيينا يقتات من أشغال يومه ، وفي عام 1912 انتقل إلى ميونيخ وعمره 23 عاما ، واستغل بداية الحرب العالمية الأولى وانظم للجيش كمتطوع ، فعين ساعيا للبريد بين الوحدات لضيلة جسمه ، مع ذلك نال وسام

حث نوري السعيد بريطانيا على اتخاذ موقف مدعم، فأصدر في جانفي 1943 مشروعا عن وحدة الهلال الخصيب، والذي اشتهر باسم الكتاب الأزرق، ودعا فيه إلى توحيد سوريا ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين في دولة واحدة، وإنشاء جامعة عربية تضم سوريا الموحدة والعراق وأي بلد عربي يؤيد ذلك، ولنشر فكرته قام نوري السعيد بزيارة خاصة إلى مصر في ديسمبر 1942 قابل خلالها عددا من المؤيدين للحركة العربية [5].

وقع مشروع الاتفاقية، أو ما يعرف ببروتوكول الإسكندرية يوم 07 أكتوبر 1944، أما الميثاق المؤسس للجامعة العربية فقد تم التوقيع عليه في القاهرة في 22

الصليب الحديدي ، خرج من الحرب بجراح عميقة في فكره ، ولعل جرحه الأول كان هزيمة ألمانيا القاسية وإذلالها من قبل الحلفاء بمعاهدة فرساي ، والجرح الثاني كان من اليهود الذين شاهد تصرفاتهم القبيحة وكيف أنهم وحدهم كانوا يستغلون كل معاناة الشعب الألماني ومتاعبه ليزيدوا من ثرواتهم ، وكلما ازداد هتلر قراءة بعد ذلك اكتشف أن اليهود كانوا السبب في انهيار ألمانيا وهزيمتها في عصرها الإمبراطوري الذهبي ، وهو ما جعل كراهيته لليهود بعد ذلك لا تأتي من فراغ ، إلى درجة أنه رفض مقابلة أي يهودي طوال حياته، ، في سنة 1923 أعلن هتلر نفسه رئيسا لجمهورية ألمانيا الجديدة ، لكن الشرطة أوقفته وحكم عليه بالسجن خمس سنوات ، قضى منها تسعة أشهر ، وفي عام 1932 رشح نفسه لمنصب رئيس الجمهورية لكن الارئيس هندبورج تفوق عليه ، فعينه هذا الأخير رئيسا لوزرائه ، فاستطاع في وقت وجيز أن يقضي على جل مشاكل ألمانيا الاقتصادية مما ألهب الجماهير ، وزادت سلطاته حين منحه البرلمان سلطات مطلقة ، وفي 1934 مات هندبورج فاستولى هتلر على السلطة ، وأعلن عن تمرده عن معاهدة فرساي وعصبة الأمم المتحدة ، وطور قدرات العسكرية ، ليزج بالعالم في حرب مدمرة انتهت بملايين الضحايا ودمار في كل شيء. انظر : صلاح منتصر ، الذين غيروا القرن العشرين ،ط1 ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، 2000 ، ص 36 ، 37 .

4. علي الدين هلال ، المرجع السابق ، ص63.

5. نفسه ، ص 64 .

مارس 1945، وأكد أن هدف الجامعة هو إنقاذ وسيادة كل دولة موقعة على ميثاقها[6].

ولقد تفاجأ الإنجليز أكثر من غيرهم بنجاح العرب، وراقبوا بسلبية المساعي المصرية التي لم يعتقدوا أنها يمكن أن تتوج بالنجاح، لكنهم لم يقوموا بأي عمل لمنع قيامها، وسمحوا لشرق الأردن الذي لم يكن قد استقل بعد بتوقيع بروتوكول الإسكندرية[7] .

وكان هدف الجامعة الأول هو إبراز موقف موحد حول فلسطين وحول مستقبل البلدان التي كانت تحت الانتداب الفرنسي ولم يكن هدفها الاعتراض على المواقع البريطانية بالمنطقة ، واتخذت القاهرة مقرا للمنظمة الجديدة رمزيا، غير أن عروبة مصر كانت في تلك الفترة سلبية في جوهرها[8] ، وكان هدف تشجيع التعاون بين الدول هو إعاقة مطامح الهاشميين ، ولم يكن لمصر آنذاك لا الوسائل ولا الرغبة في أن تكون مركزا لتجمع وحدوي للعرب ، ولقد مكن هذا البرنامج الواقعي والأدنى في طموحاته ما اعتبره الكثيرون آنذاك آنذاك خطوة أولى نحو الوحدة العربية، ورغم الشعبية المتنامية للفكرة الوحدوية بين الجماهير العربية فقد وضعت أهم العراقيل لتحقيقها على أرض الواقع ، فالمشاريع كانت تبدو دائما على أنها عبارة عن إرادة توسعية لهذه الدولة أو تلك ، أو هذا النظام أو ذاك، وبالتالي كانت تثير معارضة الآخرين ، وإثر الحرب العالمية الثانية كانت بريطانيا تبدو للعديد من المراقبين كما لو كانت القوة العظمى الداعية سرا للوحدة العربية لفرض هيمنتها على المنطقة، ولقد

6. هنري لورانس ، اللعبة الكبرى الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية ،ترجمة محمد مخلوف ،ط1، دار قرطبة للنشر والتوثيق والأبحاث ،1992 ، ص 58 ، 59 .

7. هنري لورانس ، اللعبة الكبرى ،المشرق العربي والأطماع الدولية ،ترجمة عبد الحكيم الأربد ،ط2 ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ،الجماهيرية العربية الليبية ، 1999، ص ,73

8. هنري لورانس ، الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية ، المرجع السابق ، ص ,59

ظهر نفس التشخيص الخاطيء في الخمسينات والستينات بالنسبة للاتحاد السوفييتي [9].

1-2 مصير الجامعة العربية في ضوء التحديات المستقبلية :

كان الجدل المثار حول الجامعة العربية منذ إنشائها[10] يدور حول فاعليتها وقدرتها على تحمل المهام الموكولة إليها والمسؤوليات الملقاة على عاتقها والآمال المعلقة عليها.

وكانت الانتقادات كثيرة، والهجوم عليها في بعض الأحيان حاداً ولاذعاً، ولكنه كان ينصب دائماً على سلبياتها وجوانب القصور في أدائها، أو عجزها في ظروف كثيرة عن الوفاء بالطموحات المرجوة منها.

إن الأزمة التي تواجهها الجامعة العربية في الظروف الراهنة لم تعد أزمة كفاءة أداء ولكنها أزمة وجود، يجري يومياً وبصورة متباينة وبأساليب متنوعة التشكيك في جدواه بل وفي مبرر استمراره، والهدف الأول لأي نظام هو البقاء، وبهذا المعنى المبسط تكون جامعة الدول العربية قد أنجزت شيئًا محددًا في أعوامها الستين يتمثل في أنها لم تمت، وإنما بقيت قائمة في الواقع العربي كرقم يكبر حينًا ويصغر أحيانًا لكنه دون شك يمثل أحد أركان المعادلة العربية، وقد يستخف كثيرون بهذا المنطق، غير أن بقاء الجامعة لمدة ستين عامًا ليس بالإنجاز الهامشي، فالمؤسسات كما الأفراد تموت[11].

ولا تنتهي مؤسسة ما إلا إذا فقدت مبرر وجودها، وهو إجماع المنتمين إليها على فائدة بقائها، وقد عاصرت جامعة الدول العربية عديدًا من "الترتيبات التنظيمية" آل

9. هنري لورانس ، المشرق العربي المعاصر والأطماع الدولية ، المرجع السابق ، ص ,73

10. تعد جامعة الدول العربية الإطار الوحيد المقبول للعمل العربي المشترك اليوم، ومقرها في مصر.

11. ميلود ميسوم، التحولات السياسية في الوطن العربي وأثرها على المشاريع الوحدوية 1945-1991، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، 2011-2012، ص ,257

بها الأمر إلى الانتهاء أو الجمود بينما بقيت الجامعة قائمة تتمتع بحد أدنى من الفاعلية، وبعض هذه الترتيبات كان أقوى قانونيًا من رابطة الجامعة، لكن هذا لم يحمه من التفكك والانهيار، كالوحدة المصرية-السورية التي دامت من فبراير1958 إلى سبتمبر1961، وبعضها ماثلت طبيعته طبيعة الجامعة كمؤسسة إقليمية، ومع ذلك فإن الأمر اللافت للنظر أنه سرعان ما انتهى كمجلس التعاون العربي الذي تأسس في 1989 وضم كلاً من مصر والعراق واليمن والأردن لينفجر بعد وقت وجيز في أعقاب انقسام السياستين المصرية والعراقية بشأن غزو الكويت في1990، وإعلان دمشق الذي أعلن عنه في مارس1991 بعد تحرير الكويت بأيام كصيغة لتحالف دول مجلس التعاون الخليجي الستة بالإضافة إلى مصر وسوريا اللتين كانتا قد شاركتا في عملية تحرير الكويت، وثمة نوع آخر من المؤسسات العربية أصابه الشلل التام منذ قرابة عقد من الزمان وهو الاتحاد المغاربي الذي تأسس بدوره في فبراير1989 بعضوية كل من موريتانيا والمغرب والجزائر وتونس وليبيا غير أن الجمود التام قد أصابه اعتبارًا من نهاية 1995 وحتى الآن[12].

هذا الإهتمام الذي توالى وتصاعد وشغل معظم الأجهزة السيادية في الأقطار والدول العربية، وفي مقدمتها وزارات الخارجية والاقتصاد والإعلام بالإضافة إلى كافة القطاعات المنخرطة في إدارة النشاط الاقتصادي وعلى رأسها القطاع الخاص، أدى إلى تهميش دور الجامعة العربية، واستدراج الأطراف العربية المشاركة في مثل هذه المؤتمرات، بعيداً عن العمل العربي المشترك، وعن التيار القومي بمختلف روافده الداعي وأدواته إلى تحقيق الوحدة العربية[13].

وعلى الرغم من الهالة الإعلامية والدعم اللامتناهي للمشروع الشرق أوسطي، إلاّ أنه تلقى ضربات قوية، حينما جوبه بالمقاطعة من طرف معظم الدول العربية

12. نفسه ، ص,257

13. مصطفى عبد العزيز مرسي ، العرب في مفترق الطرق بين ضرورات تجديد المشروع القومي ومحاذير المشروع الشرق أوسطي ، مكتبة الشروق ، مصر ، (د ، ت).، ص-ص 105- ,109

لمؤتمراته ولقاءاته تحت ضغط الرأي العام العربي الذي استفزته ممارسات إسرائيل الوحشية ضد العرب الفلسطينيين في الأراضي المحتلة[14].

تلك المقاطعة التي كشفت النقاب عن عدة أمور كانت خافية على القادة وصناع القرار في العالم، منها:

- قدرة الرأي العام العربي على فرض رأيه وإرادته.

- الكشف عن إدراك الرأي العام العربي بأن المشروع الشرق أوسطي هو تدبير أمريكي إسرائيلي يجري استزراعه وفرضه على المنطقة ليخدم أطماع الدولتين على حساب المصالح والحقوق العربية.

14. تبدو الضرورة ملحة في البحث عن حقيقة النظام الشرق أوسطي الذي يفرض نفسه بقوة بديلا عن النظام العربي، ويتبين لنا أن المصطلح والمفهوم هما من نتاج الفكر الغربي، بقدر ما كانت الأهداف هي من صميم المشروع الاستعماري، حيث ارتبط مصطلح الشرق الأوسط بتطور الفكر الاستراتيجي الإنجليزي، واستخدام التعبير لأول مرة عام 1902 بواسطة ضابط غربي أمريكي هو الكابتن "ألفريد ماهان" صاحب نظرية " القوة البحرية في التاريخ " وذلك في مقال له صدر في لندن، بعنوان " الخليج الفارسي في السياسة الدولية "، وفي العام نفسه كتب فالنتاين شيرول مراسل جريدة التايمز البريطانية سلسلة مقالات امتدت حتى أفريل عام 1903 بعنوان "المسألة الشرق أوسطية" ، وقد بدا مفهوم الشرق الأوسط في مطلع الخمسينات أنه يقوم على الادعاء الغربي الذي يرى في منطقة الشرق الأوسط بأنها تتكون من خليط من الأجناس والشعوب والجماعات الثقافية والقومية المتعددة، أما في مطلع الستينات فقد بدا الهدف الغربي من تمزيق أوصال الوطن العربي هو الهدف الأكثر وضوحا من وراء نشر مفهوم الشرق الأوسط وذيوعه، فقد تعامل الخطاب السياسي الغربي مع الوطن العربي باعتباره لا يمثل أي شكل من أشكال الوحدة المتميزة، فالفكر الاستعماري يدخل باستمرار دولا غير عربية في النطاق الجغرافي للمفهوم الشرق أوسطي، فنجد دولا مثل تركيا وقبرص وإثيوبيا وأفغانستان وباكستان وإيران وإسرائيل، وتخرج منه باستمرار دول مثل المغرب والجزائر وتونس، وأحيانا ليبيا والسودان ، بل أخرجت مصر من المنطقة عند أحد المفكرين الغربيين. انظر. صلاح زكي أحمد ، النظام العربي والنظام الشرق أوسطي ، صراع الأهداف والمصالح، ط1، دار العالم الثالث، القاهرة، 1995 ، ص 07. انظر أيضا ، مصطفى عبد العزيز مرسي ، المرجع السابق ، ص 105

– رفض الشارع العربي الانسياق وراء المشروع الشرق أوسطي وتمسكه بالجامعة العربية باعتبارها بيت كل العرب.

وعليه، فقد أفرزت الانتفاضة الشعبية العربية إدراكا عميقا ووعيا كبيرا بخطورة المخطط الأمريكي الصهيوني الذي لم يعد خافياً أنه يسعى إلى محو الهوية القومية للشعب العربي، وتهميش النظام العربي المتمثل في الجامعة العربية، واستبداله بنظام إقليمي شرق أوسطي تتربع إسرائيل على قمته لتتقمص دور القوة الإقليمية الكبرى تحت جناح الهيمنة الأمريكية.

ومن هنا، فإن دعم الجامعة العربية والإسراع في تحصينها لمواجهة التحديات المنتظرة أصبحت واجباً قومياً ملحاً.

وهذا لن يتأتى إلا بتعظيم دورها القائد والرائد وتفعيل أجهزتها وقدراتها والوصول بأدائها إلى أعلى مستوى ممكن من الكفاءة لتكون ليس فقط بيتاً للعرب وإنما القلعة التي تحميهم، والقاطرة التي تقود مسيرتهم نحو الهدف الأسمى وهو الوحدة العربية[15].

2-2 جوانب القصور في هياكل الجامعة العربية:

إن الصيغة التي بُنيت عليها الجامعة العربية كانت عاملاً في بقائها، على الرغم من أنها تمثل لدى الكثيرين المسؤول الأول عن ضعف أداء الجامعة، فمن المعروف أن نظام جامعة الدول العربية قد بُني على أساس احترام سيادة الدول الأعضاء، فسوى بينها في التصويت، وأخذ بقاعدة أن القرارات المتخذة بالأغلبية لا تُلزم إلا من وافق عليها، وهكذا وُلدت الجامعة العربية منذ اليوم الأول وفيها قصور تكويني يفرض عليها الأخذ بالقاعدة التي تتبعها القوافل في الصحارى وهي القائلة "سيروا سير

15. محمد وفاء حجازي ، الجامعة العربية ومستقبل العمل العربي المشترك ، في ، الفكر السياسي ، مجلة فصلية تصدر عن إتحاد الكتاب العرب ،ع 2 ، دمشق ، ربيع 1998 ، ص 6,

أضعفكم"[16].

وللدفع بالجامعة العربية إلى الأمام مثلما تقتضيه طموحات الجماهير العربية، ينبغي كشف جوانب القصور لمعالجتها، وتشخيص مواضع الضعف لتقويمها ومن الواضح أن أداء الجامعة حيال المشاكل العربية والإقليمية التي توالت على مدى السنوات الماضية يكشف عن وجود مواطن خلل منهجية وتنظيمية وتنفيذية تستوجب الإسراع بمعالجتها وتصحيحها لتطوير وتحسين ذلك الأداء والارتقاء به إلى المستوى الذي يمكنها من القيام بدور فعال ومؤثر باعتبارها الآليه المركزية للنظام العربي، والعمل العربي المشترك، وباعتبارها كذلك منظمة إقليمية ممثلة للأمة العربية في المنطقة التي يحتل فيها الوطن العربي معظم أجزائها[17].

ولعل من أهم الجوانب والموضوعات والأوضاع التي تستدعي المراجعة والتعديل والتصحيح هي:

أولاً: الميثاق:

فالميثاق المعمول به الآن هو نفسه الميثاق الذي سبق وضعه منذ ما يزيد عن نصف قرن.

وعليه، وجب على القادة العرب التفكير جديا في صياغة ميثاق جديد يناسب المتغيرات الجذرية التي جرت على الساحات العربية والإقليمية والدولية، ويتعامل بمفاهيم العصر ومتطلباته مع القضايا والطروحات الجديدة التي ترتبت على تلك المتغيرات والتي أصبحت تفرض نفسها على مجمل العلاقات الدولية.

ويمكن تلخيص دواعي صياغة ميثاق جديد في:

1- خلو الميثاق المعمول به، من أهم هدف يؤكد قومية منظمة الجامعة العربية

16. أحمد يوسف أحمد، المرجع السابق، ص 4.
17. محمد وفاء حجازي ،المرجع السابق، ص 6-7.

وخصوصية المنهج الذي تعمل به وهو هدف الوحدة العربية[18].

ولا شك أن إغفال وضع الوحدة العربية على رأس الأهداف التي تسعى الجامعة العربية إلى تحقيقها، أفقدها الحافز الذي كان يمكن أن يشكل دافعاً قوياً لتعظيم دور المنظمة وتفعيل أدائها، وتنشيط آليات وأجهزة المنظمة في حركة تصاعدية وصولاً إلى هذا الهدف القومي الأسمى.

والملاحظ أن الأهداف التي وردت في ديباجة الميثاق والمادة الثانية منه وكذا المبادئ التي تضمنتها المواد 5،6،8[19] تعنى في إجمالها بتنظيم العلاقات البينية للدول الأعضاء، وتحث على تطويرها في مختلف المجالات بالأسلوب التقليدي المتبع بين مختلف الدول وفي صياغات تغلب عليها العمومية.

وهو الأمر الذي حكم على هذه العلاقات أن تجري في حركة دائرية دون أن تحفزها أهداف مستقبلية تدفعها إلى تبني آفاق جديدة واجتياز مراحل متنامية ومتصاعدة وصولاً إلى هذه الأهداف.

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أن فكرة الوحدة- وردت في بروتوكول الإسكندرية الموقع في 07 أكتوبر سنة 1944 وذلك في سياق المادة الثامنة[20].

" أن توفق البلاد العربية في المستقبل إلى تدعيم الوحدة بخطوات أخرى، وبخاصة إذا أسفرت الأوضاع العالمية بعد الحرب[21] القائمة عن نظم تربط بين الدول العربية بروابط أمتن وأوثق "[22]

18. ميلود ميسوم، مرجع سابق، ص- ص 350-357 .
19. نفسه، ص ,354
20. هنري لورانس ، الشرق العربي المعاصر والصراعات الدولية ، المرجع السابق ، ص ,58
21. الحرب يقصد بها الحرب العالمية الثانية .
22. محمد وفاء حجازي ، المرجع السابق ، ص ,4

إلا أنه جرى استبعاد لفظ الوحدة من الميثاق الذي جرى إقراره[23].

2- الميثاق المعمول به الآن قصر اهتمامه على تنظيم العلاقات البينية للدول الأعضاء، أما أية مسائل أو قضايا أخرى تعرض لها عابراً وبطريقة هامشية.

وكون تنظيم العلاقة البينية هو أحد عوامل نجاح الجامعة، فإنه من الضروري توجيه عناية كافية ومستحقة للبيئة الاقليمية التي تحيط بالوطن العربي ويدخل في نسيجها.

فلابد أن يتضمن الميثاق الجديد بصورة أكثر تفصيلاً منهج التعامل مع القضايا الإقليمية مثل قضايا السلام، والأمن الإقليمي، ونزع أسلحة الدمار الشامل، والحفاظ على البيئة، والانتفاع المشترك من مصادر المياه في الإقليم.

3- إلزامية احترام كل أعضاء الجامعة للقرارات وتطبيقها، كونها نظام عربي إقليمي يستمد مبرر وجوده من المصالح والخصائص التاريخية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاستراتيجية المشتركة، وله خصوصيته وأهدافه القومية.

وتأسيساً على ذلك لابد أن ينص الميثاق على عدم جواز أن تنتهج أي دولة عربية سياسة تخالف أو تتعارض مع سياسة الجامعة.

ولعل الحاجة الشديدة لمثل هذا الالتزام تؤكدها التجربة العملية التي تجلت في كثير من المواقف ولعل أكثرها لفتاً للنظر هرولة بعض القيادات العربية لإقامة علاقات مع إسرائيل في الوقت التي اتخذت الجامعة قراراً بوقف التطبيع، بل والاستمرار في عملية تطبيق قرارات المقاطعة[24].

4- المادة السابعة في الميثاق والخاصة بالتصويت على القرارات كانت ومازالت على رأس المواد المطلوب تعديلها، تخلصاً من قيد الإجماع الذي تفرضه هذه المادة والذي أصاب فاعلية الجامعة بالضعف والجمود، ولم يعد هناك خلاف بين جميع

23. نفسه، ص 4,

24. مفيد محمود شهاب ، المنظمات الدولية، دار النهضة العربية 1973، ،ص 425.

الدول أعضاء المجلس، على ضرورة استبدال قاعدة الإجماع في التصويت بقاعدة الأغلبية.

ولكن لابد وأن يقترن هذا التعديل:

- بنص واضح يلزم جميع الدول الأعضاء بتنفيذ القرارات التي تصدر بالأغلبية.

- تشكيل آلية يكون لها صلاحية الإشراف على تنفيذ القرارات التي تصدر بهذا الأسلوب وتحديد مسئولية الدول التي تخل بهذا الالتزام.

5- تأسيساً على ما سبق لابد وأن يتضمن الميثاق مادة تحدد الإجراءات العقابية التي يمكن أن يصدرها المجلس، والحالات والموضوعات التي تصدر بشأنها تلك الإجراءات العقابية.

وقد يكون من الضروري أن تتضمن هذه الحالات، حالة عدم الالتزام بالقرارات التي تصدرها الجامعة، حالة عدم الوفاء بالالتزامات المالية[25].

ثانياً: الهيكل التنظيمي:

1- في بحثه عن جامعة الدول العربية وتحديات المستقبل أبرز السفير الدكتور نعمان جلال أن الجامعة العربية تواجه أزمة تنظيم حيث أوضح:

" أن كثيراً من منظمات العمل العربي ترهلت في جهازها[26] الإداري وأصبحت تعاني عجزاً في ميزانياتها، وأحياناً بعضها يكرر ما يتم على المستوى القومي أو يكرر ما تم في أجهزة عربية أخرى مما يؤدي إلى ازدواجية في العمل".

ويستطرد الدكتور نعمان جلال موضحاً أن علاج هذه الأزمة التنظيمية " يستلزم

25. محمد وفاء حجازي ، المرجع السابق ، ص,5

26. نعمان جلال، جامعة الدول العربية وتحديات المستقبل،في، مجلة الفكر السياسي ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – تعنى بنشر المواد الفكرية و السياسية و الدبلوماسية و الوثائق المتصلة بذلك – العدد الثاني السنة الأولى ربيع 1998.

بحث إعادة هيكلة وتنظيم أجهزة العمل العربي المشترك للتخلص مما لا ضرورة أو فائدة حقيقية من ورائه"[27]

2- في الوقت الذي يكتظ فيه الهيكل التنظيمي للجامعة العربية، بالمنظمات المتخصصة (17) واللجان الفنية(4)، والمجالس الوزارية المتخصصة (10) والوحدات الإدارية(16) فإنه يفتقر إلى بعض الأطر المؤسسية الضرورية لتغطية جوانب القصور في قيام الجامعة بمهامها وللارتفاع بمستوى أدائها[28].

ويرى بعض الخبراء أن أي محاولة جادة للخروج بالعمل العربي من أزمته ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار أن يضاف إلى مؤسسات هذا العمل بعض الأجهزة.

أ- محكمة العدل العربية:

تجمع آراء الخبراء والمختصين أن إنشاء هذه المحكمة أصبح ضرورة لا غنى عنها خاصة بعد حرب الخليج الثانية التي قامت فيها العراق بغزو الكويت[29].

وعلى اعتبار أن عدم تضمين الأطر المؤسسية في منظومة العمل العربي المشترك جهازاً قضائياً- محكمة العدل العربية- يمثل قصوراً خطيراً يجب تداركه حتى يمكن استكمال البناء القانوني للجامعة العربية[30].

ولقد أعد الأمين العام للجامعة العربية بالفعل مشروعاً لإنشاء محكمة العدل العربية وجرت مناقشته في دورات انعقاد مجلس الجامعة السابقة وجرت الموافقة عليه من حيث المبدأ ومن المنتظر أن يتم إقراره في اجتماعات المجلس القادمة[31].

27. نفسه .

28. ميلود ميسوم، مرجع سابق، ص- ص 350-357.

29. إبراهيم محمد حسن ، الصراع الدولي في الخليج العربي ،العدوان العراقي على الكويت الأبعاد والنتائج العربية والدولية ،ط1، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت 1996 ، ص 65 وما بعدها.

30. . ميلود ميسوم، مرجع سابق، ص 262.

31. محمد وفاء حجازي ، المرجع السابق ، ص,6

ب- آلية فض المنازعات:

وهي أيضاً من الأجهزة التي أصبح من الضروري إنشاؤها لمحاولة الوقاية من النزاعات العربية وتداركها قبل أن تتحول إلى أزمة يصعب تطويقها، والعمل على تسويتها بالوسائل السلمية.

ولقد أعدت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية مشروعاً بإنشاء هذه الآلية وقد أقر مجلس الجامعة العربية هذا المشروع من حيث المبدأ ومن المنتظر الموافقة عليه بشكل نهائي في أحد دورات المجلس المقبلة.

3- تطوير عمل مجلس الدفاع المشترك:

منذ إنشاء مجلس الدفاع المشترك سنة 1950 وهو جهاز معطل وبلا فاعلية ولم يسهم بأي جهد في حماية أمن الدول الأعضاء أو الأمن القومي العربي بصفة عامة.

والآن، وقد أصبح الأمن القومي العربي على إطلاقه بما في ذلك أمن الأقطار العربية خاصة المتاخمة لإسرائيل مهدداً بأخطار جسيمة:

- في مقدمتها إنتاج وتملك إسرائيل للأسلحة النووية والصواريخ بعيدة ومتوسطة المدى الناقلة لها[32]، وكذلك تمكنها من تصنيع واطلاق أقمار صناعية.

-التواجد العسكري الأمريكي على أراضي بعض الدول الخليجية وتمركز قوة ضاربة من الوحدات البحرية الأمريكية في مياه الخليج[33].

-الحلف الإسرائيلي التركي الذي تشكل مؤخراً[34].

32. أمين حامد هويدي ، الصراع العربي الإسرائيلي بين الرادع التقليدي والرادع النووي ، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، 1987، ص 79 وما بعدها.

33. إبراهيم محمد حسن ، المرجع السابق ، ص –ص 217 – 259.

34. كانت تركيا أول دولة مسلمة تعترف بإسرائيل في العام 1948. ومع ذلك لم تصل العلاقات التركية الاسرائيلية إلى مستوى عال من التنسيق السياسي والتعاون العسكري والتبادل التجاري. فقد كان ضغط الرأي العام الداخلي (الاسلامي) والازمات الاقتصادية والظروف الاقليمية يكبح

– احتلال إيران لجزر الإمارات الثلاث طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى[35].

كل هذه الأخطار والتهديدات أصبحت تفرض إعادة النظر في وضع هذا الجهاز وإعادة تشكيله وتحديد مهامه على النحو الذي يجعله يوفر الحد الأدنى من الحماية ضد

أي ظهور لتركيا بمظهر الحليف لإسرائيل ضد العرب، وبعد الانقلاب العسكري الذي وقع في /12/ ايلول/1980 برز في الدوائر السياسية والدبلوماسية التركية اتجاهان ازاء سياسية الدولة نحو اسرائيل والعرب، الاتجاه الاول: كان مع تطوير التعاون مع اسرائيل والثاني: كان مع قطع هذه العلاقات أو على الأقل خفضها إلى الحد الأدنى وكان اصحاب الاتجاه الثاني وعلى رأسهم وزير الخارجية التركية آنذاك "ايلتير توركمان" يرون أن العلاقات مع العرب تحقق الحصول على حاجة تركيا من النفط بسعر رخيص وتؤمن صادراتها إلى الدول العربية بصورة كبيرة كما تضمن لتركيا تأييد العرب في موقفها من الأزمة القبرصية ويرون أيضاً أن النفوذ اليهودي في واشنطن مبالغ فيه كما أن اسرائيل تتعاطف مع تأسيس دولة كردية مستقلة في الشرق الأوسط ، مع انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي وبدء حرب الخليج الثانية ومن بدء محادثات السلام العربية – الاسرائيلية في مدريد خريف 1991 بدت الظروف مواتية لكسر الجمود في علاقات أنقرة مع تل أبيب حيث اتبعت تركيا سياسة متوازية بين العرب واسرائيل وحرصت على عدم الظهور بمظهر المندفع لتطوير علاقاتها مع اسرائيل بل أن هذه العلاقات كانت تتحسن بوتيرة توازي وتيرة التقارب العربي-الاسرائيلي. انظر : مصطفى طلاس ، التعاون التركي الإسرائيلي ، في ، الفكر السياسي ، مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب ،ع 1 ، دمشق ، ص –ص 39 – 47,

35. في يوم 30 نوفمبر عام 1971 وقبل يومين فقط من الانسحاب البريطاني من الخليج العربي أمر شاه إيران اسطوله بتنظيم عملية بحرية لغزو الجزر العربية الثلاث " ابو موسى " و " طنب الكبرى " و " طنب الصغرى " وأراد الشاه أن يحقق عدة أهداف من وراء هذا العدوان :

. السيطرة على هذه الجزر حيث انها تتمتع بموقع استراتيجي ممتاز وتتحكم بالملاحة في المدخل الجنوبي للخليج العربي عند مضيق هرمز الذي يربط الخليج العربي بخليج عمان .

. التأكيد للولايات المتحدة الأمريكية على مقدرة القوات الايرانية في استخدام القدرة العسكرية العالمية عند التحرك في الخليج .

. التأكيد للعرب على دور إيران كقوة رادعة . انظر يحيى حليمي رجب ، الخليج العربي والصراع الدولي المعاصر ، (د ط ، د دار الطبع ، د م ، 1989 ، ص 13.

الأخطار المحتملة.

والمهمة لاشك صعبة في ظل التطور العسكري الذي استطاعت إسرائيل تحقيقه على مدى السنوات الماضية، ولكن مهما كانت صعوبة ومشقة الجهد المطلوب فلا بد لها من نقطة بداية ينطلق منها[36].

وهذا أمر يقتضي التشاور بين القيادات العسكرية العربية خاصة تلك التي تملك قدرات عسكرية فاعلة وحديثة تحت مظلة الجامعة العربية لوضع الاستراتيجية العسكرية من منظور أمني قومي جماعي، والتي من شأنها أن تكفل القدر اللازم والضروري من الحماية في مواجهة هذه الأخطار[37].

4- إن أكبر نقطة ضعف في الهيكل التنظيمي للجامعة العربية هو كونه جهازاً ممثلاً للحكومات العربية فقط وأنه مؤسسة مصمتة، منغلقة على التمثيل الحكومي ليس إلا، ولا تتيح أي مساحة أو فرصة لتمثيل الهيئات والمؤسسات العربية الأخرى الأهلية وغير الحكومية، وتمكينها من المشاركة أو المساهمة ولو بقدر ضئيل في تسيير العمل العربي المشترك الذي تقوده جامعة الدول العربية.

وإذا كانت مثل هذه الأوضاع لم تكن محل اعتراض في سابق السنين فإنها في وقتنا الحاضر غير مقبولة أو مسموح بها، في عصر أصبح للرأي العام صوت لابد وأن يسمع ورأي لابد وأن يؤخذ في الحسبان، خاصة وأن كثيراً من الحكومات في وطننا العربي تسير في اتجاه مخالف لما تعتقده وتؤمن به الجماهير، ولقد ظهر ذلك بوضوح من خلال ما يحدث اليوم في الساحة العربية من تمردات شعبية ضد حكامهم الذين هرموا على الكرسي، بل شاخوا وهم لا يعلمون.

فإذا ما كان الأمر يتصل بالعمل العربي المشترك، فإن للمؤسسات المعبرة عن

36. زبير سلطان قدوري ، السلام في المشروع الصهيوني ، مصر نموذجا ، من منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 2001 ، ص 31 .

37. محمد وفاء حجازي ، المرجع السابق ، ص08.

الجماهير والمفوضة منها كل الحق في أن تشارك على الأقل في إدارة الشأن العربي الذي يخصها هي أولاً قبل أن يكون للحكام فيها نصيب.

ومن هنا فقد يكون من المفيد أن يضم الهيكل التنظيمي للجامعة مؤسسات أو أجهزة تعكس وتعبر عن موقف الرأي العام حيال قضايا العمل العربي المشترك.

ولعل أنسب هذه الأجهزة هي البرلمان العربي الذي يجري انتخابه منفصلاً عن البرلمانات الوطنية، أو أن تكون هيئة استشارية ينتخب أعضاؤها في كل قطر من المنظمات الجماهيرية، والهيئات الأهلية، مثل الاتحادات العمالية والنقابات المهنية والمؤسسات العلمية، على أن يكون لهذا الجهاز المنتخب وضع مؤسس داخل البناء التنظيمي للجامعة يكفل له المشاركة المباشرة في أعمال الجامعة، لا أن يكون وضعه على هامش الهيكل التنظيمي للجامعة كما هو الحال بالنسبة لبعض الهيئات والاتحادات والنقابات المهنية.

كذلك فإن إنشاء علاقة تنظيمية مستقرة ودائمة بين أحد أجهزة الجامعة العربية والمنظمات العربية غير الحكومية سيساعد على أن يكون للرأي العام العربي حضور وتواجد في كافة القضايا والمسائل التي تتناولها أجهزة الجامعة وذات الصلة بالعمل العربي المشترك[38].

2-3 : التحديات التي تواجهها جامعة الدول العربية:

تواجه الجامعة العربية في إطار الظروف والأوضاع العربية والإقليمية السائدة عدداً من التحديات الخطيرة التي لا تقتصر آثارها السلبية والمدمرة على فاعليات الجامعة فحسب بل وتمتد إلى وجودها ذاته.

ويمكن تقسيم هذه التحديات إلى مجموعتين:

تحديات داخلية: الصراع العربي العربي، أثر قيام المنظمات الاقليمية العربية على مسيرة العمل العربي المشترك.

38. نفسه ، ص 08,

تحديات خارجية :التصعيد الإسرائيلي في صراعها مع العرب ،تصدير المشروع الشرق أوسطي إلى المنطقة لفرض التراجع على المشروع القومي العربي[39]، التواجد العسكري الأمريكي على أراضي بعض الدول الخليجية، وكذا حشد أسطول أمريكي في مياه الخليج، التحالف التركي الإسرائيلي ،الأطماع الإقليمية الإيرانية في الخليج.

- الصراع العربي العربي:

إن الاجتياح العراقي للكويت هو نموذجا مفزعا للصراع العربي عربي، واتخذه البعض دليلاً على أن الأخطار التي تهدد الأمن القومي العربي تأتي من داخل المحيط العربي وليس من خارجه.

ومن الأشد خطرا على الأمن القومي هي الصراعات العربية العربية، وأن ما عداها في صورة الصراع الإسرائيلي العربي يأتي في المرتبة الثانية والأقل خطراً.

ويسهم هذا الطرح في نسف مبدأ العمل العربي المشترك من أساسه ويدعو بلا تفكير إلى التخلي عن التوجه القومي، والترحيب بالتقارب مع إسرائيل بل والاندماج معها في إطار المشروع الشرق أوسطي، الذي تمسك أمريكا بزمامه وتوكل إلى اسرائيل

39.الشرق أوسطية في نهاية الأمر تتلخص بتغيير هوية المنطقة العربية، وإلغائها نهائياً، وإطلاق هوية جديدة، هي الشرق أوسطية بدلاً عنها. لتضم جغرافيا الوطن العربي والكيان الصهيوني وتركيا وقبرص وإيران والباكستان، وهذا التجمع برأي منظريها، يجب أن يكون تحت قيادة كيان الصهاينة. بالادعاء بأنها تملك العقل المبدع، الذي يستطيع أن يخرج المنطقة من التخلف إلى الرقي والتقدم، ويبني تجمعاً اقتصادياً وسياسياً يحتل مراكز متقدمة في العالم.
وقد شرح هذا الهدف أحد أنصار الشرق أوسطية من القادة العرب الملك الحسن الثاني الراحل، حين رأى أن العقل اليهودي والمال والعمالة العربية قادرة أن تصبح قدرة عظمى. ولم يخف بيريز جوهر ما قاله الحسن الثاني، حين طرح في إحدى المقابلات الصحفية للعرب بقوله: (إن جمال عبد الناصر قادكم زمناً، والسعوديين زمناً، فاتركونا نقودكم زمناً، لنثبت لكم، أننا قادرون على إنهاء مشاكلكم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية). ففي نظر الحسن وبيريز أن العقل اليهودي أقدر وأذكى من العقل العربي، فلماذا لا نتركه يقود العرب؟ لينهض بالتنمية العربية والمنطقة، لأنه يستطيع أن يحقق المعجزات. انظر : زبير سلطان قدوري ، المرجع السابق ،ص 33.

إدارته[40].

ورغم خطورة النتائج والتداعيات المترتبة على النزاعات العربية والتي يجري إدراجها تحت مسمى الصراع العربي العربي، فإن هذا الصراع لا يمثل ظاهرة ثابتة أو متكررة، ولكنه رغم فداحته- كما جرى في غزو العراق للكويت- يمثل حالة عابرة ومرهونة بعلاقات الحكام، وليست تعبيراً عن تناقض جذري في المصالح الحيوية للدول والشعوب وتعارضاً كلياً في الأهداف والاستراتيجيات كما هو الحال في الصراع الإسرائيلي العربي.

وبالتالي، فإن علاج هذه الحالة لا تواجهها تعقيدات التوفيق أو الموازنة بين المصالح الأساسية والحيوية التي يفرق بينها التضارب والتناقض، وإنما يحقق الحل والعلاج والتفاهم الشخصي بين الحكام وتهدئة وتحسين الحالة المزاجية في علاقات الشخصيات الحاكمة وصاحبة القرار لبعضها البعض[41].

وحتى في حالات استمرار توتر علاقات بعض القيادات فإنها ستكون محكومة في النهاية بالفترة الزمنية التي تبقى فيها في مواقع السلطة.

لهذا يمكن القول إن النزاعات أو الصراعات العربية العربية لا تمثل في حد ذاتها خطراً يهدد مبدأ الوحدة كهدف قومي لكل العرب، ولكن الخطر الذي تفرزه هذه الصراعات هو أن يستخدمها خصوم العرب- لتمرير مخططاتهم المشبوهة في لحظات الفزع العربي العربي، لتحريضهم على التخلي عن عقيدتهم القومية والزج بأنفسهم في أحضان الهيمنة الأمريكية الشاملة وتحت مظلة التسلط الإسرائيلي.

وفي مثل هذه الظروف لابد من أن تلعب الجامعة العربية دوراً حاسماً لتوقيف هذه التداعيات المدمرة ودرء أخطارها وذلك من خلال:

أ- مواصلة الجهد الذي بدأته بعض القيادات العربية لتحقيق المصالحة العربية

40. مصطفى عبد العزيز مرسي ، المرجع السابق ، ص 151 وما بعدها.
41. محمد وفاء حجازي ، المرجع السابق ، ص10.

واتخاذ مبادرات جديدة تغزز هذا الاتجاه وتروج له.

ب- تفعيل أجهزة ومؤسسات الجامعة في تعميق وتوسيع التعاون القائم بين الأقطار العربية في بعض المجالات، وكذا فتح آفاق جديدة تؤسس مزيداً من المصالح والمنافع المشتركة بين الأقطار العربية وخاصة في المجالات الاقتصادية.

ويمكن في هذا الصدد تكثيف الجهود وتسريع الخطى الرامية إلى إقامة منطقة التجارة الحرة والسوق العربية المشتركة.

2-4 : أثر قيام المنظمات الاقليمية العربية على مسيرة العمل العربي المشترك:

منذ نشوء المنظمات الإقليمية العربية " مجلس التعاون الخليجي لسنة 1981 [42]"، "الاتحاد المغاربي سنة 1989 [43]"، "دول إعلان دمشق سنة 1991" والجدل يثور حول مدى تأثير هذه المنظمات سلباً أو ايجاباً على مسيرة العمل العربي المشترك، وتحديداً على أداء الجامعة العربية.

وقد اختلفت وتباينت الآراء في هذا وتفرقت على اتجاهين:

الأول: أن الترابط بين هذه الأقطار من شأنه أن يسهل إقامة الوحدة العربية الكبرى التي ستكون حينذاك بين عدد أقل من الوحدات، وبالتالي فإن هذه التجمعات الفرعية خطوة نحو الهدف الكبير.

الثاني: رافض لهذه التجمعات ويرى أنها تحمل مخاطر توسيع نطاق التفتت ومدخلاً لترسيخ الانقسام والعزلة وتقسيم الوطن العربي إلى نوادٍ مغلقة[44].

ودون التعرض للأسباب والدواعي التي أدت إلى قيام هذه التجمعات فإن ما يعنينا في نهاية المطاف التعرف على النتائج التي حققتها ومدى تأثيرها:

---

42. ميلود ميسوم، مرجع سابق،ص 266.

43. محمد علي داهش ، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2004، ص 192 وما بعدها.

44. محمد وفاء حجازي ، المرجع السابق ، ص ,11

- هل أفادت العمل العربي المشترك أم أضرت به؟

- هل دعمت الجامعة العربية أم أضعفتها؟

- هل استطاعت تقريب المسافة من تحقيق الوحدة العربية أم العكس.؟

والواضح من ظواهر الأمور أنها (أي المنظمات الإقليمية العربية)

أ- إن لم تكن قد أضرت بالفعل بالعمل العربي المشترك فإنها بالقطع لم تفده أو تنفعه على أي نحو.

ب- أنها كذلك بالقطع لم تدعم الجامعة العربية.. فالجامعة في وضعها الحالي أضعف مما كانت عليه في أي وقت مضى،.. وقد لا تكون هذه المنظمات مسؤولة مسؤولية مباشرة عن هذا الضعف إلا أنه لا يمكن كذلك استبعاد أنها كانت أحد أسبابه.

ج- أن هدف الوحدة لم يكن في يوم من الأيام أبعد منالاً مما هو عليه الآن.

وسواء كانت هذه التجمعات مسؤولة عن هذا كله أم لا، فإنها بالنسبة للجامعة العربية والعمل العربي المشترك لم تحقق أياً من الإنجازات أو الأهداف القومية التي عنيت بإبرازها والتأكيد عليها في وثائق تأسيس كل منها[45].

بل يمكن القول استدلالاً بعدد من الشواهد أنها كانت أميل إلى أن تنأى بنشاطها بعيداً عن الجامعة العربية.

فالواضح أن نشاط كل نظام من الأنظمة الإقليمية يتم تماماً وبمعزل كامل عن التنسيق مع أجهزة الجامعة[46].

ومن اللافت للنظر كذلك في سلوك وممارسات هذه المنظمات:

- عدم حرص أي منها(عدا دول إعلان دمشق) على إشراك الجامعة في

45. نفسه ، ص11.

46. مصطفى عبد العزيز مرسي ، المرجع السابق ، ص 71 وما بعدها.

اجتماعاتها أو إخطارها على نحو منظم بنشاطها.

- تغليب الاعتبارات الذاتية على الاعتبارات القومية.

- غلبة طابع الاستعلاء والاعتزاز بالثروة (بالنسبة لمجلس التعاون الخليجي تحديداً) في تعامله مع الدول والأقطار العربية الأخرى.

ولو أن المقابل لتجاهل هذه المنظمات لدورها القومي هو تحقيق انتعاشها الاقتصادي الذي أقامت منظماتها من أجل تحقيقه لكان ذلك مفهوماً.

ولكن العائد الاقتصادي من إقامة هذه المنظمات على ما يبدو كان ضئيلاً ولايتكافأ مع الجوانب السلبية المترتبة على هذا التجاهل.

2-5: تصدير المشروع الشرق أوسطي[47] إلى الوطن العربي:

وهذا المشروع يمثل أكبر التحديات على الإطلاق التي تواجهها جامعة الدول العربية، ورغم كل المناورات ومحاولات التمويه والتأثير، فإن هذه الحملة المهولة التي استخدمت فيها كل المؤثرات الإعلامية والفكرية والثقافية والسياسية لم تستطع أن تخفي حقيقة الدوافع الكامنة وراء المشروع والتي دعت الحلف الأمريكي الصهيوني إلى طرحه والإلحاح عليه حتى الآن.

ولعل كم الوثائق والأبحاث والدراسات التي قدمت في الندوة التي أقامتها اللجنة المصرية لمقاومة التطبيع سنة 1996 تحت عنوان "الشرق أوسطية مخطط أمريكي صهيوني"، قد برهنت على نحو قاطع وبما لا يدع مجالاً للشك أن ذلك المشروع كما وصف على أنه :

" أن المشروع الشرق أوسطي الأمريكي الصهيوني هو مشروع للإخضاع"

" المشروع الشرق أوسطي صياغة اسرائيلية بدعم أمريكي بهدف بناء- ما أسماه شيمون بيريز الشرق الأوسط الجديد الذي تلعب فيه إسرائيل دوراً رئيسياً قيادياً

47. للاطلاع على مشروع الشرق الأوسط ،ارجع للصفحة 227 وما بعدها من هذا البحث.

وتكون بمثابة الوسيط والوكيل المعتمد بين المراكز الرأسمالية المتقدمة في الغرب"[48].

ولا يمكن أن يكون موقف الجامعة العربية حيال هذا المشروع الذي ينفيها شكلاً وموضوعاً وعقيدة إلا محاربته والتصدي له دون هوادة، واستخدام كافة الأسلحة السياسية والدبلوماسية والثقافية والإعلامية لإخراجه من أي دائرة اهتمام في الوطن العربي، واعتبار أن مجرد مناقشة هذا الموضوع في أي مناسبة وفي أي إطار بما في ذلك ما تسمى بمؤتمرات التعاون الاقتصادي.. هو تمكين أعدائنا منا وإفساح مكان للقوى المعادية لتتخذه قاعدة انقضاض لتصفية المشروع القومي العربي وفي المقدمة جامعة الدول العربية[49].

إن بحث ومناقشة قضايا العمل العربي المشترك تقود إلى نتائج حاسمة:

– أن الجامعة العربية بجميع المقاييس ضرورة لا غنى عنها للأمة العربية، فهي قبلتهم القومية، وبيتهم الذي يلتئم تحت سقفه شملهم، وتلتقي في ساحته كل القوى والفصائل الممثلة لهذه الأمة، وصنع مستقبلها.

– أنه إذا كانت الجامعة ضرورة فإصلاحها فريضه، وتقويتها فخر لكل العرب، والنهوض بها ضمان للمستقبل وبلوغ للأمل، وإهمالها جريمة.

ويعني الإصلاح كذلك أن تكون الجامعة العربية جامعة الأمة بأسرها ، حكاماً ومحكومين، وليس جامعة حكام فقط.

6-2 : الجامعة العربية وجدلية المؤامرة البريطانية :

استطاع العمل القومي في الخمسينات والستينات أن يتجاوز عوامل الجوار الجغرافي، والاتصال الإقليمي، وتباين التجربة السياسية، وأن ينجز نماذج للعمل الوحدوي العربي، لقيت حظا متفاوتا من النجاح والإخفاق، وطرحت وحدة الوطن العربي مدخلا لتحرر وتقدم هذه الأمة، وفي هذا الإطار، كان طرح المشروعات

48. زبير سلطان قدوري ، المرجع السابق ، ص – ص 33-40 .
49. محمد وفاء حجازي ، المرجع السابق ،ص 12.

الإقليمية العربية كعنصر تكامل للمشروع القومي العربي، لكن ضرب المشروع القومي في الستينات، والتحولات الكبرى في الواقع العربي في السبعينات والثمانينات، وفي موازين الثروة والقوة والتوجهات والقدرة على التأثير، خلقت واقعا جديدا في مقاربات العمل الوحدوي، وعادت بعوامل الجوار والتكامل والتماثل كحلم لمطمح الوحدة.

كان إنشاء جامعة الدول العربية عام 1945[50] حدثا بارزا على مستوى النظام الإقليمي العربي، الذي أخذت ملامحه تتشكل مع انتهاء الحرب العالمية الثانية، ومن الضروري بداية بين النظام العربي والجامعة العربية، فالنظام العربي[51] يتمثل في شبكة كثيفة معقدة من العلاقات والتفاعلات والروابط، الحكومية والشعبية، الرسمية وغير الرسمية، تبلور بعضها في شكل مؤسسات وأبنية، والبعض الآخر يحدث بين أفراد وجماعات دونما شكل قانوني أو بنائي محدد . أما الجامعة العربية فهي أحد الرموز ومعالم هذا النظام التي لها صفة حكومية ورسمية ، ومن ثم فالجامعة جزء من كل [52].

إن الإطار التاريخي العام الذي نشأت في داخله جامعة الدول العربية، هو الإطار نفسه ، في خطوطه العامة، الذي تعمل الجامعة العربية وغيرها من مؤسسات النظام العربي في داخله حتى الآن، أمة عربية واحدة تجد نفسها وطبيعتها ومصلحتها في الوحدة، تكالبت عليها قوى السيطرة والاستغلال الغربية وفرضت عليها التجزئة، مما ترتب عليه خلل كبير واختلال عميق على مستويات الكيان والمعتقد، فضلا عن استمرار السياسات الغربية لتعميق حدة هذه الأزمة وتنمية التخلف والتبعية

50. ميلود ميسوم، مرجع سابق،ص,214

51. نفسه، ص,94

52. عبد العزيز الدوري و خليل أحمد خليل وغيرهم ، الوحدة العربية تجاربها وتوقعاتها، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،1989، ص ,339

والتجزئة، يساعدها على ذلك بروز فئات وطبقات وقوى اجتماعية، تجد مصلحتها ومستقبلها في الارتباط مع القوى الغربية [53].

هناك من نادى بالكف عن القول بأن الجامعة العربية هي مؤامرة بريطانية، استنادا إلى تصريح إيدن الشهير في 24 فيفري 1943 [54]الذي جاء فيه أن الحكومة البريطانية تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب ترمي إلى تحقيق وحدتهم الاقتصادية والثقافية والسياسية، لأن تلك الحكومة نفسها كانت قد صرحت أيضا عبر وعد بلفور الشهير، بأنها تنظر بعين العطف لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، ولم يعتبر اليهود ذلك التصريح بمثابة مؤامرة مهدت لإنشاء إسرائيل[55].

وعليه يمكن القول أن قيام الجامعة العربية لم يكن وليد رغبة انجليزية ولا نتيجة لتصريح بريطاني أصدره وزير الخارجية الإنجليزي أثناء الحرب العالمية الثانية، ففي الأربعينات ورغم أن القبضة الاستعمارية كانت لا تزال ممسكة بزمام كثير من خيوط العالم العربي، ورغم أن المنطقة العربية كانت تزخر بالقواعد العسكرية الأجنبية،

53. نفسه، ص ,352

54. حاول إيدن تقريب الإنجليز من العرب كما حاول منع تنفيذ مشروع تشرتشل ، وفي 29 ماي 1941 وفي خطاب بمجلس العموم أعلن تأييده للوحدة العربية دون استشارة رئيس الوزراء مسبقا ودون الإشارة إلى مصالح الحركة الصهيونية فقال " لقد حقق العالم العربي خطوات كبرى منذ استعادة قوته التي تحققت في نهاية الحرب الأخيرة وإن كثيرا من المفكرين العرب ليرغبون في تحقيق قدر من الوحدة لشعبهم أكثر مما تحقق حتى الآن ، ولبلوغ هذه الوحدة فهم يأملون في مساعدتنا ولا يمكن لأي نداء مثل هذا صادر عن أصدقائنا أن يبقى دون إجابة ، ويبدوا لي من الطبيعي والعادل معا أن تتوثق فيما بينهم ليس فحسب علاقات ثقافية واقتصادية بل وأقول أيضا علاقات سياسية ، وإن حكومة صاحب الجلالة من جانبها ستقدم الدعم الأكمل لكل خطة تلقى موافقة عامة" . انظر : هنري لورانس ، المشرق العربي والأطماع الدولية، ص ,70

55. عبد العزيز الدوري و خليل أحمد خليل وغيرهم ، المرجع السابق ، ص352.

وواقعة ضمن مناطق النفوذ الاستعماري إلا أن هذه السنوات كانت تشهد مدا تحرريا عارما، وغليانا عربيا يهدد بالانفجار ضد مصالح ونفوذ وقوات الاستعمار [56].

ولا جدال في أن قيام جامعة الدول العربية، وبصرف النظر عن مدى فاعليتها، ساعد على خلق شبكة واسعة من المؤسسات الرسمية الجماعية أسهمت بشكل ملحوظ في تنشيط التفاعلات العربية في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والتقنية، وأوصلتها إلى مستوى كان من الصعب تصور تحقيقه في غيابها، على صعيد آخر يلاحظ أن رغبة بعض الدول الأعضاء التي ترتبط فيما بينها بروابط ومصالح أوثق في إقامة أطر مؤسسية أقوى، أدى إلى ظهور نظم إقليمية فرعية، صمد بعضها (مجلس التعاون الخليجي) وتعثر بعضها الآخر (اتحاد المغرب العربي) وانهار بعضها الثالث بعد فترة وجيزة من قيامه (مجلس التعاون العربي الذي قام عام 1989 بين مصر والعراق والأردن واليمن)[57].

ولم يكن ذلك الاجتماع العربي الذي عقد بالإسكندرية، والذي دام انعقاده من 25 سبتمبر إلى 17 أكتوبر سنة 1944 والذي وضع فيه بروتوكول الإسكندرية وميثاق الجامعة العربية الذي وقع في 22 مارس سنة 1945، و ما جاء فيه من سعي المنظمة الجديدة إلى توثيق العلاقات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية، تحقيقا للتعاون فيها، والنظر في شؤون البلاد العربية ومصالحها.

ففي 13 ديسمبر 1931 انعقد بالقدس في فلسطين المؤتمر القومي العربي الذي ضم ممثلين للجمعيات والأقطار العربية، والذي قرر :

- أن البلاد العربية وحدة تامة لا تتجزأ، وكل ما طرأ عليها من أنواع التجزئة لا نقره ولا نعترف به.

56. محمد عمارة ، العرب يستيقظون ، الأمة العربية وقضية الوحدة، دار الوحدة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1984، ص 13.

57. حسن نافعة ، العلاقات العربية – العربية في ظل الهيمنة الأمريكية ، رؤية استراتيجية ،ط1، مؤسسة الناشر للدعاية والإعلان ، رام الله (فلسطين) ، 2004 ، ص ,12،11

- توجه الجهود في كل قطر وجهة واحدة هي استقلالها التام كاملة موحدة ومقاومة كل فكرة ترمي إلى الاقتصار على العمل للسياسات المحاية والإقليمية [58].

وفي 15 سبتمبر سنة 1932 تم إنشاء الشركة العربية لإنقاذ أراضي فلسطين، وهي محاولة عربية لا إقليمية لتدارك الأخطار التي أخذت تحذق بمصير هذا الجزء من الوطن العربي الكبير ، والذي يعنينا هنا هو هذا الطابع القومي والجهد العربي الذي أثمر هذه الشركة، لا مدى ما حققته من نجاح [59].

وفي 12 سبتمبر 1937 - أي قبل اجتماع العرب على المستوى الرسمي بسبع سنوات- اجتمع بمدينة بلودان بسوريا مؤتمر شعبي عربي ليبحث قضية فلسطين وليتدارس الخطر الصهيوني الذي يتهدد التوحيد العربي وبناء الكيان العربي الواحد.

وكان هذا الاجتماع وهذا المؤتمر دليلا على أن القضايا العربية، من بينها قضية فلسطين قد أخذت تبحث عن الحل العربي والتقييم القومي، لا الحل الإقليمي، والتقييم الذي لا يبصر أبعد من الاعتبارات الوطنية الضيقة، ومن ثم دليلا على أن حركة التاريخ واتجاه حركة النمو القومي قد أخذ طريقه الواحد، وأدار ظهره لعصر النكسة والتجزئة والانفصال[60].

وعليه يمكن القول أن ميثاق الجامعة العربية قد نص على أنها نشأت استجابة للرأي العام العربي في جميع الأقطار العربية، وهذه حقيقة لا يمكن تجاوزها ،وعبر عن نفسه تعبيرا صريحا في المؤتمرات والثورات والحركات والأحزاب [61].

58. محمد عمارة ، المرجع السابق ، ص 16,
59. نفسه ، ص 17.
60. نفسه ، ص 17,
61. عبد العزيز الدوري و خليل أحمد خليل وغيرهم ، المرجع السابق ، ص353.

فحقيقة أن جامعة الدول العربية التي ولدت قبل نهاية الحرب العالمية الثانية وقبل إنشاء منظمة الأمم المتحدة، لأنها قد حظيت بدعم من بريطانيا عند قيامها، على أمل أن تكون نواة لحلف عسكري يمتد من كينيا عبر السودان ومصر إلى المشرق العربي وتركيا وإيران للوقوف في وجه الاتحاد السوفياتي والمد الشيوعي، وقد أثارت محادثات أو مشاورات الوحدة العربية بين الدول العربية السبع المؤسسة لها بين سنتي 1943و1945 نقاشاً وجدالاً لدى المثقفين العرب في جناحي الوطن العربي المشرقي والمغربي، وتوسع النقاش والجدل ليشمل القيادات السياسية الرسمية والحزبية والشعبية، دار حول طبيعة الاتحاد العربي ومؤسساته ودور الشعوب العربية فيه. وقدمت مشاريع للاتحاد العربي عديدة، لم يؤخذ بها، وقامت الجامعة وفق توازنات القوى السياسية المؤلفة لها ومصالحها، والمخاوف التي أبداها بعضها، وعلى الرغم من الأزمات السياسية العميقة التي مرت بها العلاقات بين الدول العربية خلال العقود الماضية، صمدت الجامعة وبقيت حية، يشتد دورها ويقوى أحياناً، ويضعف أحياناً أخرى حتى التلاشي. ويرتبط ذلك بالإرادة الجماعية العربية، وبنوعية القيادات السياسية العربية الرسمية.

مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد الخامس (ديسمبر 2018 م)
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

مؤتمر طنجة المغاربي 1958م
مطامح ... ومطامع

د.جيلالي تكران
جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف
E.mail: djilalitik@gmail.com

ملخص

اكتنف مسار الثورة التحريرية جهودا لاستدراك بعض مراحل التحرر المشترك "لشمال إفريقيا" المغاربية ، بعد ما انفكت فرصة الانطلاق المشترك للكفاح في تونس والمغرب والجزائر ضد السلطة الاستعمارية الفرنسية ، العدو المشترك ، لتظهر تحولات جديدة سنة 1958 ، وغداة استقلال كلا من المغرب وتونس 1956 ، شابها الطموح والطمع في آن واحد . اذ في الوقت الذي كانت تعيش فيه الثورة الجزائرية أصعب مراحلها في الداخل والخارج ، تجد الدولتين المغاربيتين نفسيهما مضطرتين لإنهاء تدهور الأوضاع على حدودهما واستجابة لضغوط فرنسية ونوايا جغرافية ومادية تؤرق الدولتين من فترة ، في صورة تكشفت فيها الأسرار من خلال تصاعد الحماس الذي ساد قبيل انعقاد مؤتمر طنجة واثناءه ليخمد هذا الحماس بشكل مريب في اقل من 50 يوما في لقاء المهدية بتونس ، ويرهن مستقبل الشعوب المغاربية وطموحاتها في الوحدة والتقدم ضمن حسابات قطرية ضيقة افقدت المغرب العربي حلم الاتحاد الى يوم الناس هذا .

الكلمات المفتاحية : طنجة ، المهدية ، علال الفاسي ، بورقيبة ، الوحدة المغاربية ، الاستعمار الفرنسي ، المؤتمر، جبهة التحرير الوطني ، حزب الاستقلال المغربي ، الحزب الدستوري التونسي.

Abstract

many efforts being as part of the course of the liberation revolution, to overcome some stages of common liberation of North Africa, after loosing a tri-joint struggle against the French colonial authority, the common enemy. New transformations occured in 1958, and after the independence of Morocco and Tunisia in 1956 who expressed their ambitions and greedy at the same time ,whereas Algerian revolution was experiencing its most difficult stages at home and abroad, the two Maghreb states are forced to end the deterioration

of the situation on their borders and in response to French pressures and geographical and material intentions that have long plagued the two countries. Secrets through the surge of enthusiasm that prevailed before and during the Tangier conference ,this enthusiasm smelt down suspiciously in less than 50 days in a meeting of Mahdia in Tunisia . This disappointment encumberd the future of the Maghreb peoples and their aspirations for unity and progress within a narrow country accounts aborted Maghreb dream Union till this day .

Key word: Tangier, Mahdia, Alal Fassi, Bourguiba, Maghreb Unity, French colonialism,Conference .

تقديم :

احتلت فكرة الوحدة المغاربية والتعاون بين أقطار المغرب العربي الواحد مكانا بارزا في اهتمامات الحركات الوطنية المغاربية وأدبيات أحزابها ، وطبعت شعوبه روح تضامن عبر محطات تاريخية معلمية. اذ كان لرجال الفكر والنخب السياسة المغاربية دورا هاما في ترسيخها في الأذهان منذ فترة النهضة التي عمت أرجاء العالم العربي والإسلامي[2] مطلع القرن العشرين . وهذا ما نجده في تصريحات رئيس حزب

1- Paul Balta et Claude Rulleau ,Le grand Maghreb ,des indépendances à l'an 2000,ed/LAPHOMIC ,Alger ,1990,p19 .

2 - مر مشروع ميلاد المغرب العربي بثلاث محطات كبرى :المرحلة الأولى بين 1900-1920 اذظهرت حركات الشباب التونسي 1907 وحركة الشبان الجزائريين 1914 ولجنة استقلال الجزائر وتونس في جنيف لبناء جمهورية شمال افريقية بزعامة علي باش حانبة ثم المرحلة الثانية بين 1920-1947 والتي تشكلت فيها الأحزاب الوطنية منها الحزب الدستوري التونسي 1920 ثم خلفه الحزب الدستوري الجديد 1934 ثم نجم شمال إفريقيا 1926 الذي طالب 1927 بتحرير كامل شمال إفريقيا وأخيرا ميلاد حزب الاستقلال المغربي 1943 وفي المرحلة الثالثة 1948 تميزت بالتنظيم والهيكلة اذ تم انشاء لجنة تحرير المغرب العربي التي تبنت ميثاق إيديولوجي لمشروع وحدة المغرب العربي بالقاهرة وأصبح محمد بن عبد الكريم الخطابي رئسا لها مدعما فكرة استقلال الدول الثلاث وألا يتم التفاوض على انفراد مع المستعمر لكن هذا القرار لم توافقيا بين الأطراف واكتفوا

الاستقلال المغربي "علال الفاسي" بمناسبة الافتتاح الرسمي لمؤتمر الوحدة المغاربية بطنجة قائلا: " يتحتم على جميع زعماء المغرب أن يتحدوا ويتعاونوا ، إذ أن هذا هو الطريق الوحيد الذي سيوصلنا إلى تحقيق غاياتنا وإدراك أمانينا فنحن أحوج إلى الاتحاد وأحق به من أجل إحقاق الحق وتقويض أركان الاستعمار الغاشم الذي كان نكبة علينا ففرق كلمتنا، وجزأ بلادنا، واستغل خيراتنا،واستحوذ على مقاليد أمورنا،ووقف في سبيل رقينا وحاول بكل الوسائل أن يقضي على جميع مقوماتنا كأمة عربية مسلمة، ولذلك وجب علينا أن نتحد لان فكرة الوحدة واقع حتمي لمواجهة الفكر الاستعماري وسياسته في منطقة المغرب العربي[1] "

انطلاقا من فكرة توحيد أقطار المغرب العربي ، قرر قادة الأحزاب المغاربية الثلاث المتمثلة في حزب الدستوري التونسي الجديد وجبهة التحرير الوطني الجزائرية والحزب الاستقلالي المغربي بضرورة عقد مؤتمر ثلاثي لتوحيد الصف لمواجهة السياسة الفرنسية في المنطقة، والذي عرف بـ" مؤتمر طنجة " المنعقد في 27 الى 30 أفريل 1958 ، اعتبر آنذاك محطة بارزة في مشروع وحدة المغرب العربي، الذي أقرت خلاله الأحزاب المغاربية الرئيسية خطة مشتركة للتضامن مع الجزائر ، لبناء وحدة مغاربية.

فما هي الخلفيات والمبررات التي دفعت لبلورة هذا الموقف، وما هي معالم هذا الاتفاق ؟ وهل حقق الرسميون المغاربة طموحات شعوبهم على أرض الواقع ؟

بأن يبلغ الطرف المعني رفيقيه بالمفاوضات بسيرها في حين تدعم اللجنة تحرير المغرب العربي استقلال بقية الدول المغاربية ومن هنا تبدأ عملية التملص فاذا كان الجزائريون انقسموا حول مشروع تفجير الثورة 1948 نجد التونسيين والمغربيين قد مارسوا الازدواجية في التعامل العلني مع مشروع توحيد العمل المغاربي المشترك بيت الواقعية الوطنية والعاطفية المغاربية وهو ما كشفته لقاءات 1949 بين الوفدين الجزائريين الى الرباط وتونس لسبر مواقف البلدين من مشروع استراتيجية مشتركة وإنشاء هياكل شبه مسلحة. انظر المرجع السابق ، ص ص 21، 22 .

[1] - علال الفاسي ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي ، مؤسسة علال الفاسي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2003 ، ص 04

أم أن طموح الوحدة المغاربية ولد بطنجة ليقبر في المهدية ؟ ولماذا اغتيل الأمل في عمر الجنين بواحد وخمسين يوما على ميلاده؟ وما هي الذرائع والمبررات التي سيقت حين احتضار مشروع الوحدة المغاربية ؟وما هي الحقائق المستخلصة من هذه التجربة الأليمة ؟ .

1- خلفيات ومبررات عقد مؤتمر طنجة :

إن فكرة عقد مؤتمر يخص بعث مشروع العمل المغاربي المشترك لم تكن وليدة عام 1958م، إنما هي فكرة راودت قادة تونس والمغرب، منذ مؤتمر تونس في أكتوبر[1] 1956الذي لم يشارك فيه قادة الثورة الخمسة بسبب القرصنة الجوية التي تعرضوا لها من طرف الطائرات الحربية الفرنسية[2]، إلا أن هذا الحادث لم يقض على الفكرة و إنما بعثت من جديد بعد عام من ذلك ففي 20 نوفمبر 1957اجتمع كل من الرئيس "الحبيب بورقيبة الحبيب " و الملك" محمد الخامس "فى الرباط لبحث ومناقشة حل القضية الجزائرية في إطار التقارب الفرنسي المغاربي[3] الذي كان يدعوا إليه الرئيس التونسي أثناء هذه الفترة، كما قرروا عقد لقاءات دورية في المستقبل لمعالجة قضايا المغرب العربي ولقد علقت جريدة"المجاهد الجزائرية قائلة": إن هذه الندوة الشمال إفريقية،ليست الأولى وإنما هي الندوة الثالثة في غضون عامين، لكن الندوتين

مريم صغير ، المواقف الدولية من القضية الجزائرية 1954-1962 ، دار الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 ، ص 82 . 1

2 - تعرضت الطائرة الملكية المغربية التي تقل قادة الثورة التحريرية بالخارج باتجاه تونس يوم 22 أكتوبر 1956 من قبل القوات الفرنسية وهناك من يرى ان بعث فكرة عقد مؤتمر جاءت للرد على هذه العملية العسكرية لتحقيق مكاسب لاحقة من جانب تونس والمغرب تجاه كل من الجزائر وفرنسا .

3- كانت جبهة التحرير الوطني تتوجس من الحل المغاربي الذي تؤيده كل تونس والمغرب في إطار التقارب المغاربي الفرنسي وهي التفاف على طرح الجبهة لفيدرالية شمال إفريقيا التي تتحرر فيها القرارات القطرية من الوصاية الأجنبية .

السابقتين تونس في أكتوبر 1956[1] والرباط في نوفمبر 1957 كانت موجهة أساسا نحو خط التقارب الفرنسي– المغاربي[2] لوضع نهاية لحرب الجزائر،فإن ندوة طنجة لها معنى آخر،فهي بالنسبة للمغرب وتونس محاولة لإيجاد الوسائل الكفيلة بتوحيد السياسة في شمال إفريقيا وإيجاد كتلة موحدة ضد فرنسا الاستعمارية"[3].

انعقد المؤتمر بتاريخ 27 أفريل 1958 بقصر المارشان الملكي بمدينة طنجة الذي استمر طيلة أربعة أيام تحت رئاسة " الفاسي علال "وحضر إلى جانب حزب الاستقلال المغربي حزب الدستور التونسي الجديد وجبهة التحرير الوطني ، أما قائمة الوفود المشاركة في المؤتمر كالتالي:

الوفد الجزائري :احمد فرنسيس، فرحات عباس، عبد الحفيظ بوصوف ،عبد الحميد مهري ،مولود قايد المدعو (رشيد). أما الوفد التونسي فيتكون من االباهي لأدغم ،الطيب المهيري ، عبد الله فرحات ، أحمد تليلي، علي البهلوان، عبد المجيد شاكر والوفد المغربي يضم علال الفاسي ،أحمد بلافريج، المهدي بن بركة، عبد الحميد بوعبيد ،الفقيه البصري ،محجوب بن صديق وأبوبكر القادري[4] .

لقد عرفت العلاقات الدولية والإقليمية في عقد الخمسينيات من القرن العشرين ميلادي تغيرات متسارعة ميزها تعاظم حركات التحرر ونشاط سياسة الأحلاف العسكرية والتكتلات الاقتصادية وتعاظم الحرب الباردة بين المعسكرين من زيادة

1- عبد الله مقلاتي ، العلاقات الجزائرية المغاربية والإفريقية إبان الثورة الجزائرية ، الجزء 1 ، دار السبيل للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 ، ص 426 .

2 - أشارت جريدة المجاهدة الى تطور في مفهوم الوحدة المغاربية لدى كل من تونس والمغرب مما جعل جبهة التحرير تعمل بحرية بعد مخاوفها من اتهامها بدعم الحركة الانفصالية في المغرب العربي من جانب المصريين او تكون مبادرة لاحتواء الثورة فهي لاتريد ان تكون رهينة في ايدي المصريين او المغاربة اواي طرف آخر

3 جريدة المجاهد ، العدد 23 ، سنة 1958 ، ص 333 .

4 - حبيب حسن اللولب . التونسيون والثورة الجزائرية الجزء 1 ، دار السبيل للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 425

الشعور باللاأمن واللاسلم في عالم جديد يطبعه السباق على المجال الحيوي في العالم الثالث (الدول المستقلة حديثا) .وضمن هذا السياق بدأت تتشكل الظروف والخلفيات الدافعة الى عقد مؤتمر الوحدة المغاربية المذكور أعلاه وهي :

1-إدراك إدارة الاحتلال الفرنسي صعوبة الموقف الذي تواجهه في المغرب العربي بدخول الجزائريين معركة التحرير01-11-1954، إذ أصبح جيشها يحارب على ثلاث جبهات في رقعة جغرافية واحدة مع ما ينطوي ذلك على مخاطر إذا توحدت حركات المقاومة. وظل الخوف من توحيد المقاومة في المغرب العربي، هاجسا مقلقا لإدارة الاحتلال التي كانت على علم بمشروع ونشاط لجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة وسعي رئيسها محمد بن عبد الكريم الخطابي؛ إلى إنشاء جيش تحرير المغرب العربي. ودون شك، كان تزامن الهجومين في المغرب والجزائر صيف 1955 يغذي هذا التخوف الاستعماري الذي رسم من أهدافه التضامن مع الشعب المغربي في الذكرى الثانية لنفي ملكه محمد الخامس خارج الوطن[1].

لقد كان رأي رئيس الحكومة الفرنسية منديس فرانس والعسكريين أن السبيل الوحيد لإنقاذ وضع فرنسا المتردي في الجزائر، هو الانسحاب من تونس والمغرب مقابل الاحتفاظ بالمصالح الاقتصادية والقواعد العسكرية بهذين القطرين والاحتفاظ بالجزائر. ذلك أن إيقاف الحرب في المغرب وتونس سيمكن فرنسا من تجميع كل قواها الاقتصادية والعسكرية في الجزائر ويضمن لها الانتصار على الثورة الجزائرية ، أو على الأقل يعيد زمام المبادرة إلى قواتها بالتحرك بأريحية وتكون في وضع الهجوم لا وضع الدفاع.

1- لقد بينت هجومات الشمال القسنطيني 20-08-1955 البعد المغاربي للثورة الجزائرية في تجسيدها للنضال السياسي المشترك طيلة ثلاثة عقود سابقة الأمر الذي جعل فرنسا تأخذ فكرة التنسيق بين الأقطار الثلاث سيثقل كاهلها عسكريا ودبلوماسيا فسارعت الى ترتيب مفاوضات مع تونس والمغرب توجت باستقلالهما 1956 .

بالموازاة مع ذلك، وتحت ضغط الثورة المتصاعد، توالى انهيار حكومات الجمهورية الرابعة، التي أصبحت متهمة بالعجز من قبل العسكريين والمدنيين المتطرفين في الجزائر، لهذا قررت حكومة فليكس قيارFelix Gaillar ووزيرها المقيم في الجزائر، اعتماد ما أسمته "حق المتابعة" فكان ذلك ذريعة لعدوان الطيران الاستعماري على ساقية سيدي يوسف في 8 فبراير 1958[1]. والظاهر أن حالة الإحباط المتواصلة عند القيادة العسكرية والسياسية في الجزائر وفرنسا، جراء فشل مخطط التطويق، هي التي دفعت بها إلى الحلول الجنونية لإبراز قوتها أمام الخصوم في المنطقة وإحداث فجوة في الجدار المغاربي[2].

وقد بلغ عدد الضحايا في هذه العملية أكثر من ثمانين قتيلا، بينهم عدد كبير من الأطفال والنساء، في عملية وصفها روبير لاكوست Robert Lacoste بحق المتابعة ورغم مسؤوليته او ما يعبر عنه حينها وسط الدبلوماسيين والإعلاميين "فتنمة الحرب".

كان الهدف الأساسي من تنظيم هذا العدوان داخل التراب التونسي، هو إجبار الحكومة التونسية على التحرك لتجميد نشاط جيش التحرير ومنعه من شن العمليات ضد القوات الفرنسية في الجزائر، مثل ما وقع في جبل الكوشة داخل التراب الجزائري في 11 جانفي 1958، حيث قتل أحد عشر عسكريا فرنسيا وأسر أربعة آخرين[3]. وفي كلتا الحالتين، إما أن يصبح الجيش التونسي والمغربي حارسا للحدود أو يؤدي المخطط إلى تصادم جيش التحرير مع البلدين اللذين يأويان اللاجئين وجزء كبير من جيش التحرير وقيادة الثورة وأصبحا في وضع لا يحسدان عليه ، بين القيام بأداء واجب الأخوة والجيرة وبين الوقوع تحت تهديد استقرارها واستقلالها من الحكومة الفرنسية.

1 -Paul Balta, op cit, p 24 .

2 -Mounya Essemlali , Le Maroc entre la France et l'Algérie 1956-1962, presse universitaire française, N 146/2011-2012 , p 89.

3 – عبد الله مقلاتي ،الثورة الجزائرية و مؤتمر طنجة المغاربي 1958 ، ص 02 .

لقد برهن العدوان على تونس والعمليات المنسقة التي يقودها الجنرال كوني مع القوات الاسبانية جنوب إقليم درعة، أنه لن يكون هناك استقرارا أو سلما في منطقة المغرب العربي دون التضامن مع الثورة الجزائرية.

2- الإعلان عن الوحدة المصرية السورية في فيفري 1958 وهي المحاولات الوحدوية التي تمت في المشرق العربي بعد ان سبقت دول أوربا الغربية الى تشكيل سوق أوربية مشتركة في 25-03- 1957 " اتفاق روما " وما تلاه من مشروع إغرائي للولايات المتحدة الأمريكية " مشروع ايزنهاور 1957 بغرض استمالة دول في الشرق الأوسط الى صف المعسكر الرأسمالي ومشروع ترهيبي أخر أقيم سابقا في العراق سمي ب"حلف بغداد" في 24-02-1955 (يضم العراق ، تركيا ، باكستان والأردن وإيران) كلها ظروف اقليميو ودولية دفعت قادة تونس والمغرب الى التفكير بجدية حول موضوع الوحدة المغاربية الذي بقي شعارا شعبويا ونخبويا دون ان يرقي الى برنامج عمل يجب التعاطي معه رسميا.

3- ازدياد المخاطر الاستعمارية إثر التحالف الفرنسي الإسباني الذي قام بتوجيه ضربات قوية لجيش التحرير المغربي بمناطق الجنوب المغربي في هذه الظروف صادف أن واجه علال الفاسي صعوبات كثيرة و منها تعثر حكومة حزبه في تحقيق التنمية الاقتصادية وانهيار قواته وفشلها في تحقيق ما يسميه "بالصحراء المغربية"، بفعل ضربات خطة " المكنسة "، ولم يختلف الوضع مع الرئيس بورقيبة الذي كان تحت ضغط القواعد العسكرية الفرنسية المنتشرة على التراب التونسي والتي تدخلت بقوة في "رمادة"، كما عجزت حكومته عن تجسيد شعاراتها في الواقع الاقتصادي و الاجتماعي.

2- جدول أعمال المؤتمر ومقرراته :

وفي هذا الإطار، جاءت كلمة ممثل الوفد المغربي السيد" أحمد بلافريج " : إن مصير شمال إفريقيا واحد فهل يمكننا أن نرهنه قبل تحرير الجزائر؟ فإننا ملتزمون بحكم واجبنا ومصالحنا المشتركة أن تكون لنا وجهة نظر متحدة في السياسة الخارجية

ومواقف مشتركة وواحدة أمام المشاكل الدولية وإن وحدة الشمال الإفريقي ...كانت حلما من أحلام شبابنا، فأول ما فكرنا فيه اليوم أن جمعتنا الأقدار ونحن شباب قصدنا با ريس من تونس والج ا زئر لطلب العلم، هو أن ننشئ جمعية لطلبة الشمال الإفريقي، ...أن وحدة الشمال الإفريقي لم تعد عواطف ولا أمنية ولكن ستغدو حقيقة، ونحن في سبيل البحث .عن الوسائل العملية التي تخرجها إلى حيز التطبيق والواقع "[1].

أما ممثل الوفد الجزائري عبد الحميد مهري، فكانت كلمته أكثر حدة على الاستعمار وهو أمر طبيعي بالنسبة لقطر يناضل من أجل استرجاع استقلاله وقد عبر عن ذلك قائلا ... ":إن الوفد الجزائري يمثل في هذا المؤتمر الرقعة الوحيدة في العالم التي تدور فيها حرب طاحنة ما يقارب أربع سنوات، حربا يخوضها الشعب الجزائري الآن لا تهم ا الجزائر وحدها لأنها في الواقع معركة تحرير المغرب العربي الذي يمثل حدا فاصلا بين المرحلة التي كان الاستعمار الفرنسي يواجه كل قطر من أقطار المغرب العربي على حدى،، والمرحلة التي سيواجه بها المغرب العربي وحده كتلة متواصلة تمثل ثلاثين مليونا من المكافحين الذين يريدون الحرية... ،وأن وحدة المغرب العربي ضرورة ملحة لتخليص الجزائر من الاستعمار"[2].

ثم ألقى ممثل الوفد التونسي " الباهي لدغم "كلمته قائلا ":نجتمع اليوم في ظرف جد دقيق، فمن جهة يعيش شمال إفريقيا في مخاض كاد يجتاز حدود الاستطاعة وهذا التيار التحريري الذي يكتسح المغرب من أدناه إلى أقصاه قد قوض أركان الاستعمار وحتى أشرفه اليوم على الهلاك ومن جهة أخرى يساور الظرف الدولي اهتماما بالحرب في الجزائر،ويضيف...أن وحدة شمال إفريقيا قد أصبحت ضرورة يؤيدها التاريخ

1 – نبيل البلاسي ، الاتجاه الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1990 ، ص 196 وانظر أيضا : معمر العايب ، مؤتمر طنجة المغاربي دراسة تحليلية تقييمية ، دار الحكمة للنشر والتوزيع ، الجزائر 2010 ، ص 190 .

2– اندري ماندوز ، الثورة الجزائرية ، تر : ميشال سطوف ، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار ' الجزائر ، 2007 ، ص 76 .

والمعتقد والمدنية المشتركة ويفرضها وجوب التعاون من اجل مصالحها الحيوية وكيانها[1] " .

وقد عكس جدول أعمال المؤتمر محاور اهتمام القيادات المغاربية، إذ حدد المؤتمرون بعد جلستين تمهيديتين في الرباط المحاور[2] الآتية:

أولا :حرب تحرير بالجزائر .

أخذت هذه المسالة النصيب الأوفر من المناقشات باعتبارها قضية المغرب العربي الأساسية، واستطاعت جبهة التحرير الوطني أن تكسب مواقف دعم ومساندة لكفاحها، فأعلن المؤتمر مبدأ "حق الشعب الجزائري في السيادة والاستقلال كشرط وحيد لحل النزاع الفرنسي الجزائري ، وفي هذا تأكيد على مواقف جبهة التحرير الوطني في مبدأ السيادة والاستقلال التام، وأقر المؤتمر بعد تشريحه لطبيعة الحرب الاستعمارية أن تقدم الأحزاب السياسية للشعب الجزائري المكافح من اجل استقلاله كامل مساندة شعوبها وتأييد حكوماتها ونظرا لما تحظى به القضية الجزائرية من تأييد دولي، وشرعية تمثيل جبهة التحرير الوطني لكفاح الشعب الجزائري فإن المؤتمر أوصى بتكوين حكومة جزائرية بعد استشارة حكومتي المغرب وتونس [3]وقد نالت المسالة الأخيرة نقاشا مستفيضا واشترطوا موافقة مسبقة من تونس والمغرب لإعلانها اذ أكدت تونس على التركيبة للحكومة الجزائرية بدعوى ان توجه أعضاءها وإيديولوجيتهم مرهون بقبول دولي والمغرب ركزت على الظروف وتوقيت إعلانها ،

1- مومن العمري ، شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي اثناء الكفاح الوطني ، مذكرة لنيل الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة قسنطينة 2009-2010 ، ص 47 .

2- صبيحة بخوش ، اتحاد المغرب العربي بين دوافع التكامل الاقتصادي والمعوقات السياسية بين 1989-2007 ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2011 ، ص 128 .

3 - محمد العربي الزبيري وآخرون ، كتاب مرجعي عن الثورة التحريرية 1954-1962 ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007 ، ص ص 106-107

لكن جبهة التحرير الوطني أصرت على سيادة قرارها وقبلت أخيرا باستشارة تونس والمغرب فقط في الأمر دون الدخول في تفاصيل تشكيلها [1].

ثانيا : تصفية قواعد الاستعمار بالمغرب العربي .

نظرا للإعانة التي تتلقاها فرنسا من الحلف الأطلسي والدول الغربية[2] استنكر المؤتمر هذا الموقف، وطالب بوضع حد لكل إعانة سياسية ومادية ترمي إلى تغذية الحرب الاستعمارية في المغرب العربي، ونظرا لما تقوم به القوات الأجنبية المتواجدة في تونس والمغرب من انتهاك للسيادة والمشاركة في حرب الجزائر و سجل المؤتمرون القرارات التالية :

-استنكار استمرار وجود القوات الأجنبية فوق تراب تونس والمغرب الأمر الذي يتنافى مع سيادة البلاد المستقلة .

-طالب بكل إلحاح أن تكف القوات الفرنسية فورا عن استعمال التراب المغربي والتونسي كقاعدة للعدوان ضد الشعب الجزائري .

- دعوة الحكومات والأحزاب السياسية بتنسيق جهودها من أجل اتخاذ الإجراءات اللازمة لتصفية جميع بقايا السيطرة الاستعمارية .

ولقد كانت هذه القرارات البالغة الأهمية من اقتراح جبهة التحرير الوطني لإحراج الموقف الغربي والفرنسي خصوصا[3]، وقد تقدمت للمؤتمرين بخرائط مفصلة عن مواقع القواعد الفرنسية العاملة في تونس والمغرب، موضحة عملها المنسق مع الجيوش الفرنسية في الجزائر ،وسلبيات ذلك على نشاط المجاهدين الجزائريين، ولقيت جبهة التحرير الوطني تجاوبا مع مطالبها هذه، وقد كانت تحظى بإجماع شعبي وتعبئة

1 - خليفة الجنيدي ، حوار حول الثورة ، دار موفم للنشر ، الجزائر 2009 ، ص 264 .

2- Paul Balta , op cit, p 24 .

3 - جريدة المجاهد ، العدد 23 ، سنة 1958 ، ص 333 . وانظر أيضا : مومن العمري ، مرجع سابق ، ص 217 .

جماهيرية كبيرة، وجاء التأكيد عليه كذلك بهدف تجنيد هذه الجماهير الواسعة وراء مطالب المؤتمر، كما أن قرار التنديد بالدعم الغربي المقدم لفرنسا كان قرارا جزائريا ،تم تثبيته رغم أن حزب الاستقلال والحزب الدستوري اقترحا صياغة هذا التنديد على لسان شعوب المغرب العربي، وأما مطلب دعم نضال شعب موريتانيا فقد عبر المؤتمر عن تضامنه مع هذا المطلب، غير أن حزب الاستقلال دعا إلى ربط هذا النضال في إطار وحدة التراب المغربي، في حين أصر الطرفين التونسي والجزائري على إنزاله في إطار نضال التحرر المغاربي ،والتأكيد أن هذه المقاومة التحريرية هي جزء من المعركة التي تقوم بها أقطار المغرب العربي من اجل تحريرها ووحدتها

وهكذا لم ينجح حزب الاستقلال في الحصول على دعم المؤتمر لما كان يسميه حقوقه الترابية في موريتانيا[1] وقد تجلت خلاله المطامح القطرية واضحة بالشكل الذي يؤكد ان الطموح لبناء الوحدة لم ينضج بعد.

ثالثا : شكل وحدة المغرب العربي وقواعدها والمرحلة الانتقالية :

أكد المؤتمر على توحيد مصير شعوب المغرب العربي في إطار مؤسسات مشتركة، واعتبر أن الشكل الفيدرالي أكثر ملاءمة للواقع في البلاد المشتركة في هذا المؤتمر ، ومن اجل ذلك اقترح المؤتمر أن يشكل في المرحلة الانتقالية مجلس استشاري للمغرب العربي ينبثق عن المجالس الوطنية في تونس والمغرب، وعن المجلس الوطني للثورة الجزائرية CNRA، مكون من 30 عضوا 10 أعضاء عن كل بلد عضو ، على أن تكون وظيفته دراسة القضايا ذات المصلحة المشتركة وتقديم التوصيات للسلطات التنفيذية المحلية ،ولمتابعة وتنفيذ التوصيات التي يصدرها المجلس الاستشاري يوصي المؤتمر بضرورة الاتصالات الدورية كلما اقتضت الضرورة دلك بين المسؤولين المحليين للأقطار الثلاثة .

1 – عبد الله مقلاتي ، العلاقات المغاربية ابان الثورة التحريرية الجزائرية 1954–1962 ، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة . 2007–2008 ، ص 389

كما قرر المؤتمر إنشاء أمانة دائمة للمؤتمر من ستة أعضاء، عضوين عن كل طرف، على أن يكون لهذه الأمانة مكتبين أحدهما بالرباط والآخر بتونس، وأن تجتمع دوريا في إحدى العاصمتين بالتناوب[1]، وفي إطار توحيد السياسات الخارجية والدفاع أوصى المؤتمر حكومات أقطار المغرب العربي بأن لا تنفرد – ميدان العلاقات الخارجية والدفاع بشمال إفريقيا– الا بعد إقامة المؤسسات الفيدرالية [2] .

رابعا : إنشاء كتابة دائمة للسهر على تنفيذ قراراته وتتألف هذه الكتابة من ستة أعضاء وتنقسم الكتابة إلى مكتبين، إحداهما بالرباط والثاني بتونس، وعينت الجبهة اثنين من الزعماء السابقين وهما احمد بومنجل " واحمد فرنسيس لتمثيلها في الكتابة الدائمة ،التي تجتمع دوريا في إحدى العاصمتين بالتناوب .

لقد وجهت نسخا من قرارات المؤتمر بعد المصادقة عليها إلى جلالة الملك" محمد الخامس و إلى الرئيس التونسي" الحبيب بورقيبة "و ملك ليبيا إدريس السنوسي ، فهل تتجسد هذه القرارات الحماسية المغاربية على ارض الواقع ؟.

3/ مؤتمر المهدية 1958: صدمة الواقع وخيبة الأمل :

لعل ما ميز هذا المؤتمر هو ترقية مستوى التمثيل للحاضرين من وفود شبه رسمية (الأحزاب الثلاث المغاربية) التي حضرت مؤتمر طنجة الى مستوى الحكومات التونسية والمغربية بحضور لجنة التنسيق والتنفيذ الجزائرية .انعقد هذا المؤتمر في 17 إلى 20 جوان 1958 في مدينة المهدية بتونس بعد 51 يوما من تاريخ انعقاد مؤتمر طنجة بالمغرب بهدف تطبيق قرارات هذا الأخير إذ رافق هذا الحدث حملة إعلامية فرنسية ضد الأطراف المعنية بالحضور بدعوى ان اللقاء سيكون على مستوى الحكومات لا الأحزاب مما يعني استهداف جبهة التحرير من الحضور في الاجتماع وان

1 – شارل اندري فافورد ، ترجمة كابوية عبد الرحمن ، وسالم محمد ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر 2010 ، ص 380

2 --غالي غربي ، فرنسا والثورة الجزائرية 1954-1958 دراسة في السياسات والممارسات ، دار غرناطة للنشر والتوزيع ، الجزائر 2009 ، ص 492 .

حدث ذلك الاجتماع فقد يكون اقل تمثيلا وبصفة عضو ملاحظ وفي ذات الوقت الضغط على الحكومة المغربية والتونسية من عدم الالتزام بمقررات طنجة التي صاغتها أحزاب البلدين وعلى الحكومات الرسمية أن تكون براغماتية في علاقاتها الخارجية وألا ينطوي مستقبلها على قرارات شعبوية مهددة لمصالحها في الحوض المتوسط .وهو ذات الموقف الذي بدأه الوفدان التونسي والمغربي يمارسانه في التملص من مساعدة الجزائر وثورتها ولاجئيها على الحدود بذريعة ضعف الإمكانيات الاقتصادية التي لا تكفي حتى للتنمية المحلية خاصة بعد خروج الرأسمال الأجنبي مما يعطي الانطباع ان مسالة المساعدات التي وعد بها الوفدان التونسي والمغربي ما هي الا خطاب ديماغوجي لا يقل عن ما ينكرونه على إخوانهم المشارقة وازدادت الحقائق تتكشف تباعا لممثلي جبهة التحرير بخصوص جلاء القوات الفرنسية عن قواعدها في تونس اذ رد وفد هذه الأخيرة بان الانسحاب يتم وفق جدول زمني مع بقاء حامية فرنسية بقاعدة بنزرت ورفض ممثلي البلد تسليم الاتفاقية الثنائية (فرنسية-تونسية) لوفد الجبهة للاطلاع على مضمونها مما يوحي بتنكر الطرف التونسي لالتزاماته في مؤتمر طنجة حول الانفراد بقعد اتفاقيات مع الأجانب دون استشارة بقة الأطراف [1].

يعود هذا القرار إلى شروع الجنرال ديجول في تفعيل مخطط تطويق الثورة وإحكام عزلها عن تونس والمغرب، بإرضاء البلدين ببعض المبادرات قصد تحييد دورهما أكثر في هذا الصراع وإفراغ تصريحات طنجة من مضمونها، ومن هذه المبادرات قرار فرنسا إخلاء قواعدها العسكرية ابتداء من 14 جوان 1958 في الغرب و الجنوب المغربي و في 17 جوان من الغرب التونسي باستثناء قاعدة بنزرت وهذا بالتزامن مع اجتماع المهدية . وقد كشف المحلل السياسي في جريدة المجاهد أسباب هذا الجلاء قائلا: "إن انحناء ديجول لقبول الجلاء عن تونس و المغرب قد جاء نتيجة لمؤتمر طنجة، ولم يأت نتيجة لأي شيء آخر"[2]وقد احتفلت الحكومتان بالجلاء وأعطتا

1- عبد الله مقلاتي ، العلاقات ...، مرجع سابق ، ص ص ، 397-398 .

2 - جريدة المجاهد ، العدد 26 ، 1958 ، ص ص 1- 8

ذلك زخما إعلاميا كبيرا وحاولتا إظهار مسعاهما، كعمل يندرج في إطار استكمال السيادة الوطنية و كتجاوب مع مطالب الثورة الجزائرية، التي دعتهما في مناسبات عديدة إلى غلق المراكز العسكرية الفرنسية على أراضيهما "لتطمين" الشارعين التونسي والمغربي حول حقيقة تجسيد قرارات طنجة وإيهامهم بالجدية في التنفيذ[1].

إن سياسة الجمهورية الفرنسية الخامسة 09-01- 1959 برئاسة شارل ديغول قد عقدت من رهانات المغاربة في تفعيل مقررات مؤتمر طنجة وازداد الضغط على الثورة الجزائرية من جهة (مشاريع سياسية واقتصادية وعسكرية قوية) قابله في نفس الوقت تلويح فرنسا لتونس والمغرب بسياسة العصا والجزرة ولئن كانت جبهة التحرير السباقة في دعوة رفقائها الى إدانة سياسة الأرض المحروقة في الجزائر وتسفيه سياسة الإدماج التي مافتئت فرنسا تنشدها إلا أنها لاحظت تبرما غير مبرر منهما والضغط على الجبهة لقبول خيار على نمط البلدين في التسوية مع فرنسا تحت طائل التهديدات الفرنسية المتكررة لإعادة احتلال البلدين[2]انطلاقا من ان الجمهورية الخامسة الفرنسية هي نتاج العسكريين المتطرفين والغلاة المعمرين لمشروع الجزائرية الفرنسية او الشمال إفريقي الفرنسي وعرض مشاريع ثقة وتعاون اقتصادي ضخم من خلال الدخول الى المنظمة المشتركة للبحث والاستغلال في الصحراء (OCRS) [3]وهو العرض الذي جر تونس الى عقد شراكة مع شركة بترولية فرنسية يتم تمرير أنبوب البترول الجزائري على أراضيها من حقل إيجلي بالصحراء الجزائرية الى ميناء الصخيرة بتونس وهو خرقا آخر لمقررات مؤتمر طنجة [4]في حين رفضت كل ليبيا والمغرب الا ان هذه الأخيرة لم تتوان في الكشف عن أطماعها الجغرافية في التراب

1 Mohamed Harbi , les archives de la révolution algérienne , éd/ jeune Afrique , Paris ,pp144-147 .

2 – عبد الله مقلاتي ، مرجع سابق ، ص 397 .

3 – المجاهد ، العدد 27 ، 22-07-1958 ، ص ص 1-5 .

4 – مريم صغير ، المواقف الدولية والعربية من القضية الجزائرية ، مرجع سابق ، ص 142 .

الجزائري عندما قامت بالتنسيق مع فرنسا بمطاردة عناصر جيش التحرير في أوت 1958 برعاية علال الفاسي نفسه في إطار "أزمة الحدود" حسب الدعاية المغربية [1].

ولم تفوّت جبهة التحرير الفرصة في الرد على "عملية الخبز المسموم "[2] والغدر التي وقعت فيها الحكومة التونسية وبنفس أسلوب العدو لجأت الثورة الجزائرية إلى الإغراء بالحديث عن" بترول المغرب العربي " وجاء في المجاهد تحت ذلك العنوان: " إن بترول المغرب العربي ملك لهذا المغرب قبل كل شيء ويجب أن يخدم صالحه داخل استقلال متحرر من التأثيرات الأجنبية ". وفي موضع آخر: " إن تحديد سياسة بترولية مشتركة يجب أن يتم بأسرع ما يمكن....يجب على السكرتارية الدائمة للمغرب العربي أن تنظر سريعا في قضية البترول و تعيين لجنة مختصة لإقامة تصميم و تحضير الوثائق اللازمة و النظر في الاتفاقات المختلفة الممكنة التي تتعلق بالتنقيب عن النفط و رؤوس الأموال و اليد العاملة الكفيلة باستغلاله" وأكثر من ذلك نظمت لجنة فيدرالية جبهة التحرير الوطني هجوما عسكريا في كامل التراب الفرنسي ليلة 25-08-1958 وفتحت الجبهة الثانية بنقل الثورة الى عقر دار المستعمر وضرب مصالحه الحيوية والاقتصادية خصوصا في الجنوب والجنوب الشرقي حيث مرافئ شحن البترول ومصانع تكريره لقطع يد الإغراء الممدودة الى دول الجوار وكفها عن اللهث وراء الهدية المسمومة [3].

1 - معمر العايب ، مرجع سابق ، ص 197 .

2 - علق بورقيبة غداة مجزرة ساقية سيدي يوسف 08-02-1958 بأن "الحرية قبل الخبز " في رده على الإغراءات التي كانت تلوح بها الادارة الاستعمارية لكن ما ان تغيرت المعطيات حتى انقلبت تونس في موقفها و غدرت بجارتها الجزائر والقبول بعرض الشركة الفرنسية لنقل البترول ضاربة عرض الحائط قرارات طنجة التاريخية بعد شهرين من اعلانها و تحول شعاره الى الخبز قبل الحرية .

3 - جيلالي تكران ، الحركة العمالية الجزائرية في الجزائر وفرنسا ودورها في التحرير الوطني بين 1945-1962 ، أطروحة لنيل الدكتوراه علوم ، جامعة الجزائر ، قسم التاريخ ، 2012-2013 ، ص 290 .

وبُعيد هذه العمليات الجريئة التي شدت انتباه العالم إلى القضية الجزائرية، اختارت قيادة الثورة هذا التوقيت فأعلنت عن قيام الحكومة المؤقتة في 19 سبتمبر1958 فلقيت الاعتراف، تباعا، من قبل الدول العربية و الإسلامية و الاشتراكية مما شكل نجاحا مرحليا كبيرا لمشروع التدويل وهزيمة مريرة لمخطط التطويق لشارل ديغول ، وبجر تونس و المغرب إلى هذا الاعتراف[1] ،تحت ضغط شارع البلدين، عملت قيادة الثورة على تحقيق هدفين أساسيين أولهما: وضع تونس والمغرب على المحك ومدى تجاوبهما مع قرارات مؤتمر طنجة وكشف حقيقتهما أمام شعوبهما وشعوب العالم العربي وثانيهما إحداث توتر في علاقة البلدين مع فرنسا وإعادة التزامهما بالدعم العسكري و السياسي اتجاه الثورة الجزائرية ، بدل موقف الوسط و المساومة بالثورة، والمفاضلة بين المبدأ الأخلاقي مع الجبهة أو البراغماتية مع فرنسا والخيار بين مبدأين لا ثالث لهما وثالثهما: توضيح حقيقة موقف البلدين ومزاعمهما بتبني كفاح الشعب الجزائري وتبيان حدود مشروع الوحدة المغاربية الذي بات قناعة شعبية متعاظمة وشعارا رسميا باهتا.

وان كان مستوى الحضور يختلف بين طنجة والمهدية بين شبه الرسمي والرسمي في التمثيل جعل الشعوب المغاربية والنخب السياسية في موقف دقيق بين الارتياح والريبة وفي حالة ترقب لرؤية القرارات تأخذ مجراها الى التجسيد وإضفاء الطابع الرسمي عليها الا أنها في ذات الوقت كان نذر شؤم في ان تفرغ تلك القرارات من محتواها ونسفها تدريجيا وهذا الجو العام الذي تنبأت به جبهة التحرير من ان الخطاب الرسمي لا يعني من الواقعية شيئا وهي الحقيقة المرة التي شهدها مؤتمر المهدية (اغتيال حلم عمره 51 يوما فقط) اذ جعلت قرارات طنجة تضامنية غير إلزامية[2]، وقد سجل وفد لجنة التنسيق والتنفيذ كامل احتياطاته للتصدي لحكومتي تونس

1 -Mounya Essamlali , op cit , p89.

2 – عبد الله مقلاتي ، مرجع سابق ، ص 399 .

والمغرب المتأثرتين بإغراءات شارل ديغول سواء ما تعلق منها بدعم الجزائر أو بوحدة المغرب العربي .

كما أن نظامي تونس والمغرب اجتهدا في تأويل مقررات طنجة، وتأجيل موضوع الوحدة إلى أجل مسمى، مما يؤكّد على تغليب الاهتمامات القطرية على حساب مشروع الوحدة المغاربية .

4-أسباب الفشل:

مكنت الظروف المغاربية والإقليمية والدولية قادة تونس والمغرب من طرح مبادرة سياسية جريئة تخص تفعيل العمل المغاربي المشترك الذي ظل خطابا شعبويا يتداول بين نخب وإطارات الأحزاب السياسية المغاربية طيلة فترة الاحتلال وإخراجه من صيغة القول الى صيغة العمل في سابقة لم يألفها المغاربة من زاوية السرعة التي أحاطت بتحضير ورقة المؤتمر وجرأة وثورية القرارات التي تمخضت عنه في ظروف معقدة لا تسمح برفع سقف القرارات في غياب المقومات الكفيلة بتجسيدها ، مما يوحي بان المبادرة لا تعدو ان تكون مناورة لتحقيق مآرب قطرية على حساب كفاح الجزائريين وتنازلات من جانب فرنسا لاستكمال حركة التحرير او توظيف طرف ضد الأخر .

لقد اجتهد كل طرف في تقديم التبريرات التي كانت وراء فشل قرارات مؤتمر طنجة 1958 وفي بعض الأحيان تحميل الأطراف الأخرى بالتسبب في إجهاض مبادرة الوحدة المغاربية والعمل المغاربي المشترك والنأي بنفسه عن تحمل المسؤولية وإجمالا يمكن أن نستخلص عوامل فشل مقررات طنجة التاريخي في النقاط الآتية :

1- اختلاف الأطراف الثلاث حول مفهوم الوحدة المغاربية، ففي حين كانت جبهة التحرير الوطني تفسر هذه الوحدة بوحدة العمل المغاربي المشترك لمواجهة العدو المشترك، اذ كانت تونس والمغرب تعتقد أنه من المستحيل إقامة مؤسسات الوحدة قبل نيل الجزائر لاستقلالها وهذا ينم عن تهرب البلدين من مسؤولياتهما التاريخية القاضية بالتنسيق والعمل المشترك فكل من تونس والمغرب يرغبان في

استكمال سيادتها على المناطق التي تحتلها القوات الفرنسية وتستكثران على الجزائر تحرير أرضها .

2-سعي النظامين التونسي والمغربي لاحتواء الثورة الجزائرية وإبعادها عن التأثير القومي العربي وهيمنة جمال عبد الناصر على توجيهها [1]وعن المعسكر الاشتراكي في اطار الصراع بين المعسكرين على مناطق النفوذ بالوطن العربي (العدوان الثلاثي على مصر 1956 ، حلف بغداد 1955 ، مشروع ايزنهاور 1957 في الشرق الأوسط....).

3-الخلفيات الإيديولوجية والمطامع الجغرافية لكل من تونس والمغرب فيما يتعلق بالحدود والشروط لإعلان تكوين الحكومة الجزائرية المؤقتة مما يكشف النية المبيتة لدى البلدين في التدخل السافر في الشؤون الداخلية للجبهة ومحاولة المس بقرارها المستقل[2] .

4-الانقسامات والمشاكل التي اعترضت الأحزاب المغاربية الثلاث، خاصة الانقسام الذي عرفه حزب الاستقلال بين زعيمه علال الفاسي المحافظ والمهدي بن بركة اليساري ، كما أن الخلاف استشرى في مؤسسات جبهة التحرير الوطني خلال عام 1959 بين لجنة التنسيق والتنفيذ والداخل(الولاية الأولى والقاعدة الشرقية) وفي تونس بين الحبيب بورقيبة وغريمه صالح بن يوسف.

5-استفحال الخلافات بين الأطراف الثلاث فمنذ جوان1958 دخلت جبهة التحرير الوطني في خلافات حادة مع تونس التي خرقت مقررات طنجة وأمضت اتفاقية"إيجلي" مع فرنسا، وواجهتها مشاكل عديدة مع المغرب ترجع إلى مسألة الحدود ونشاط الثورة في المغرب.

1- معمر العايب ، مرجع سابق ،ص 195 .
2- نفسه ص 197 .

6-الاختلاف بين تونس والمغرب حول قضية موريتانيا التي أرادها المغرب ان تكون عملية تحريرها من الاحتلال الفرنسي ضمن السيادة المغربية (الصحراء المغربية) في حين كان القرار التونسي ان تحريرها يكون في إطار المغرب العربي مما فسر حينها معارضة تونس للأطماع المغربية في الجنوب .

7-سياسة الجمهورية الفرنسية الخامسة التي طرحت مشاريع إغراء واحتواء ضخمة في شمال إفريقيا تجاه الثورة الجزائرية في الداخل وعروض أخرى لتونس والمغرب وهو العامل المهم -في رأينا- الذي فك الارتباك بين الأقطار الثلاثة وبدأ كل طرف -خاصة تونس والمغرب المستقلتين- يبحث عن مصالحه رهبة ورغبة بحكم استقلالهما حديثا ويسعيان الى تفادي خلق مشاكل إضافية مع فرنسا والحصول على مساعدات تمكنهما من بدء مشاريع تنموية وطنية شاملة وليس باستطاعتهما زيادة تكلفة مساندة الثورة أو الانخراط في العمل المشترك -على الأقل من الجانب الرسمي- الأمر الذي أجاد ديغول توظيفه في إحداث الفرقة بين الأطراف المعنية وفرض سياسة الأمر الواقع والانكفاء الذاتي وترك أمر المساندة والدعم على المستوى الشعبي وغض الطرف عنه أحيانا[1].

8-لا يمكن إغفال أهمية التوقيت الدولي المحموم بالصراع بين المعسكرين خلال الحرب الباردة والنزاع على المجال الحيوي في دول العالم الثالث وخاصة الوطن العربي الذي ظل بؤرة توتر دولية منذ زمن بعيد ، ولا أدل على ذلك ، من القرارات الصادرة عن مؤتمر كامبل بنرمان بإنجلترا سنة 1907 بحضور الدول الاستعمارية الداعية الى وضع خطة استباقية لمنع الوحدة والتقدم بين العرب في جنوب وشرق المتوسط ، وإدامة التشرذم والتخلف بكل الطرق .

إذا كان مؤتمر المهدية مخيبا لآمال الوحدة المغاربية فان المسؤولية تقع على الأحزاب والحكومات التونسية والمغربية اللتان حضرتا المبادرة بصورة استعجاليه و عاطفية تندرج ضمن ردود الأفعال ولم تحض بدراسة معمقة من قبل الأطراف المعنية

1 -Mounya Essamlali, op cit , p 89.

حتى تبلغ مستوى النضج الكافي واكتفت بالتأييد الجماهيري المغاربي للمبادرة والزخم الإعلامي لترويجها وهو الأمر الذي كانت الجبهة تتوجس منه عند إطلاق المبادرة التي خلت من جدول الأعمال ولهذا استطاعت التمسك بزمام الأمر في فرض وجهة نظرها وكسب بعض النقاط الايجابية وحنكة في إدارة فن الممكن بين الأطراف المعنية الثلاث والطرف الفرنسي ومن هذه المكاسب :

- خلق تيار شعبي مغاربي مؤيد للثورة التحريرية ومعارض لبقاء القوات الفرنسية ببلدانها وما يندرج في حصول اللاجئين الجزائريين وجيش التحرير على دعم متعدد الأشكال داخل تونس والمغرب رغم امتعاض حكوماتها أحيانا .
- الاعتراف بجبهة التحرير كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري وقطع الطريق على مشاريع الحركة المصالية من المشاركة في التسوية مستقبلا .
- الدعم المسبق لتشكيل حكومة جزائرية مؤقتة والاعتراف العاجل بها.

هكذا كان مؤتمر طنجة مناورة سياسية وأسلوبا انتهازيا اتخذ منه التونسيون و المغاربة أداة ضغط باسم الثورة الجزائرية يخيفون بها فرنسا ليفتكوا منها بعض التنازلات ضمن سياسة المرحلية والتدريج (خذ وطالب) واتخذتها فرنسا ذريعة في فتق أواصر الأخوة بين الشعوب المغاربية في وقت كانت تحتاج فيه الجزائر لوقفة تضامنية تاريخية ، تستعيد من خلالها استقلالها ، وبعدئذ يحين الوقت للحديث عن المسائل العالقة بين بلدان المغرب العربي وتسويتها في هياكل الاتحاد المغاربي وفي مستوى الندية والاحترام المتبادل.

مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد الخامس (ديسمبر 2018 م)
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

قراءة في كتابات المناضل أحمد علي مهساس بخصوص مؤتمر وادي الصومام

أ: بكار الدهمة/ جامعة غرداية
Email :dahma01@gmail.com
أ.د: صالح بوسَليم/ جامعة غرداية
Email :salahboussalim@yahoo.fr

ملخص

أسالت نتائج ومقررات مؤتمر وادي الصومام 20 أوت 1956م، الكثير من الحبر في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الثورة التحريرية، وأجّجت العديد من الخلافات والصراعات بين بعض قادة الثورة، وخاصة بين عناصر الوفد الخارجي وجماعة الداخل. لهذا سنحاول في هذا المقال، تقديم قراءة في كتابات المناضل أحمد علي مهساس بخصوص مؤتمر وادي الصومام، لأنه كان يرى بأن انعقاد هذا المؤتمر كان ضرورة وحتمية ملحة؛ بسبب المشاكل والنقائص التي بدأت تظهر بشكل واضح على مستوى كافة الميادين التنظيمية والهيكلية للثورة، ويُعد انعقاد المؤتمر حسب العديد من الباحثين والمعاصرين للأحداث، حدثا تأسيسيا هاما، ومحطة تاريخية بارزة وهامة، دفعت بالثورة التحريرية نحو تحقيق الاستقلال والنصر.

الكلمات الدالة: مؤتمر وادي الصومام، أحمد مهساس، هياكل الثورة، الثورة الجزائرية، قرارات المؤتمر.

Abstract

It seems that the results and decisions of the Conference of the Valley of the Sawmam 20 or 1956, I have asked a lot of ink at that critical period of the history of the editorial revolution It has fuelled many differences and conflicts between some of the leaders of the revolution, especially between the elements of the external delegation and the Community of the interior. This is why we will try in this article to provide a reading in the writings of the activist Ahmed Ali

Mahsas about the conference of Wadi al-Sawmam, the latter who felt that this Conference was an urgent necessity and imperative, because of the problems and shortcomings That began to manifest itself in the level of all the organizational and structural fields of the revolution, and therefore the convening of the conference according to many scholars and contemporaries of events an important constitutive event and a landmark milestone and important pushed the editorial revolution towards achieving independence and victory

Key words: The conference of the Sawmam Valley, Ahmed Mahsas, the structures of the revolution, the Algerian revolution, the decisions of the Conference

مقدمة:

يُعد تاريخ العشرين من شهر أوت سنة 1956م، من بين المحطات التاريخية الكبرى التي شهدتها الثورة الجزائرية، حيث كان منطلقا لمرحلة جديدة من مسار الثورة، وقد أسالت نتائج ومقررات المؤتمر الكثير من الحبر لدى الباحثين، وأجّجت العديد من الخلافات بين أقطاب الحركة الوطنية وصانعي أحداث الثورة. وكتب في هذا الشأن المناضل والقيادي البارز أحمد علي مهساس[1]؛ بخصوص قرارات المؤتمر ما يلي: " كانت فكرة انعقاد مؤتمر وادي الصومام بعد اندلاع الثورة مطروحة ومختمرة

(1) أحمد مهساس وفي بعض المراجع محساس والمعروف أيضا بـ: علي مهساس، وهو من مواليد بودواو بومرداس يوم 17 نوفمبر 1923 سياسي ومناضل سابق في حزب الشعب الجزائري PPA في الفترة 1940-1945 أحد أهم أعضاء المنظمة الخاصة OS ، تمّ إلقاء القبض عليه مباشرة على إثر اكتشاف المنظمة يوم 18 مارس 1950 استطاع الفرار من السجن بطريقة بطولية رفقة قائد المنظمة زميله أحمد بن بله في ماي 1952 ليلتحق بالخارج ويصبح من أوائل العناصر التي ستشكل فيما بعد ما يعرف بالوفد الخارجي بالقاهرة، وبعد اندلا ع الثورة أصبح مكلفا بملف جمع السلاح ونقله إلى الجزائر عبر ليبيا وتونس. وبعد الاستقلال تمّ تعيينه وزيراً للفلاحة، وبعد الحركة التصحيحية 19 جوان 1965 أصبح من أعضاء مجلس الثورة، ولكن سرعان ما اختلف مع النظام الجديد وخرج من الجزائر. له العديد من المؤلفات، أهمها كتاب: الحركة الثورية في الجزائر 1914-1954، متحصّل على شهادة الدكتوراه، توفي بالجزائر عن عمر يناهز 90 سنة يوم 24 فيفري 2013، للمزيد أكثر ينظر: الطاهر جبلي: الإمداد بالسلاح خلال الثورة الجزائرية 1954-1962، طبعة خاصة، دار الأمة للطباعة والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 599-600.

في أذهان مسيري الثورة الجزائرية، منذ اندلاعها، وما إن اجتازت الثورة سنتها الأولى حتى أصبح عقد المؤتمر ضرورة وحتمية لا جدال فيها أمام النجاح الباهر الذي حقّقته الثورة على جميع الأصعدة. "[1]

فعقد المؤتمر، أصبح ضرورة حسب رأي المناضل والقيادي البارز أحمد مهساس، وخاصة بعد أن بدأت تظهر بعض النقائص في مجالات عدّة هيكلية وتنظيمية وسياسية، كما شهدت المرحلة التي سبقت انعقاد المؤتمر التحاق العديد من فئات الشعب الجزائري وعناصر بارزة من أحزاب واتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية بصفوف الثورة.

فبقدر ما صاغ المؤتمر عدّة حلول للمشاكل التي كانت تعاني منها الثورة في بدايتها، فقد تسبّب كذلك بالمقابل في خلق وإثارة العديد من الخلافات والصراعات الداخلية بين القادة ؟؟، والمعروف عن المؤتمر، أنه قد تسبّب في إفراز حالة شديدة من الانشقاق والاصطفاف الداخلي على مستوى القيادة، وخاصة بين عناصر الوفد الخارجي وجماعة الداخل، فهناك من القادة من رفض نتائج المؤتمر رفضا قاطعا واعتبرها خروجا وانحرافا عن مبادئ الثورة التي وردت في بيان أول نوفمبر1954 .؟؟

وللتذكير، فإن سلطات الاحتلال لما اندلعت الثورة ألقت القبض وبسرعة على أغلب مسؤولي حركة انتصار الحريات الديمقراطية M.T.L.D ظناً منها بأن الحركة قامت بمناورة الانشقاق[2]،من أجل التغطية عن التحضيرات التي انتهت باندلاع

(1) لمجد ناصر: أحاديث مع أحمد علي مهساس أحد مهندسي ثورة التحرير، تقديم محمد عباس، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، المسيلة، الجزائر، 2013، ص85.

(2) شهدت حركة انتصار الحريات الديمقراطية حالة من التفكك والتمزق والانشقاق بين عناصرها قبيل اندلاع الثورة التحريرية، فأصبحت الحركة تضم تيارين تيار مصالي متعصب لأفكار مصالي الحاج وتيار مركزي الداعي لإصلاح أجهزة الحركة الإدارية والسياسية، وفي خضم هذا الصراع والتنافس على المناصب والسلطة داخل الحركة ظهر تيار ثالث من الشباب المتحمس للعمل المسلح فأسس اللجنة الثورية للوحدة والعمل وقام بالتحضيرات التي انتهت باندلاع الثورة التحريرية يوم الفاتح نوفمبر 1954 للمزيد ينظر، عيسى كشيدة : مهندسو الثورة، ط1، دار الشهاب، الجزائر، 2003، ص ص 40-55.

الثورة، ولكن بعد التحريات والتحقيق مع أولئك المسؤولين، تبين للسلطات بأن من قاموا بتفجير الثورة هم كتلة محايدة فجرت الثورة لتضع الجميع أمام أمر الواقع، ولكي يتحمل الجميع المسؤولية. ولهذا لم يكن أمام هؤلاء القادة من خيار سوى الانضمام لصفوف الثورة أو الوقوف ضدها.

لكن إطلاق سراح أولئك الذين يتميز معظمهم بنوع من الاعتدال، كان الهدف منه هو محاولة احتواء الثورة بافتكاكها من البداية عن مفجريها أصحاب التوجه الثوري الراديكالي[1]، فقد كان هاجس المعتدلين هو الرغبة في احتواء الثورة، ولهذا عندما علم هؤلاء المعتدلون بفكرة انعقاد مؤتمر الصومام سارعوا إلى التحضير له وشجعوا السيد عبان رمضان[2] على المضي في جعل المؤتمر حقيقة مجسدة على أرض الواقع كون رمضان عبان في نظرهم كان هو الأكثر طموحاً إلى الزعامة لذا رأوا في شخصه ضالتهم لتحقيق أهدافهم البعيدة.

كان من الأخطاء الكبيرة التي وقع فيها المناضل محمد بوضياف[3] والتي مكّنت لتيار السيد عبان رمضان من الانفراد بالساحة الداخلية هي عدم التزام السيد محمد

(1) لمجد ناصر: المصدر السابق، ص86.

(2) من مواليد 20 جوان 1920بقرية الأربعاء إيرثن القريبة من مدينة تيزي وزو وسط عائلة ميسورة الحال، واصل عبان دراسته بثانوية البليدة وتحصل على شهادة البكالوريا سنة 1941، شغل فيما بعد ككاتب عام ببلدية شلغوم العيد، وأثناء الحرب العالمية الثانية كان من المجندين في صفوف الجيش الفرنسي برتبة ضابط صف، انخرط في صفوف حزب الشعب الجزائري وشارك في مظاهرات 8 ماي 1945 ، أصبح عضوا في المنظمة الخاصة، بعد تأسيسها وألقي عليه القبض على إثر اكتشافها وحكم عليه بالسجن لمدة ست سنوات، أطلق سراحه في جانفي 1955، ليلتحق مباشرة بالثورة بعد اتصاله بالمناضل عمر أوعمران، تم تكليفه بتنظيم الجزائر العاصمة ولعب دوراً كبيرا في الإعداد لمؤتمر الصومام، وكان صاحب الأولويات، اغتيل في النهاية بالمغرب يوم 27 ديسمبر 1957 للمزيد ينظر: الطاهر جبلي: الإمداد بالسلاح ...، مرجع سابق، ص588.

(3) من مواليد سنة 1919 بقرية أولاد ماضي بولاية المسيلة، اشتغل بعد مرحلة التعليم بمصالح الضرائب بمدينة جيجل، انضم إلى صفوف حزب الشعب الجزائري ثم حركة انتصار الحريات الديمقراطية، أصبح فيما بعد عضواً بارزاً في المنظمة الخاصة مسؤولاً على القطاع القسنطيني، حوكم غيابياً على إثر اكتشاف المنظمة الخاصة وفي سنة 1953 التحق بفرنسا لتنظيم شؤون الحركة هناك وبعد عودته للجزائر ساهم في تأسيس اللجنة الثورية للوحدة والعمل مارس 1954 وكان من بين أعضاء مجموعة الاثنان والعشرين، تم اعتقاله في حادثة اختطاف الطائرة 22 أكتوبر 1956، بعد الاستقلال عارض نظام الحكم وأسس حزب الثورة الاشتراكية في جوان 1963 تعرض للسجن والنفي إلى الجنوب الجزائري، غادر البلاد إلى المغرب واستقر هناك، وبعد استقالة الرئيس الشاذلي بن

بوضياف بالمهمة التي كان مكلفاً بها من البداية، وهي مسألة التنسيق بين الداخل والخارج في شؤون الثورة، وفي هذا الصدد يقول أحمد علي مهساس: " فلما ذّكرتهُ يقصد بوضياف بمهمته ونحن بالمغرب الأقصى قال لي من يريد تسيير الثورة من الداخل فهو مجنون وحين ظهر عبان على الساحة وبدأ يتصرف كأنه قائد الثورة حينها استيقظ بوضياف من غفوته. "[1]

وبالعودة إلى مسألة المؤتمر، يواصل أحمد مهساس قائلاً: "... أمام اقتراب موعد المؤتمر وُجّهت الدعوات إلى السادة أحمد بن بلة"[2]،ومحمد خيضر[3]، اللذان انتقلا إلى

جديد استدعاه ضباط الجيش الشعبي الوطني ليشغل منصب رئيس الجمهورية ،وفي يوم 29 جوان 1992 من نفس السنة تم اغتياله؟ للمزيد ينظر: الطاهر جبلي، المرجع السابق، ص588

(1) لمجد ناصر: المصدر السابق، ص 84

(2) ولد في 25 ديسمبر 1916 ب مدينة مغنية بالغرب الجزائري من أسرة فلاحية تابع دراسته بثانوية تلمسان وانخرط فيما بعد في حزب الشعب الجزائري كما كان من المشاركين في الحرب العالمية الثانية، وبعد انتفاضة 08 ماي 1945 انخرط في صفوف حركة انتصار الحريات الديمقراطية، وعندما تأسست المنظمة الخاصة أصبح من أهم عناصرها وكان من المخططين لعملية السطو على بريد وهران في أفريل 1949. و في نهاية سنة 1949، أصبح رئيساً للمنظمة الخاصة بعد إزاحة السيد حسين آيت أحمد عن رئاستها بسبب الأزمة البربرية، ألقّي عليه القبض على إثر اكتشاف المنظمة الخاصة وحّكم عّليه بالسجن لمدة خمسة سنوات، وفي مارس 1952 استطاع أحمد بن بلة رفقة زميله أحمد علي مهساس الفرار من سجن البليدة، وبعد فراره من السجن التحق بالوفد الخارجي بالقاهرة، شارك في تأسيس والتحضير للثورة وبعد اندلا ع الثورة أصبح عضواً بارزاً في الوفد الخارجي مُكلف بالجانب العسكري وخاصة قضية جلب وتزويد الثورة بالسلاح، أُعتقل في حادثة اختطاف الطائرة في 22 أكتوبر 1956، وأُطلق سراحه بعد وقف إطلاق النار مارس 1962، عارض الحكومة المؤقتة الجزائرية آنذاك والتي كان يقودها بن يوسف بن خدة، انتخب سنة 1963 كرئيس للجمهورية ثم تمّ عزله على إثر انقلاب 19 جوان 1965، واعتقل لمدة 19 عاما ثم أفرج عنه الرئيس الشاذلي بن جديد. توفي يوم 11 أفريل2011 ، للمزيد ينظر الطاهر جبلي: الإمداد بالسلاح ، المرجع السابق، ص ص 559-560.

(3) من مواليد سنة 1912 ينحدر من عائلة ريفية من مدينة بسكرة، زاول دراسته بمسقط رأسه قبل أن يضطر يغادر الدراسة من أجل إعالة عائلته ، في سنة 1934 انخرط في حزب نجم شمال إفريقيا ثم في حزب الشعب الجزائري بعد أن تأسس سنة 1937، وأصبح نائباً في البرلمان بعد تأسيس حركة انتصار الحريات الديمقراطية سنة 1946، اتهمته سلطات الاحتلال بتورطه في حادثة السطو على بريد وهران وذلك باستعمال سيارته في نقل وتمرير الأموال، رفض تسليم نفسه عندما طلبت منه الحركة ذلك وفر إلى الخارج نحو القاهرة وأصبح من أهم عناصر الوفد الخارجي منذ سنة 1951، اعتقل في حادثة اختطاف الطائرة في 22 أكتوبر 1956، وعند ما تأسست الحكومة الجزائرية المؤقتة أصبح عضواً شرفياً في تشكيلتها، أُغتيل بعد الاستقلال بسبب معارضته لنظام الحكم في العاصمة الإسبانية مدريد يوم 04 جانفي 1967، للمزيد ينظر عاشور شرفي : قاموس الثورة الجزائرية 1954-1962، ترجمة عالم مختار ، دار القصبة ، الجزائر،2007.

الحدود الليبية؛ وفق الاتفاق المبرم مع جماعة الداخل، لكن الجماعة لم تف بوعدها، فلما وصل أحمد بن بلة رفقة زميله إلى المكان المتفق عليه لم يجدوا أحداً هناك في انتظارهم فعادوا عبر إيطاليا بعد أن انتظروا لعدة أيام ... "[1].

أما بخصوص المشاركة، يقول أحمد مهساس:" أما أنا ومحمد بوضياف فلم تصلنا الدعوة وكان لدينا يقين بأنهم تعمدوا تغييبنا عن قصد"، فحسب رأيه كان الهدف هو عزل وتفريق القادة الحقيقيين بوضعهم على الهامش، فقد حاول البعض منهم إجهاض الثورة من البداية فما أن خرجوا من السجون[2] في ربيع سنة 1955 حتى سارعوا واتصلوا بنا ونحن في القاهرة، هكذا يقول أحمد مهساس كان ذلك بإيعاز من سلطات الاحتلال؛ بهدف البدء في التفاوض، كان من هؤلاء صالح الونشي وبن يوسف بن خدة، اللذان طلبا منا إيفاد السيد محمد خيضر إلى سان ريمو بإيطاليا لعرض عليه الفكرة، وللبدء في التفاوض فرفضنا ذلك أنا وأحمد بن بلة والعربي بن مهيدي ومحمد بوضياف. وبدلاً عن ذلك قررنا أن نرسل إليهما السيد أحمد بن بلة الذي التقى بهما في إيطاليا بالفعل، وقالوا له بأنهما موفدان من طرف السلطات الفرنسية التي تريد التفاوض معهم بشرط أن تكون جبهة التحرير الوطني غير حاضرة في العملية، وكشفوا له بأن عبان رمضان معهما في المبادرة؟ فما كان من بن بلة إلا أن رفض المبادرة رفضاً قاطعاً، ولما فشلت محاولتهم تلك جاؤوا بمبادرة وطرح آخر حينما اجتمعوا في القاهرة وعقدوا ما يُسمى بالمؤتمر الوطني الجزائري، الذي شارك فيه العلماء وبعض النواب وعناصر من الحركة الوطنية الجزائرية M.N.A، وكان محمد خيضر معهم،

(1) لمجد ناصر: المصدر السابق، ص87.

(2) مع اندلاع الثورة اعتقدت سلطات الاحتلال أن من قام بتفجير الثورة هم عناصر وقيادات من حركة انتصار الحريات الديمقراطيةK ولهذا أقدمت على اعتقال الكثير منهمK وخاصة أتباع التيار المركزي، ولكن بعد أن اكتشفت بأن ليست لهم علاقة بالثورة أطلقت سراحهم في ربيع سنة 1955 للمزيد ينظر : عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962،دار البصائر، الجزائر، 2013،ص 362،و ينظر كذلك : محمد العربي الزبيري : تاريخ الجزائر المعاصر دراسة، دار الحكمة، الجزائر،2014،ج2، ص24، و ينظر كتابه الموسوم بـ: الثورة في عامها الأول.

وحينما علمنا بذلك رفضنا الفكرة رفضاً قاطعاً، لأن ذلك يعتبر في نظرنا انحرافاً عن مبادئ بيان أول نوفمبر 1954[1].

يواصل أحمد علي مهساس روايته قائلاً: " طلبت من القيادة أن أذهب إلى العاصمة لاستخلاف القائد رابح بيطاط على رأس المنطقة الرابعة بعد اعتقاله، لكن الجماعة رفضوا طلبي[2] بحجة ضرورة الذهاب إلى المشرق للوقوف على قضية ومسألة الدعم وتوريد السلاح،وبسبب الفراغ الذي خلفه اعتقال رابح بيطاط تسرب عبان إلى النظام والقيادة على غرار أشخاص آخرين أمثال بن يوسف بن خدة وسعد دحلب"[3] يواصل مهساس يقول :" عندما تم رفض طلبي طلبنا من العربي بن مهيدي بأن يخلف رابح بيطاط على رأس المنطقة الرابعة قلنا له سلم مسؤولياتك في وهران إلى نائبك عبد الحفيظ بوصوف واذهب أنت إلى العاصمة. ولهذا عندما انعقد مؤتمر الصومام لم يكن بن مهيدي يمثل المنطقة الخامسة وهران الغائبة عن المؤتمر بل كان يمثل المنطقة الرابعة؟

يقول مهساس إنه" تمّ إعلامنا بتاريخ المؤتمر ولكنهم خطفوا المؤتمر منا للتمكين لأنفسهم وفرض أمر الواقع[4] ... المؤتمر كله لم يعجبنا لأنه كان مزور؟،جاءت جماعة من الذين فاتهم قطار الثورة سنة 1954 من المركزيين والأحزاب الأخرى التي كانت تقف عكس اتجاه الثورة وأرادوا تنحية المفجرين الأوائل الذين أصبحوا في نظرهم متطرفين ومتعصبين ... لم يحضر المؤتمر قادة المنطقة الأولى الأوراس ولم يحضر كذلك قادة القاعدة الشرقية النمامشة التي لم تكن منطقة في الحقيقة ولكن كانت قاعدة متصلة بمعظم المناطق الأولى والثانية والثالثة والرابعة مكلفة بتوفير السلاح و التنسيق مع الخارج" [5] .

(1) لمجد ناصر: المصدر السابق، ص87.
(2) الذين رفضوا هم جماعة الخارج محمد بوضياف وأحمد بن بلة والعربي بن مهيدي .
(3) مهساس أحمد: سباق مع القدر قصة مذكرات، إعداد الصحفي مصطفى دالع، بدون رقم طبع، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 95.
(4) نفسه، ص 94.
(5) نفسه، ص 93.

وبخصوص عدد المشاركين في المؤتمر، يقول أحمد مهساس حضر المؤتمر المزعوم خمسة عناصر فقط؟ وهم عمر أوعمران ولخضر بن طوبال وكريم بلقاسم والعربي بن مهيدي وعبان رمضان، ثم يطرح تساؤل: هل يمكن تسميته بمثل هذا التمثيل مؤتمراً؟ وخاصة إذا علمنا بأن المواثيق والنصوص التي أفرزها المؤتمر عفواً اللقاء لم تكن من صنع الحاضرين ؟. وهذا حسب تصريح السيد لخضر بن طوبال الذي قال في هذا الشأن: " أحضر عبان رمضان أوراقا وطلب منا الإمضاء عليها فأمضينا رغم أننا لم نشارك في صياغتها"[1].

وفي الحقيقة كانت هناك لجنة تعمل تحت تصرف عبان رمضان هي التي تكفلت بصياغة القرارات والمواثيق كان أغلب عناصرها من المناوئين للثورة في البداية؟ كان على رأس هؤلاء السيد عمار أوزقان الأمين العام السابق للحزب الشيوعي الجزائري. وفي هذا الصدد يقول مهساس جاؤوا بوثيقة مناقضة لبيان أول نوفمبر الذي كانت مرجعيته واضحة وأصيلة، وهي العروبة والإسلام، أما وثيقة الصومام فقد أهملت وحذفت هذا الأساس ووضعت القاهرة وموسكو وواشنطن هي المرجعية؟

وبخصوص المناطق التي شاركت في المؤتمر، يقول أحمد مهساس لم تشارك في المؤتمر المنطقة الأولى الأوراس ولا المنطقة الخامسة وهران ولا فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا ولا حتى المنطقة الرابعة التي كان قائدها الفعلي الضابط محمد بوقرة؟ ثم يقول لم يكن هناك مؤتمر؟ بل عبارة عن عملية تزوير واضحة بعد أن تم إقصاؤنا لأننا كنا نمثل التيار العروبي الإسلامي. ويواصل المناضل مهساس قائلاً: " كانت جماعة عبان رمضان في الداخل تُروج عني أنا بالذات إشاعات من حين إلى آخر فتارة يتهمونني بأنني أفضل منطقة الأوراس في قضية السلاح عن باقي المناطق الأخرى وتارة يتهموننا بالعجز عن أداء مهامي المتمثلة في توفير السلاح والتنسيق مع الداخل، وتارة يروجون عنا إشاعات بأننا نأتمر بأوامر المصريين وهذا غريب للغاية؟ كلها ادعاءات مخالفة ومجانبة للواقع والحقيقة يشهد بذلك جنود الداخل ذاتهم فما من

(1) لمجد ناصر: المصدر السابق، ص 88.

منطقة طلبت السلاح إلا وفرناه لها "[1]. لقد كان عبان رمضان حسب رأي مهساس ألعوبة في يد مجموعة من محترفي السياسة استغلوه لقضاء مآربهم ولما اصطدم مع مخططاتهم غيبوه نهائياً.

2- مآخذ السيد أحمد علي مهساس على المؤتمر:

أفرز المؤتمر حسب تصور السيد مهساس قرارات ومبادئ في غاية الخطورة؛ كفكرة أسبقية الداخل عن الخارج، والسياسي على العسكري[2] وهي ما اعتبرها مهساس بدعة وتراجع عن مبادئ الفكر الثوري السائد آنذاك. يقول كنا نخوض الكفاح دون مسميات، فكل مسؤول سياسي هو في نفس الوقت عسكري، كما أننا نؤمن بأن الكفاح ليس له حدود؟. وفيما يتعلق بالسياسي والعسكري، فقد كانت تجربتنا داخل المنظمة الخاصة (OS) قد فرضت علينا عدم التفريق بينهما[3]. أما فيما يتعلق بتنظيم الجيش، فقد ادعى المؤتمرون بأنهم عصريون وتقدميون أرادوا هيكلة جيش عصري برتب وضباط، فهذا الأمر قد فكرنا فيه من قبل بل وشرعنا في تطبيقه وتجسيده؛ فحين أنشأنا القاعدة الشرقية أعطينا الأوامر رسمياً لتكوين أربعة فرق عصرية، كان من ضمنها الفرقة التي كان يشرف عليها الرئيس المرحوم الشاذلي بن جديد، ونجحنا في ذلك وهيكلنا ثلاثة فرق هيكلة جيدة تراعي ظروف الكفاح وحرب العصابات؛ أي تتشكل حين الضرورة، ثم تختفي على خلاف ما جاء في قرارات المؤتمر التي طالبت بضرورة تشكيل فرق ووحدات قتالية كبيرة فيالق وكأنهم في حياة عادية . وبسبب هذه الانحرافات، يقول السيد أحمد مهساس، كان لزاماً علينا أن نتحرك لتصويب الأخطاء، وكنا نأمل أن تتم معالجة الأمر بود وفي سرية تامة فطلبنا منهم في البداية عدم نشر وثائق المؤتمر حتى نتدارك الأمر ونخرج في النهاية بوثيقة تحقق الإجماع الوطني بدون إقصاء لأي طرف وبالمقابل نعلن بأننا ساهمنا وشاركنا

(1)نفسه، ص92.

(2) مسعود عثماني: من اغتال بن بولعيد، ط1، دار الهدى للطباعة و النشر، عين ميلة، الجزائر، 2015ص ص 203-207.

(3) لمجد ناصر : نفسه، ص90.

في صياغة القرارات لكن الجماعة في الداخل رفضوا هذا المقترح وتعمدوا نشر الوثيقة بدون مراجعة في جريدة المجاهد[1]. ثم يقول مهساس:" حينها توجهت إلى ليبيا والتقيت هناك بأحمد بن بلة وقلت له لقد حان الوقت لنضع حداً لهؤلاء وإذا تركنا الأمر وتخلينا عن مسؤولياتنا فإن الثورة ستفشل؟ واتفقنا على رسم خطة لإجهاض وإسقاط تلك القرارات، وذلك بالتنسيق مع مفجري الثورة المعارضين مثلنا والمتواجدين في تونس والجزائر، يقول مهساس في هذا الشأن كنا في تونس أمام خيارين إما تنظيم معارضة مسلحة ضد جماعة عبان رمضان ولجنة التنسيق والتنفيذ وإما نترك الوضع كما هو ويبقى الشقاق قائماً بين الطرفين كما هو قائم بيننا وبين جناح مصالي الحركة الوطنية الجزائريةM.N.A" [2]. وبالفعل انطلقنا في التحضيرات من تونس لتقويم المسار ووجهنا دعوات إلى كل من محمد بوضياف ومحمد خيضر وحسين آيت أحمد للانضمام إلينا، ولكن حادثة اختطاف الطائرة في22 أكتوبر 1956 حالت دون ذلك.

واللافت للانتباه، أنه في اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية بالقاهرة في شهر أوت سنة 1957 تغير كل شيء ،حيث تم اتخاذ مواقف مضادة تماماً لقرارات مؤتمر الصومام من طرف الحاضرين الذين قرروا إلغاء جميع قرارات المؤتمر؛ أين وجد عبان رمضان نفسه هناك وحيداً وبدون سند، فقد تخلت عنه مجموعته وزمرته بعد أن تأكّدت من عدم قدرتها على تجسيد وتطبيق قرارات الصومام على أرض الواقع، وذلك بسبب تغير الظروف وتسارع الأحداث فواقع الثورة آنذاك وظروف القادة الذين أصبح معظمهم في الخارج شكّل عائقا وصعوبة في تطبيق ومسايرة تلك القوانين واللوائح الصارمة المنبثقة عن المؤتمر. يقول أحمد مهساس أنه لم يحضر الاجتماع السابق الذكر الذي حضره عبان رمضان على مضض، والذي بفعل نتائجه أصبح هذا الأخير شبه معزول مما جعله ينتقد وبشدة تلك القرارات التي تمخضت عن الاجتماع، بل

(1) تم نشر الوثيقة في جريدة المجاهد في العدد الصادر بتاريخ 01 نوفمبر 1956 بمناسبة الذكرى الثانية لاندلاع الثورة التحريرية.

(2) مهساس أحمد: سباق القدر، المصدر السابق، ص98.

ذهب لأكثر من ذلك عندما أخذ يهاجم تصرفات العقداء الخمسة [1](بصورة علنية في الخارج الذين بدورهم اتهموه بالتشويش وبتعطيل أعمال اللجنة و المجلس بالخارج فأخذوا يحذرونه وينذرونه، ولكن الرجل بقي صامدا وثابت على مواقفه، مما دفع بأولئك القادة إلى اتخاذ قراراً خطير وجريء وهو إسكات صوت الرجل الذي أصبح يشكل في نظرهم عائق حقيقي أمام طموحاتهم القيادية، وهذا ما وقع بالفعل يوم 27 ديسمبر 1957 بالمغرب، بحيث أسدل الستار على أحد أهم القضايا الشائكة في تاريخ الثورة المتصاعدة وذلك بتصفية الرجل [2].

3-أهمية المؤتمر في سياق أحداث الثورة:

يعتبر السيد بن يوسف بن خدة مؤتمر الصومام حدثاً تأسيسيا؛ بفعل ما تمخض عنه من نتائج ومقررات والتي يعود الفضل في طرحها وتجسيدها -حسب رأيه-إلى السيد عبان رمضان، الذي يصفه بالرجل الحازم والصارم والمصمّم على انجاز وإنجاح المؤتمر. يقول بن يوسف كنت رفقة الأخوة عبان وبن مهيدي نشكل ثالوثا مهمته تنظيم منطقة الجزائر العاصمة[3]، يواصل بن خدة يقول في البداية لا يمكن معرفة وإدراك المغزى من الحدث إلا إذا وضعناه في سياقه التاريخي فما هو هذا السياق؟

وبالعودة إلى الوراء، وبالضبط إلى الاجتماع التاريخي الأخير الذي جمع قادة ومهندسو الثورة بتاريخ 23 أكتوبر 1954 بالرايس حميدو بولوغين حالياً في الجزائر العاصمة تقرر بعد وضع اللمسات الأخيرة لتفجير الثورة وتوزيع المهام عقد اجتماع آخر يكون في المستقبل في حدود منتصف شهر جانفي سنة 1955، من أجل تقييم المرحلة الأولى من عمر الثورة واستدراك النقائص والهفوات المصاحبة للبداية، ولكن

(1) العقداء الخمسة هم: محمود الشريف وكريم بلقاسم، ولخضر بن طوبال، وعبد الحفيظ بوصوف/ وعمر أو عمران للمزيد ينظر: صالح بلحاج: أزمات جبهة التحرير الوطني وصراع السلطة 1956-1965، ط1، دار قرطبة، الجزائر،2006، ص18.

(2) لمجد ناصر: المصدر السابق، ص 104.

(3) ابن يوسف بن خدة: شهادات ومواقف، ط1، دار النعمان للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص55.

ظروف الحرب وانقطاع الاتصالات واستشهاد واعتقال بعض القادة حال دون ذلك الاجتماع[1].

وقد أعطى انضمام عبان رمضان إلى الثورة بعد إطلاق سراحه من السجن الفرنسي في شهر جانفي سنة 1955 دفعا قويا للجبهة وللعمل المسلح، فالرجل اتخذ من البداية من مدينة الجزائر العاصمة مقراً له ولإدارته الجديدة؛ رفقة كلاً من كريم بلقاسم والعربي بن مهيدي، وتحولت العاصمة بفعل حضور هؤلاء إلى مركز حقيقي لإدارة الثورة تحت سلطة عبان رمضان الحازمة، وكان عبان يحرر ويصدر المنشورات والقرارات بصيغة الأوامر والنواهي ويرسلها إلى الجهات الأخرى، و التي كان شعاره دوما هو أن تحرير الجزائر لن يحدث إلا إذا كان هناك عملاً جماعي تشارك فيه كافة فئات الشعب الجزائري بكل مكوناته السياسية[2] ؟.

وبالجملة، فلقد أثمرت جهود عبان في هذا المسعى، حيث استطاع في وقت وجيز أن يصنع موجة وعي حقيقية في أوساط النخب السياسية الجزائرية، وكان ذلك في الفترة الممتدة ما بين خريف سنة 1955 وربيع سنة 1956، وهي الفترة التي انضمت فيها معظم الاتجاهات السياسية والإصلاحية في الجزائر للثورة[3]، من مركزيين ونواب جماعة الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي كان يتزعمه فرحات عباس، هذا الأخير الذي قام بحل حزبه من القاهرة في أفريل سنة 1956، والتحق بصفوف الثورة من هناك، وكذا مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذي أصدر بيانا في جريدة البصائر يوم 07 جانفي 1956 ساند فيه الثورة بشكل مباشر وصريح.

(1) حالت عدة ظروف دون انعقاد اللقاء بين القادة كاشتداد الحرب وانقطاع الاتصالات واستشهاد بعض القادة، أمثال ديدوش مراد 18 جانفي 1955، واعتقال مصطفى بن بولعيد فيفري 1955، ورابح بيطاط في مارس 1955، وخروج محمد بوضياف إلى الخارج، كلها أسباب حالت دون انعقاده.

(2) عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط خ، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر2013 ص ص381-382

(3) محمد لحسن غيدي: مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الجزائرية 1956-1962 ط3، دار هومة، للطباعة والنشر، الجزائر2004، ص ص135-382.

وفي نهاية المطاف، أفرزت هذه الاستراتيجية الوحدوية التي عمل على تحقيقها عبان رمضان نتيجة هامة وملموسة بحيث اتسعت القاعدة الشعبية والسياسية للجبهة وخاصة بعد تأسيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين (UGEMA)في شهر جويلية سنة 1955 وتأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين في (UGTA) في 24 فيفري 1956، والاتحاد العام للتجار (UGCA) في سبتمبر من نفس السنة(1).

4-سير أشغال المؤتمر:

انتظر القادة الذين حضروا إلى مؤتمر الصومام مجيء ممثلي **المنطقة الأولى** الأوراس وعناصر الوفد الخارجي، لكن الانتظار طال ولم يحضر هؤلاء الذين عجزوا عما قام به السيد العربي بن مهيدي الذي استطاع الدخول إلى أرض الوطن عائداً من القاهرة. وخلال اللقاءات التمهيدية التي سبقت جلسات المؤتمر، بدأت تظهر بعض الخلافات بين الحاضرين، وكان عميروش أول من أبدى استياؤه من تصرفات عبان رمضان الأبوية، وكان عبان حسب عميروش يتصرف وكأنه سيد المؤتمر وهو نفس الاستياء الذي أبداه السيد لخضر بن طوبال نائب قائد منطقة الشمال القسنطيني الذي قال:" يبدو أن جماعة العاصمة قد شكلوا مسبقاً قيادة خماسية وجاءوا بنا إلى هنا لكي نصادق على قراراتهم." وبعد تنقية الأجواء من التشنجات والخلافات التي ظهرت من البداية، اتفق الجميع على فتح أشغال المؤتمر يوم 20 أوت 1956 بحضور المناطق الآتية:

المنطقة الثانية: زيغود يوسف ونائبه لخضر بن طوبال ومصطفى بن عودة وعلى كافي وحسين رويبح وإبراهيم مزهودي.

المنطقة الثالثة: كريم بلقاسم ومحمدي سعيد وعميروش آيت حمودة وأقاسي.

المنطقة الرابعة: حضر عنها عمر أوعمران وصادق دهيليس وسي أحمد بوقرة.

(1) ابن يوسف بن خدة: المصدر السابق، ص 62.

المنطقة الخامسة: العربي بن مهيدي رئيس المؤتمر بينما غابت المنطقة الأولى والوفد الخارجي وفيدرالية فرنسا أما السيد عبان رمضان، فقد كان حضوره كسياسي، يمثل المنطقة المستقلة الجزائر العاصمة مع جملة مُرافقه [1].

وقد تطرق المؤتمرون إلى عّدة نقاط تنظيمية وسياسية وعسكرية تخص الثورة. وعندما طرحوا مبدأ الأولويات ومسألة عضوية بعض المركزيين والمعتدلين بصفة عامة في المناصب القيادية، ظهر الخلاف مرة ثانية بين الحضور، بحيث تدخل عبان رمضان مدافعا عن المركزيين قائلاً: " لا يجب أن نعطي الأولوية للعسكريين فقط يجب أن يكون المركزيين ممثلين كذلك في اللجنة التنفيذية والمجلس الوطني للثورة. " [2] وقد عارض السيد عمر أوعمران هذا الطرح معارضة شديدة ورفض فكرة عبان رفضاً قاطعاً، كما عارض فكرة اختيار الجزائر العاصمة كمقر للجنة التنفيذ والتنسيق واعتبارها منطقة مستقلة عن المنطقة الرابعة التي كان قائدا عليها في تلك الفترة[3] . وكان عمر أوعمران يعتقد بأن فتح الباب أمام الفئات البرجوازية سيؤدي في النهاية إلى اعتماد الحلول المرحلية والتفاوضية مع فرنسا، لكن تدخل بن مهيدي بصفته رئيس المؤتمر حسم الأمر عندما قال:" لن نسمح أبداً بظهور قوة ثالثة بإمكانها التفاوض مع فرنسا من دون جبهة التحرير الوطني " [4].

وبإقرار أولوية السياسي على العسكري، والداخل على الخارج، تمكن عبان رمضان من التقدم نحو الصدارة، لكن مدة انتصاره لم تدم طويلاً، إذ بعد ذلك بسنة تقريباً تمكّن العسكريون من إفشال محاولته عندما فرضوا منطق القوة وكرسوا نهائياً مبدأ تبعية السياسي إلى العسكري في شؤون الحكم والقيادة. وعندما نراعي ظروف الثورة في تلك الفترة، نجد بأن المبدأين من حيث المنطق والواقع كانا ضروريين وإن لم

(1) عبد القادر حميد: المرجع السابق، ص 110.أحمد عبيد: التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية (الجزائر، تونس، المغرب)، ط1، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر 2010،ص ص 141-142.
(2)عبد القادر حميد: المرجع نفسه، ص 111.
(3) طاهر جبلي: المرجع السابق، ص549.
(4) نفسه، 112.

يخفيا حقيقة طموحات السيد عبان رمضان الساعي للانفراد بالسلطة العليا للجبهة. ويبدو أن مهمة عبان رمضان لم تكن بالسهلة، لكن الظروف التي انعقد فيها المؤتمر مكّنته من تمرير مشروعه بسهولة، لأن الوفد الخارجي المعارض كان غائباً وقادة الداخل من العسكريين كانوا تقريبا خاضعين بشكل أو بآخر إلى اثنان من القادة التاريخيين، وهما العربي بن مهيدي وكريم بلقاسم اللذين استفاد عبان من سكوتهما ومسايرتهما لأشغال المؤتمر، فتمكّن عبان بفضلهما تمرير تصوراته ومخططاته السياسية والعسكرية [1].

ويبدو أن عبان رمضان خرج منتصراً في النهاية، فما أقرته الوثيقة من برنامج سياسي للجبهة ومبادئ تنظيمية وأجهزة قيادية جاءت كلها مطابقة لتصوراته، لكن النجاح الذي حقّقه لم يكن مطلقاً، نظراً للمعارضة التي وقفت في وجه ولقيها أثناء جلسات المناقشة. وبالرغم من أن رئيس المؤتمر كان العربي بن مهيدي وهو من هو، إلا أن البعض رفض كل ما جاء في المؤتمر، فعلى سبيل المثال أحمد بن بلة وعبد الحفيظ بوصوف الغائبان أعلنا صراحة معارضتهما الشديدة لكل نتائج المؤتمر، وكان أحمد بن بلة على وجه الخصوص مستعداً للمواجهة إن اقتضى الأمر، ولذلك أرسل مساعده وذراعه الأيمن أحمد مهساس إلى تونس وليبيا لتنظيم جبهة المقاومة ضد أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ، بحيث استطاع هذا الأخير وفي وقت وجيز أن يربط اتصالاته مع الداخل، وخاصة بالعناصر الغاضبة بالولاية الأولى الأوراس وبالقاعدة الشرقية النهامشة بسوق أهراس الرافضين للمؤتمر ولما تمخض عنه من قرارات [2]. ولكن وصول مبعوث لجنة التنسيق والتنفيذ إلى تونس السيد عمر أوعمران، حال دون إتمام التحضيرات لتشكيل جبهة داخلية معارضة، مما اضطر أحمد مهساس إلى مغادرة تونس باتجاه سويسرا خوفاً على نفسه بعد أن تلقى تهديدات بتصفيته. وفي هذه الأثناء غادر مهساس تونس، بعد أن سلم كل مهامه إلى المبعوث عمر أوعمران ؟

(1) صالح بلحاج: أزمات جبهة التحرير الوطني وصراع السلطة 1956-1965، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 14.
(2) المرجع نفسه، ص 15.

وبعد هذا النجاح الذي أحرزته لجنة التنسيق، يمكن القول بأن خريف سنة 1956 شهد تتويجا وانتصاراً سياسياً كبيراً لطموحات عبان، فقد تمكن الرجل الغائب عن أول نوفمبر سنة 1954 بسبب السجن من الارتقاء إلى القمة في غضون سنتين تقريبا من اندلاع الثورة [1]. ويذكر علي كافي في مذكراته أن لخضر بن طوبال كان قد ندّد بوضعية وسلوكات عبان رمضان الذي صرّح قائلا: " إن له طموحات وحتى علاقات مشبوهة مع الطرف الفرنسي"[2]

5-محاولة لنقد الأحداث:

إن الكتابة أو الحديث عن مؤتمر الصومام من منطلق ذاتي؛ ودون معطيات ووثائق كافية يؤدى في نهاية المطاف إلى الكثير من التشويش والغموض في دراسة هذه المرحلة المهمة من تاريخ الثورة، وخاصة إذا علمنا بأن الوثيقة التي أفرزها المؤتمر بعد أن صادق عليها جميع الحاضرون شكّلت المرجعية الإيديولوجية الأساسية التي ستنطلق منها الثورة لهدم النظام والإرث الاستعماري الثقيل في الجزائر. فقد كان عقد المؤتمر رغم ما قيل حوله ضرورة لتقييم المرحلة المقطوعة من عمر الثورة، وضرورة لوضع إستراتيجية مستقبلية لمواصلة الكفاح المسلح. كما كان ضرورة أملتها الظروف والحتمية التاريخية من أجل تزويد مصالح الثورة بقيادات وطنية عالية الكفاءة. وهو في حقيقة الأمر، لقد كان مؤتمر الصومام انتصار حقيقي للثورة الجزائرية، ولكن بعض المسؤولين الجزائريين وغيرهم، وخاصة المتواجدين بالخارج رأوا فيه خروجاً وانحرافاً عن مسار الثورة حسب اعتقادهم، فعلى سبيل المثال أكّد ضابط المخابرات المصرية فتحي الديب[3]، بأن السيد أحمد بن بلة كان يرى في المؤتمر وما تقرّر عنه محطة

(1) المرجع نفسه، ص 16.

(2)Ali kafi,Du militant Politique au dirigeant militaire :mémoires 1946-1962.Alger :Casbah Edition,2002,P99..

3 في كتابه: جمال عبد الناصر وثورة الجزائر، دار المستقبل العربي، القاهرة 1984، ينظر أيضا: محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص ص 114-115.

تاريخية خطيرة حوّلت مسار الثورة وانحرفت بها انحرافاً كبيراً، حيث أرجع أحمد بن بلة سبب معارضته للمؤتمر إلى ما يأتي:

- اعتراض الولايات الشرقية والغربية التي تغيبت عن المؤتمر وأن هذا الغياب سيؤدي إلى حجب السلاح عن الولايات الداخلية من أجل إرغامها على التراجع عن قرارات المؤتمر؟ .

- النتائج التي جاء بها المؤتمر لم تحظ بإجماع حتى الحاضرون في المؤتمر، وهذا ما سيؤدي إلى احتمال نشوب صراع داخلي بين الأخوة الأشقاء، وخاصة مع انتشار نغمة سياسي وعسكري في أوساط جيش التحرير الوطني[1]. ويرى السيد أحمد بن بلة بأن المؤتمر قد تسبب في ميلاد صراع داخلي عنيف على المناصب والمواقع والسلطة، ولكن الصراع في الحقيقة بدأ بإيعاز من أحمد بن بلة نفسه ؟. وهذا بإجماع أغلب الباحثين في الموضوع ولولا وقوع حادث اختطاف الطائرة يوم 22أكتوبر1956، والتي كان على متنها هو ورفاقه لوقعت مشاكل وعراقيل وتصدعات داخل الجبهة الداخلية للثورة، قد تتسبب في عرقلة الثورة بالكامل وذلك بإدخالها في مسار ونفق مسدود.

وكانت قضية التمثيل في الأجهزة القيادية للثورة أكثر القضايا إشكالاً ومحلاً للنزاع والاختلاف بين المؤتمرين، فحسب تصريح السيد لخضر بن طوبال، فإن معظم المشاركين في المؤتمر كانوا يطالبون بأن تكون القيادة من الإطارات الأساسية التي ساهمت في تفجير الثورة من المتشبعين بأدبيات مدرسة حزب الشعب الجزائر P.P.A، حتى يضمنوا الحفاظ على الخط الراديكالي للثورة حتى النهاية.

ولكن القلّة الفاعلة من الحاضرين في المؤتمر كانوا على عكس ذلك، فقد كانوا يرون بأن الثورة قد دخلت إلى مرحلة ثانية وتوسعت وصارت تضم في صفوفها فئات وعناصر سياسية متعددة ومختلفة المشارب. فكان حسب رأيهم على القادة الأوائل أخذ ذلك بعين الاعتبار، ولكن الذي فات تلك القلة الفاعلة الوافدة على الثورة هو

(1) محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ج2، ص 111.

أنهم قبلوا شروط الجبهة لحظة انضمامهم للثورة، وهي ضرورة التخلي عن مرجعياتهم وأصولهم الإيديولوجية والسياسية السابقة والتي كانوا قد تبنونها من قبل[1]. وكانت هذه النقطة الأخيرة والخطيرة مع فكرة مبدأ أولوية السياسي على العسكري محل اختلاف ونقد شديدين من قبل بعض القادة التاريخيين، لاعتقادهم بأن عبان رمضان وبقية الأعضاء الذين صاغوا وثيقة الصومام كانوا كلهم يردون احتواء الثورة والسيطرة عليها، وخاصة أن المبدأ السالف الذكر جاء مقرونا بمبدأ آخر وهو أولوية الداخل على الخارج، وكان من أسباب إصرار عبان رمضان وجماعته على هذين المبدأين أنه كان يرى بضرورة وإلزامية التفاوض مع العدو على الاستقلال؛ وفق شروط معيّنة تنتهي بوقف إطلاق النار. وقد وصل الرجل هو وجماعته إلى قناعة مفادها أن الانتصار العسكري على واحدة من أكبر القوى الاستعمارية في العالم والمدعومة بقوة الحلف الأطلسي يكاد يكون مستحيلاً.

أما بخصوص مبدأ أولوية الداخل على الخارج، فإن معظم القادة قد أقروه لأنهم أصبحوا يروا بضرورة الاعتماد على النفس والداخل؛ بدلاً من الخارج، ولأن الشهيد العربي بن مهيدي كان قد قدّم تقريراً في هذا الشأن لعبان رمضان جاء فيه وبصراحة أن مصر ومندوبية الجبهة بالخارج لا يمكن الاعتماد عليهما في قضية جلب السلاح، لأن المندوبية حسب اطلاعه كانت منقسمة على نفسها وأفرادها يتنافسون على الزعامة فقط، ونحن في الداخل نواجه العدو والمصير [2].

كما ركّز عبان رمضان في محاولته لفرض سيطرته على القادة الحاضرين في المؤتمر على مبدأ مهاجمة الخصوم المتوقعين منذ البداية، فكان من حين لآخر -أثناء جلسات المناقشة-يوجه انتقاداته اللاذعة للبعض ممن يسعى لإضعافه وإضعاف موقف السياسيين. ومن بين هذه الانتقادات على سبيل المثال انتقاده لتصرفات وسلوكيات عميروش القاسية مع سكان ضفاف وادي الصومام، بل ذهب إلى أكثر من ذلك، عندما حاول منع عميروش من حضور جلسات المؤتمر، مما آثار غضب هذا الأخير

(1) محمد العربي الزبيري: المرجع نفسه، ص 71.
(2)المرجع نفسه، ص 72.

لدرجة أنه فكر في تصفيته كونه يتعمد الإنقاص من قيمة العسكريين، كما هاجم عبان رمضان كذلك الشهيد زيغود يوسف ونائبه لخضر بن طوبال، ورد عليه هذا الأخير بعنف، عندما قال له: " أنا لستُ مستعداً لتلقي وأخذ الدروس من السياسيين الذين يردون حرباً على مقاسهم..."[1]، ولهذا عندما انتهت أشغال المؤتمر وقفل الشهيد يوسف زيغود راجعاً من أجل تأدية المهمة التي كُلف بها وهي الذهاب لتسوية مشاكل الأوراس قال قولته الشهيرة " الاستقلال على الأبواب ولكن الثورة للأسف فقد انحرفت" [2]

يقول العقيد علي كافي في مذكراته؛ بشأن ما ورد من قرارات في مؤتمر الصومام، أن السيد عبان رمضان هو من كرّس مبدأ أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج، وكان هدفه من وراء ذلك هو تهميش القادة الحقيقيين للثورة وفي طليعة هؤلاء صناع أول نوفمبر سنة 1954. وبالمقابل قرّب منه المسالمين والمعتدلين، فعبان هو من اقترح السيد عباس فرحات، والشيخ عباس بن الشيخ الحسين كعضويين أساسيين في مجلس الوطني للثورة[3]. ويضيف علي كافي بأن مبدأ أولوية السياسي على العسكري تسبّب في شرخ كبير وأليم في صفوف الثورة وهو المبدأ الذي لم يرد في بيان أول نوفمبر سنة 1954، فأصبح هناك من يقول أنا من جيش التحرير الوطني وآخر يقول أنا من جبهة التحرير الوطني وبسبب هذا القرار كادت أن تتصدع الجبهة الثورية في الداخل، فهناك من قادة الداخل من أعلن ولاؤه لطرف على حساب الطرف الآخر[4] .

وبعد انعقاد المؤتمر، تعمّقت الخلافات أكثر بين الداخل والخارج، وازدادت درجة التنافس والتسابق على السلطة، وعادت الانقسامات والخلافات التي كانت

(1) محمد العربي الزبيري : المرجع نفسه، ص 76.
(2) محمد صغير هلايلي : المصدر السابق، ص 257.
(3) علي كافي : المصدر السابق، ص 132.
(4)المصدر نفسه، ص 61.

سائدة ومتأصلة قبل اندلاع الثورة، وظهرت مراكز قوى جديدة كادت أن تنحرف بمسار الثورة.

ويبدو أن سبب تحامل علي كافي على قرارات المؤتمر وعلى عبان رمضان، يعود إلى تلك الصدمة النفسية التي تعرض لها؛ بسبب إبعاده عن جلسات المؤتمر في آخر لحظة، وذلك بسبب الأمر الذي صدر عن قائده زيغود يوسف الذي طلب منه العودة إلى تراب المنطقة الثانية الشمال القسنطيني، من أجل استقبال شحنة سلاح التي كانت في طريقها إلى تراب المنطقة. وبعودته امتثالا لأمر قائده زيغود يوسف يكون علي كافي قد فوّت على نفسه فرصة حضور المؤتمر، وخاصة أن الشحنة التي رجع من أجلها لم تصل؟

وكانت معظم الانتقادات التي وجّهها علي كافي تصب بشكل غير مباشر في صف المعارضة التي بدأت تتشكل بالخارج بعد انتهاء جلسات المؤتمر وتسرب نتائجه للخارج، واعتبر كل من أحمد بن بلة وأحمد علي مهساس المؤتمر المنعقد في بلاد القبائل؛ بمثابة مؤامرة قبائلية ضد الأمة العربية الإسلامية؟ [1] ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد وجدت العناصر المشوّشة التي كانت تتركز في القاعدة الشرقية النمامشة بالمنطقة الأولى(الأوراس) ضالتها وغطاءها السياسي في الأزمة وفي موقف الوفد الخارجي من قرارات المؤتمر، فتجاوبت هذه الوحدات مع طموحات السيد أحمد بن بلة، والسيد أحمد علي مهساس، اللذان راحا بدورهما يبحثان عن أنصار ومؤيدين لهما في الداخل؛ بهدف التأثير على سير القيادة الجديدة المنبثقة عن المؤتمر [2]. ولهذا انتقل أحمد علي مهساس إلى القاعدة الشرقية بسوق أهراس وإلى حدود الولاية الأولى الأوراس وراح هناك يشنّع عن أصحاب مبادرة الصومام ويشيع أخبار مفادها، بأن الثورة قد استولت عليها العناصر القبائلية موظّفاً في ذلك النعرة العرقية والجهوية المقيتة لإذكاء النزاع والصراع، بل ذهب إلى أكثر من ذلك عندما دعا

(1) سعيد سعدي: المرجع السابق، ص75.

(2) مسعود عثماني: من اغتال بن بولعيد، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، 2015، ص 155.

مهساس إلى عقد اجتماع أو مؤتمر موازي لمؤتمر الصومام على الحدود الشرقية تشارك فيه العناصر والقيادات المعارضة.

وبالفعل انعقد الاجتماع يوم 15 ديسمبر 1956 وشارك فيه عن الولاية الأولى (منطقة الأوارس) بعض القادة المحسوبين عن المشوشين، أمثال مسعود عايسي، وشريط الأزهر، والباهي شوشان، وعمر بن بولعيد، وعبد الله بلهوشات، وبلعيد حوده وعمار بوقلازة، حيث أصرت هذه العناصر على مواقفها المعارضة، كما حاولت لجنة التنسيق والتنفيذ فيما بعد محاورتهم في محاولة منها لإقناعهم من أجل الرجوع للصف فاستدعت هؤلاء القادة الميدانيين إلى تونس وهكذا انتقل كل من مسعود عايسي، وعمر بن بولعيد، وأحمد عزوي إلى تونس.

وبغض النظر عن أسلوب الحوار الذي ساد جلسات النقاش بفعل الحماس والانفعال وعدم الثقة المتبادلة، فإن عناصر اللجنة قد اكتشفوا ولمسوا ما لهؤلاء من نزعة إلى التمرد وقلة الانضباط والانقياد، مما دفع بأتباع لجنة التنسيق والتنفيذ في تونس إلى اعتقال وسجن أحمد عزوي الأكثر حماساً والذي استطاع بفضل علاقاته هناك الفرار من السجن والالتحاق بمقر قيادته بتراب الولاية الأولى الأوراس. ومن هناك وعلى الفور بعث برسالة إلى ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ المتواجدين بالعاصمة جاء فيها ما يلي:" إن كانت حركتكم يمثلها أمثال هؤلاء يقصد الذين اعتقلوه العقيد مصطفي بن عودة والعقيد عمر أوعمران الذين تحادثنا معهم في مدينة تونس، فإننا لن نلتقي بعد اليوم إلا على قمم الجبال وإن الحوار بيننا لن يكون إلا بلغة الرصاص الذي ستتردد أصداؤه في جبال الأوراس[1]."

إلى هذا الحد وصل الانسداد بين الفصائل المنشقة في شرق البلاد والقيادة الشرعية المنبثقة عن المؤتمر غاب التعقل وأسلوب الحوار وساد منطق القوة والعنف والمواجهة وهنا طبعا تظهر بصمات ودور أحمد بن بلة وأحمد علي مهساس في تعميق الخلاف والأزمة بين الأخوة المتصارعين، كان النقد موجها وبقوة إلى ما أفرزه مؤتمر

(1) محمد زروال: إشكالية القيادة، ص395، وينظر أيضا مسعود عثماني: من اغتال بن بولعيد، ص 158.

الصومام من قرارات ولا سيما ما يتعلق بنظام الأولويات. وبالرغم من أن هناك عدة قراءات لهذه الترتيبات السياسية، غير أن هؤلاء الطاعنين في القرارات كانت لهم وجهة نظر واحدة، وهي أن هذه القرارات قد مست بكرامتهم وأجحفت في حقهم، وهم القادة والسادة المعروفين في وقت المعارك الضارية. وفي محاولة لدحض ادعاءات من تسببوا في مثل هذه الصراعات والخلافات، وهم في الغالب من أعضاء الوفد الخارجي، ونخص بالذكر السيد أحمد بن بلة، والسيد أحمد علي مهساس، يمكن القول بأن إدعاءاتهما بخصوص صعوبة اختراق الحدود والدخول إلى الجزائر هي إدعاءات غير دقيق لأن السيد العربي بن مهيدي كان هو كذلك متواجد بالقاهرة في الوقت الذي استدعاهم فيه عبان رمضان للدخول ولكنه استطاع الدخول وبسهولة حيث شارك في المؤتمر بل ترأس جلساته كممثل للمنطقة الخامسة وهران وحضور بن مهيدي يكفي لدحض ادعاءات بن بلة ورفقاؤه بعدم القدرة على الدخول[1]، لا شيء كان يمنع ممثلي القاهرة من الدخول إلى البلاد فلماذا امتنعوا عن ذلك إذن ؟، هل يجب أن نتغاضى عن ذكر الوقائع التاريخية لإيجاد تفسير أو تقديم فرضيات عن أسباب غياب أحمد بن بلة ورفقاؤه عن وقائع المؤتمر؟

وفي سبيل فهم هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الثورة، لابد من محاولة فهم الأسباب العميقة التي حركت الأحداث، فلنفرض جدلا أن عبان رمضان كان لا يرغب في حضور أحمد بن بلة للمؤتمر رغم الرسائل التي كان يرسلها عبان إلى الوفد الخارجي من أجل مشاركتهم في المؤتمر؟ فلماذا لم يحضر أحمد بن بلة أذن وهو القائد التاريخي البارز؟. قد يكون السبب في عدم دخول أحمد بن بلة هو خشيته من المحاسبة والنقد الذي كان ينتظره من قبل قادة الداخل وعلى رأسهم عبان رمضان الذي كان غاضباً ومستاءً من تخاذل الوفد الخارجي في مسألة توفير وإمداد الثورة بالسلاح والذخيرة الحربية. هل نعتبر هذا مجرد تخمين وافتراض؟ قد يكون ذلك، وخاصة إذا علمنا بأن الرسائل بينهما كانت تحمل الكثير من التهم و العتاب، وقد بلغ الحقد مبلغاً

(1) مسعود عثماني: المرجع نفسه، ص 160.

خطيراً بينهما بعد انعقاد المؤتمر، والدليل على ذلك تلك الرسالة التي وجّهها أحمد بن بلة بتاريخ 26 أفريل 1958 إلى كل من كريم بلقاسم، ولخضر بن طوبال، وعبد الحفيظ بوصوف، والتي هنّأهم فيها بطريقة غير مباشرة عن اغتيال عبان،والتي جاء فيها ما يأتي: "لا يسعنا إذن إلا أن نشجعكم على المضي قدما في طريق التطهير هذا، فمن واجبنا جميعا إذا أردنا أن ننقذ الثورة وجزائر الغد أن نقف بالمرصاد لكل من يحاول التشويش ، يجب أن لا نتسامح في مجال التطهير "[1].

وكان بن بلة من قبل في خلاف مع رفقاؤه في القاهرة، وكان الاختلاف والخصام أشد في ربيع 1956 بين بن بلة وبن مهيدي، ويبدو أن سبب الخلافات هو تماطل مجموعة الخارج في إدخال السلاح إلى الداخل، مما اضطر بن مهيدي للسفر إلى هناك لمعرفة الأسباب التي تعيق إرسال الأسلحة ؟، وهذا ما قد يفسّر عدم حضور بن بلة المؤتمر، وخاصة إذا علمنا بأن المسألة الرئيسية التي أخذت حصة الأسد في مناقشات المؤتمر كانت قضية تنظيم الثورة وجلب السلاح والمال، وهي من أهم مهام بن بلة الرئيسية في الخارج[2].

ويمكن أن نعتبر أرضية مؤتمر واد الصومام، إنما جاءت لتُكمّل ولتثري ما ورد في بيان أول نوفمبر سنة 1954، لأن هذه الوثيقة قد تكفّلت بدعم الكفاح المسلح برؤية سياسية وطنية واضحة، وإذا كانت أرضية الصومام لم تكرر ما ورد في بيان أول نوفمبر من أن الهدف الأول للثورة هو استرجاع السيادة وإعادة بناء الدولة الجزائرية في شكلها الجمهوري والاجتماعي في إطار المبادئ الإسلامية، فإنها لم تتعرض بالنقد لأية واحدة من النقاط التي وردت في البيان، وهذا يعني بأن الوثيقة قد تبنّت كل ما جاء في بيان نوفمبر.

أما عن المسؤولين الذين صاغوا أرضية مؤتمر الصومام، فإذا استثنينا السيد عمار أو زقان، فإن معظمهم كانوا متشبعين بالإيديولوجية الوطنية لحزب الشعب

(1). معمر خالفة: المرجع سابق، ص 22 وينظر كذلك: محمد حربي: أرشيف الثورة الجزائرية، منشورات جون أفريك، ص184.

(2) معمر خالفة: المرجع نفسه، ص 23.

الجزائري، فهناك الكثير من الذين يعتقدون بأن وثيقة الصومام تخالف بيان أول نوفمبر فيما يتعلق بشكل نظام الحكم بعد وقف إطلاق النار، ويلصقون هذا الانحراف المزعوم بالسيد عبان رمضان ومن معه، على أساس أنهم كانوا ضد نظام الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية، ولكن من يتأمل في الوثيقة يجد أنها انطلقت من بيان أول نوفمبر مباشرة، وركّزت على نقطتين أساسيتين، وهما [1]:

- إثراء بيان أول نوفمبر 1954.
- تعيين قيادة عليا تناط إليها مهمة ومسؤولية مواصلة الكفاح وتسيير شؤون الثورة من أجل استرجاع السيادة الوطنية المسلوبة.

فالوثيقة تعتبر ميثاقا وطنيا، تضمّنت بكثير من الدقة والتفاصيل تقييم المرحلة السابقة من حياة الثورة وآفاقها المستقبلية وآفاق المجتمع الجزائري بعد استرجاع السيادة، بالإضافة إلى تنظيم مختلف جوانب الكفاح. وإذا رجعنا قليلاً إلى الوراء، فالجزائر في نظر الكثير من المثقفين الفرنسيين لم تعرف الاستقلال في تاريخها ولم يكن فيها شعب موحد وكانت لا تستطيع العيش بدون مساعدة ووصاية أجنبية. أما سكانها، فهم عبارة عن أجناس وقبائل مختلفة ومتنافرة ومتناحرة فيما بينها[2]. وقد ظلّت هذه النظرية الاستعمارية سائدة ومنتشرة، وخاصة بعدما تبناها الحزب الشيوعي الفرنسي الذي ظل يدافع عنها في فترة الأربعينيات، فمعظم تدخلات الأمين العام للحزب الشيوعي الفرنسي موريس توريز كانت تؤكّد على ذلك. وحسب هذا التصور السطحي الساذج؛ وبحكم أنها لم تكن موجودة (يعني الجزائر) فلا يحق لأبنائها أن يموتوا من أجلها أومن أجل بعثها، وهذا ما أكّده أحد أبناء الجزائر السيد فرحات عباس، قبل أن ينضج سياسياً عندما قال في تصريح له نشرته صحيفة الوئام يوم 23 فيفري 1936 [3] جاء فيه ما يلي: " لو اكتشفت الأمة الجزائرية لكنت وطنياً دون أن

(1) محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ج2، ص 61.
(2)المرجع نفسه، ج2، ص 66
(3) عمار بوحوش: المرجع السابق، ص279.

أخجل ... لكني لن أموت من أجل الوطن الجزائري، لأنه بكل بساطة غير موجود إنني لم أعثر عليه لقد سألت التاريخ واستنطقت الأحياء والأموات وزرت المقابر ولم أجد من يعرف ذلك . " (1)

وفي نفس السياق كتب بيار مونتانيون (**Pierre Montagnons**) ما يلي: "أن فحص وتأمل ألفي سنة من تاريخ المغرب الأوسط يجعلنا نؤكد عجز الشعب الجزائري عن بناء أمة وإنشاء حضارة، لقد تساءل المؤرخون حول ذلك فلم يجدوا أثراً للدولة الجزائرية ولا لثقافتها خاصة التي تتميز بمؤلفاتها الأدبية وآثارها الفنية، إن تاريخ الجزائر فارغ مثل أرضها التي ليس فيها سوى آثار الآخرين. (2)"، ولهذا يرى في ضم الجزائر إدارياً إلى التراب الفرنسي أمراً طبيعي للغاية (3).

وأمام هذه الموجة الهائلة من التزييف، كان على الجبهة أن تعمل على استرجاع السيادة والاستقلال الوطني المسلوب، ولأجل ذلك أكّدت وثيقة الصومام على أن الكفاح المسلح سيبقى مستمراً حتى يتم الاعتراف بما يأتي:

- بالشعب الجزائري شعباً واحدا لا يتجزأ.
- الاعتراف بالسيادة الوطنية على كافة التراب الجزائري.
- الاعتراف بجبهة التحرير الوطني كممثل وحيد وشرعي للشعب الجزائري.

ولهذا كانت الحاجة ماسة لمثل عقد مؤتمر الصومام، ولمثل الوثيقة المنبثقة عنه، فقادة الجبهة كانوا يشعرون بالحاجة إلى تنسيق وهيكلة الجبهة التي بدأت تتضرر بسبب غياب أرضية سياسية هذا من جهة، واستقلالية المناطق من جهة أخرى. ولكن تصرفات عبان رمضان ومواقفه المعاندة والصلبة التي ظهر بها أثناء المؤتمر جلبت له المتاعب والكراهية من طرف الثالوث القوي المتحكم في مفاصل الثورة من الخارج. وهكذا تمّ استدراجه إلى الفخ الذي نُصب له بالمغرب أين لقي حتفه. وبعد غياب

(1) ينظر جريدة الوفاق أو الوئام، الصادرة بتاريخ 23 فيفري 1936.
(2) محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ج2، ص67.
(3) ينظر: المرسوم الملكي الفرنسي الصادر بتاريخ 22 جويلية 1843.

عبان رمضان عن الساحة ظهرت بعد ذلك شخصية أخرى قوية في الداخل وهو العقيد عميروش آيت حمودة (قائد الولاية الثالثة القبائل الكبرى)، والذي كان يرغب هو الآخر في السيطرة على القيادة في الداخل بوُقوفه في وجه الانحرافات التي وقعت فيها الحكومة الجزائرية المؤقتة، وكان الرجل يلح على ضرورة دخول كل من هم بالخارج إلى الجزائر، ماعدا السيد رئيس الحكومة، ولكن الرجل هو الآخر سقط شهيدا يوم 29 مارس 1959 رفقة قائد الولاية السادسة الصحراء العقيد سي الحواس، وهما في طريقهما إلى تونس من أجل تسوية الخلافات والمشاكل التي كانت تتخبط فيها القيادة بالخارج[1].

وبالرجوع إلى موضوع المؤتمر، فإن من حق الذين شاركوا في أشغاله أو عايشوا الحدث أن يعبروا قولاً أو كتابة عن مواقفهم وأن يدلوا بآرائهم في الموضوع. ولكن عليهم في نفس الوقت أن يدركوا أن مواقفهم وأرائهم ليست بالضرورة صحيحة، لأن الرأي والموقف يتكونان حسب قدرة صاحبهما على فهم الواقع وتقديره، وهي قدرة تختلف من شخص إلى آخر حسب الإمكانيات الفكرية والثقافية لكل إنسان.

وبعد اختطاف طائرة الوفد الخارجي يوم 22 أكتوبر 1956، أصبح السيد كريم بلقاسم يتضايق من طموحات السيد عبان رمضان إلى درجة أنه ندم على تعيينه على مستوى الجزائر العاصمة كمسؤول بل راح يحمله مسؤولية فشل معركة الجزائر أمام لاكوست وماسو، فبعد اختطاف طائرة الوفد واستشهاد السيد العربي بن مهيدي أصبح كريم يرى في نفسه هو المؤهل لقيادة الثورة لأنه هو الوحيد الذي بقي من الزعماء التاريخيين على قيد الحياة [2].

وبعد إضراب الثمانية أيام الشهيرة وتدهور الأوضاع الأمنية في العاصمة، بحيث أصبحت الظروف غير مواتية لعمل أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ CCE قرّرت حينها المجموعة مغادرة الجزائر العاصمة باتجاه تونس، وقد اتخذ القرار من قبل القادة

(1) دانيال قيران: عندما تثور الجزائر، ط1، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص124.
(2) محمد صغير هلايلي: المصدر السابق، ص 255.

الخمسة، ولكن في لحظة الرحيل كانوا أربعة، وتم إلقاء القبض على العربي بن مهيدي يوم 23 فيفري 1957 ليقتل بعد ذلك في السجن بعد أيام قلائل من اعتقاله ليلة 04 مارس 1957.

وتحسباً لكل طارئ، وحرصا على سلامة البقية قرر الأربعة أن يتفرقوا؛ فعبان وسعد اتجها غرباً نحو المغرب الأقصى، وكريم بلقاسم وبن خدة اتجها شرقاً نحو تونس والتقى الأربعة في صيف سنة 1957 بتونس بعد أن التحق بهم كلاً من لخضر بن طوبال وعبد الحفيظ بوصوف، هذا الأخير القادم من تراب الولاية الخامسة، وفي تونس عكفت المجموعة للإعداد والتحضير لاجتماع المجلس الوطني للثورة[1].

ولاحظ كل من العقيد عبد الحفيظ بوصوف والعقيد لخضر بن طوبال اللذان كانا موجودين في تونس حالة التنافس الشديدة بين السيد عبان رمضان والسيد كريم بلقاسم، فقررا البقاء معهما في الخارج لمشاركتهما القيادة. وبالتدريج بدأ الصراع يأخذ أشكالاً أخرى بين العسكريين الذين كان يقودهم الثلاثي كريم بلقاسم وعبد الحفيظ بوصوف ولخضر بن طوبال والسياسيين الذين كانوا بدورهم يساندون عبان رمضان كبن يوسف بن خدة، وفرحات عباس، وعبد الحميد مهري، والدكتور أحمد أمين الدباغين.

وبالقاهرة تحديداً، تمّ الانقلاب على قرارات مؤتمر الصومام الواحد تلوى الآخر، حيث تم إلغاء فكرة الأولويات، ولفرض سلطة العسكريين تم التوسيع في عضوية لجنة التنسيق والتنفيذ. وفي المجلس الوطني للثورة، ولكن عبان رفض بشدة أن يُجهض مشروعه ويغتال طموحه بهذا الشكل السريع، فراح يهدد ويتوعد خصومه من العسكريون قائلاً: " أبدً لن نسمح بالأغلبية للعسكريين حتى لا يصبحوا إقطاعيين جدد. " ، واستغل عبان منصبه الجديد في جريدة المجاهد، وأخذ يشنع ويندد متهما إياهم بالقصور والضحالة الثقافية وبالغباء السياسي. ويقال أن عبان أسمع كريم

(1) صالح بلحاج: المرجع السابق، ص 17.

بلقاسم ما لا يرضيه بعد أن أقصى هذا الأخير عبان من المهام القيادية بتكليفه الإشراف على جريدة المجاهد فقط.

وقد بدأ عبان في القاهرة يهدّد خصومه بنية العودة إلى الجزائر، من أجل التشهير بأساليبهم وتصرفاتهم غير المسؤولة والمنحرفة عن مبادئ أول نوفمبر أمام قادة الداخل، بينما كان العقداء الخمسة مصمّمين على ترسيخ سلطتهم التي وقف في طريقها عبان، و هكذا تفاقمت الأزمة بينهما بسرعة وازدادت حدة وأصبح عبان لا يحضر جلسات لجنة التنسيق والتنفيذ الجديدة في الخارج، مما جعل العقداء يوجهون له إنذاراً عن طريق زملائه السياسيين في اللجنة أمثال فرحات ومهري والأمين الدباغين، لكن الرجل بقي مصمماً وصامداً على مواقفه، وهذا ما جعل العقداء يقررون تصفيته نهائياً [1].

ولإتمام المهمة التي استقر عليها العقداء، تم إبلاغ عبان -الذي كان متواجدا بتونس خلال تلك الفترة-بأن قضية مهمة تنتظره في المغرب الأقصى، قيل له بأن كتيبة من قوات جيش التحرير الوطني المرابطة على الحدود الجزائرية المغربية، قد تم تجريدها من سلاحها من طرف القوات الجيش المغربية، ولابد أن تتدخل لتسوية القضية مع الملك المغربي محمد الخامس. وقد قبل عبان مضان القيام بالمهمة واتجه رفقة كريم بلقاسم والعقيد محمود الشريف يوم 24 ديسمبر 1957 نحو مدينة تطوان المغربية عن طريق روما ومدريد، وكان في انتظارهم على أرضية المطار بمدينة تطوان يوم 27 ديسمبر العقيد عبد الحفيظ بوصوف؛ رفقة اثنان من عناصر أمنه وتحرك الجميع على متن سيارة من الحجم الكبيرة رباعية الدفع؛ باتجاه مدينة طنجة. وفي الطريق انحرفت بهم السيارة لتسلك طريقاً غير معبدة باتجاه إحدى المزارع، وعند وصول السيارة أمام المزرعة أرغم العنصرين المرافقين للعقيد بوصوف عبان رمضان على الخروج من السيارة وقاما بسحبه بالقوة إلى داخل المزرعة، بينما عاد الثلاثي بوصوف، وكريم بلقاسم، ومحمود الشريف أدراجهم باتجاه فيلا قريبة من المزرعة،

(1) صالح بلحاج: المرجع السابق، ص22.

حيث كانت تنتظرهم هناك مائدة العشاء جاهزة. وفي نهاية الأمسية عاد العنصران ليخبرا بوصوف بأن عبان في الغرفة المجاورة، حينها ذهب الجميع إلى الغرفة فوجدوا عبان ممدداً على السرير ومن دون حركة كان الحبل الذي شنق به ما زال ملفوفا حول عنقه[1].وعندما انتشر خبر اغتيال عبان شرعت الصحافة الفرنسية في استغلال الحدث، بينما رتّب العقداء الثلاثة رواية مفادها أن عبان رمضان سقط في ميدان الشرف وجاء الخبر في صحيفة المجاهد الصادرة بتاريخ 29 ماي 1958؛ أي بعد خمسة أشهر من حادثة الاغتيال.

يقول الرائد لخضر بورقعة عن عبان رمضان الذي التقى به ذات مرة على سفوح جبال الشريعة بغابة مورفة؛ قال خاطبنا عبان بكلمة ما فتئت تمخر ذاكرتي منذ عقود من الزمن قال رحمه الله: "إن قوة الثورة لا تكمن في السلاح فقط ولا في نوعيته ولا في شجاعة الرجال، بل تكمن أساساً في قوة التنظيم والانضباط. " [2].

6-نتائج مؤتمر الصومام:

يقول لخضر بن طوبال؛ بخصوص افتتاح المؤتمر وسير أشغاله، وهو أحد الأعضاء المشاركين الأساسيين في المؤتمر ما يلي: " شرعنا في العمل من يوم الثلاثاء 14 أوت وانتهينا من الاجتماعات الموسعة يوم 20 أوت لتبدأ الاجتماعات المصغرة على مستوى القيادة التي اتفقت وصادقت على صيغ المقررات الأخيرة يوم 23 أوت 1956 .. " [3]. يقول وبعد شرح الأسباب التي دعت إلى الاجتماع، وبعد تقديم التقارير الخاصة عن كل منطقة من المناطق الخمسة. وبعد أخذ ورد وجلسات ومناقشات ساخنة دامت لعدة أيام، نستطيع أن نستخلص أهم نتائج وقرارات المؤتمر في النقاط الآتية:

(1)المرجع نفسه، ص23.
(2) لخضر بورقعة: شاهد على اغتيال الثورة، ط2، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، ص 39.
(3) لخضر بن طوبال: ((ذكريات عن أحداث 20أوت 1955))، في مجلة أول نوفمبر، العدد 105، 1993، ص41.

1- تقسيم البلاد إلى ستة ولايات، بإضافة الولاية السادسة الصحراء وأصبحت كل ولاية متكونة من عدة مناطق وتحت كل منطقة عدة نواحي، وفي كل ناحية عدة قسمات، وكل قسمة تضم مجموعة من المجالس الشعبية البلدية السرية التابعة للجبهة وعلى رأس كل ولاية ضابط برتبة عقيد.

2- تخضع مسألة القيادة لمبدأ الإرادة الجماعية على مستوى الولاية وعلى مستوى القيادة العامة العليا للثورة وقائد الولاية يمثل السلطة الحقيقية للجبهة يساعده في ذلك ثلاثة ضباط نواب برتبة رائد.

3- جاءت القرارات في الجانب العسكري بمبدأ توحيد النظام العسكري وضبط الرتب وتقسيم وحدات جيش التحرير الوطني إلى أفواج وفرق وكتائب وفيالق مع تحديد أجور أفراد جيش التحرير حسب رتبهم.

4- في الجانب السياسي تناولت القرارات التنظيم السياسي وبينت مهام المحافظين السياسيين ومهام المجالس الشعبية.

5- تأسيس وتشكيل الهيئات والمؤسسات الحاكمة للثورة، كالمجلس الوطني للثورة والذي تشكل من 34 عضوا منهم 17 عضوا دائم والنصف الآخر مستخلف، ولجنة التنسيق والتنفيذ التي تشكّلت من خمسة أفراد لهم حق وسلطة المراقبة على الأجهزة السياسية والعسكرية الأخرى[1].

6- أما فيما يخص العلاقة بين جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني، فقد تبنى المؤتمر إعطاء حق الأولوية للسياسي على العسكري، وفيما يخص العلاقة بين الداخل والخارج، فقد تقرر إعطاء الأولوية للداخل على الخارج مع مراعاة مبدأ التشارك في الإدارة والتسيير.

(1) يحي بوعزيز: ثورات القرن العشرين، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر،2009، ص ص152-153.عبد الوهاب خليف: تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال، ط1، دار طليطلة، المحمدية الجزائر، 2009، ص203.

7- تشكيل محاكم مدنية وعسكري تتكفل بالقضايا المطروحة بعيدا عن المحاكم الفرنسية الاستعمارية[1].

وحاصل القول، فإن حب الزعامة هو الذي كان يحرك مهندسي المؤتمر، والذي عزّز من طموح هؤلاء، هو رغبتهم في ركوب قطار التفاوض مع فرنسا، لأن فرنسا في السنوات الأولى من الثورة ناورت عن طريق إيفاد مبعوثين للتفاوض مع الثوار، إذ كانت تروج لما يسمى بـ "الصداقة الموضوعية"، فظنوا اعتقادا منهم بأن فرنسا أصبحت في حاجة ماسة إلى مفاوض، بالإضافة إلى ذلك الدور الفرنسي في إحداث الشقاق داخل صفوف الثورة، وقد تمكّنت إلى حد ما من ضرب الصفوف واستحداث طرفين، ولولا وعي المجاهدين الأوفياء لكان الشقاق بإمكانه أن يؤدي إلى نهاية الثورة وإجهاضها.

وعلى العموم، فقد مثّل مؤتمر الصومام التاريخي منعطفا حاسما في مسار الحركة الوطنية، لأنه نجح في وضع تأسيس جديد وتنظيم دقيق للثورة التحريرية، كما كرّس شموليتها وضمن استمراريتها، بالإضافة إلى أنه حقّق الانتقال من القيادة الفردية إلى القيادة الجماعية، من خلال تأسيس المجلس الوطني للثورة الجزائرية، وإنشاء لجنة التنسيق والتنفيذ التي كانت بمثابة السلطة التنفيذية. وخرج المؤتمرون بوثيقة سياسية هامة، شكّلت ميثاقاً ومنهجاً سياسياً سارت عليه الثورة التحريرية بمفهومها الواسع والشامل، وليست حرباً فقط، كما كانت تُروج لذلك الدعاية الاستعمارية، وهي ثورة تنشد استرجاع السيادة بتحرير الأرض والمواطن من مخلّفات الإرث الاستعماري، وتضمن وتُشيع الحرية والمساواة بين المواطنين دون تمييز عرقي أو ديني.

(1) محمد لحسن زغيدي: المرجع السابق، ص ص 142-158.

مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد الخامس (ديسمبر 2018 م)
E:2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

الدراسات التاريخية والحضارية في فكر محمد فتحي عثمان - قراءة نقدية في كتابه المدخل إلى التاريخ الإسلامي-

الباحث. نبيل ربيع

طالب دكتوراه / جامعة باتنة 1 / باتنة

ملخص

إن بناء أي حضارة لا يمكن أن ينجز إلا عبر تراكمات متوالية لسلسلة من مجهودات بشرية في مختلف مراحلها. والأمة الإسلامية قد بلغت في بناء حضارتها بصهرها تجارب معظم شعوب وأمم الأرض في بوتقة الإيمان ومحلول التوحيد شأوا بعيد. كما أن التاريخ مدرسة إنسانية، أقبلت عليه الجماهير بعد أن ظهرت مزاياه القومية والعالمية، واستندت إليه المبادئ المختلفة، تحاول أن تعتمد على أحداثه في تبرير نظراتها أو نظرياتها. لذلك نجد التاريخ الإسلامي قد احتل حصة الأسد من ناحية المناقشة والتحليل في المحافل والمؤتمرات الدولية. وإن دل هذا فإنما يدل على ارتباط تاريخ الأمة العربية بالثقافة الإسلامية من جهة، ولتمثل التاريخ الطور الإنساني للشرق الإسلامي في صورة مغايرة للغرب اليهودي.

الكلمات المفتاحية: محمد فتحي عثمان، تعريف بالكتاب، مضمون الكتاب، دراسة تقييمية ونقدية للكتاب.

Historical and cultural studies at the thought of Fathi Osman -qrah Cash in his entrance to the Islamic history-

Abstract

The construction of any civilization can not be achieved only through the accumulation of succession to a series of human efforts in various stages. Islamic nation has reached in building a civilization Beshrha most of the peoples and nations of the earth experiences in the crucible of faith and monotheism solution Showa afar. history of humanitarian School, I came upon the crowd after showing national and international advantages, and it was based on different principles, trying to rely on events to justify its looks or its theories. herefore, we find Islamic history has occupied the lion's share in terms of discussion and analysis in forums and international conferences .If this indicates it shows link the history of the Arab nation Islamic culture on the one hand, and to represent the history of the Islamic humanitarian phase of the East in a different picture of the Jewish west.

Key words: Fathi Osman, the definition of the book, the content of the book, and monetary evaluation study of the book.

مقدمة:

إن الحديث عن شخصية محمد فتحي عثمان وكتابه المدخل إلى التاريخ الإسلامي هو موضوع الأمة العربية الذي يشمل التاريخ والهوية واللغة والعادات والتقاليد، والذي تنبض به حضارة كل أمة من الأمم، مما شهد المسار التاريخي للإنسانية عدة إنجازات حضارية تعددت جنسياتها وتنوعت معتقدات صانعيها، لكنها التفت كلها في تطوير أسلوب الحياة في شتى ميادينها ومجالاتها، خاصة الثقافي والعلمي منها.

فالحديث إذن عن محمد فتحي عثمان الذي يعد من أبرز الأوتاد الفكرية في المشرق العربي الإسلامي، وقد امتاز الرجل بمواهب نفسية وأخلاقية وعلمية وسياسية قل نظيرها في عالم الفكر والثقافة والسياسة.

في هذا السياق، تأتي هذه الورقة البحثية المتواضعة والموسومة ب الدراسات التاريخية والحضارية في فكر محمد فتحي عثمان-قراءة نقدية في كتابه المدخل إلى التاريخ الإسلامي- لتساهم في إثراء المناقشة العلمية للوقوف عند محتويات ومضامين الكتاب .

وقد اقتضت هذه الدراسة التعرض للعناصر التالية:

1-حول مسيرة محمد فتحي عثمان الفكرية.

2-تعريف بكتاب المدخل إلى التاريخ الإسلامي.

3-مآخذ الكتاب.

4-خاتمة: أبرز النتائج والتوصيات.

1-حول مسيرة محمد فتحي عثمان الفكرية[2]:

[2] ينظر: مولود عويمر، الشبكة العنكبوتية.،يوم:16 مارس2016،الساعة: 17h23.

ولد محمد فتحي عثمان بالمنيا، بصعيد مصر عام 1928، تلقى فيها تعليمه الأساسي. كما درس أدبيات الحركة الإصلاحية المعاصرة، فقرأ للشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا، وبالخصوص محب الدين الخطيب الذي كان يميل في نظره "المعلمة الحية التي تمشي على قدمين". وتحدث في مواقع عديدة عن علاقته بصاحب جريدتي الفتح والزهراء وتتلمذ عليه، فقال في هذا الشأن:"فقد كان لشخصيته الفكرية ودراساته العلمية أكبر الأثر في تحديد كثير من الأصول العلمية عندي". فالأستاذ الخطيب هو الذي علمه كيف ينهج "الطريق **الحق** في طلب **الحقيقة** التاريخية بين أكداس الروايات ومختلف الأهواء." وتأثر أيضا في شبابه بدعوة الشيخ حسن البنا فانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، وكتب مقالات في جريدتها الأسبوعية الدعوة.

ودرس الأستاذ عثمان القانون في جامعة الإسكندرية، والتاريخ في جامعة القاهرة على رواد المدرسة التاريخية العربية الحديثة كالأستاذ محمد شفيق غربال والدكتور عبد الحميد العبادي. ونال درجة الماجستير في تاريخ عام 1962، من جامعة القاهرة عن موضوع العلاقات الإسلامية البيزنطية، ثم تحصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من جامعة برنستون سنة 1976. وعمل بعد ذلك أستاذا في جامعات الجزائر والسعودية والكويت، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1987 واستقر فيها باحثا وأستاذا بالجامعات الأمريكية ومحاضرا في عدة مؤتمرات فكرية ومدافعا عن الإسلام في مختلف وسائل الإعلام. وعمل فيها كذلك مديرا لمعهد دراسات الإسلام في العالم المعاصر.

عطاؤه الفكري:

صدر للراحل أكثر من عشرون كتاب معظمها مكتوب باللغة الإنجليزية، أهمها: الفكر الإسلامي والتطور، دولة الفكرة، القيم الحضارية في رسالة الإسلام، حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي، السلفية في المجتمعات المعاصرة، آراء تقدمية في التراث الإسلامي، التاريخ الإسلامي والمذهب المادي في التفسير، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، من

أصول الفكر السياسي الإسلامي، الأوقاف في ديننا ومجتمعنا، الدين لواقع، آراء من تراث الفكر الإسلامي، الدين في موقف الدفاع،... وغيرها.

كما ترجم مجموعة كتب منها: "المسلمون في تاريخ الحضارة" للدكتور ستانوود كب أستاذ تاريخ الأديان بجامعة هارفارد، و "جهود المسلمين في الجغرافيا" للأستاذ نفيس احمد. وشرع كذلك في تعريب كتاب "علم التاريخ عند المسلمين" للمستشرق الأمريكي فرانز روزنتال، ثم توقف عن هذه الترجمة لما علم أن الباحث العراقي الدكتور صالح أحمد العلي قد سبقه إلى ذلك.

عرف الدكتور محمد فتحي عثمان في حياته اعتراف وتقدير العلماء والمؤسسات العلمية لإسهاماته الفكرية المتميزة. فدرّس في عدة جامعات عربية وإسلامية، وأصبح مستشارا وخبيرا لمجلات أكاديمية عديدة، وساهم في ملتقيات دولية كثيرة.

يتضح مما سبق أن الدكتور له عطاء زاهر من حيث التأليف والترجمة من خلال نشاطاته العلمية ، أبحاثه القيمة في مجال التاريخ والقيم الحضارية في المجتمع الإسلامي.

2-تعريف بكتاب المدخل إلى التاريخ الإسلامي.

الكتاب المدخل إلى التاريخ الإسلامي للدكتور محمد فتحي عثمان ، كتاب قيم وثري في مادته العلمية، يقع في مجلد واحد، من الحجم الورق العادي، بلغ عدد صفحاته سبعة مئة وخمسة وثمانون صفحة.

تناول فيه مؤلفه –رحمه الله– أهم الجوانب التاريخية والحضارية في التاريخ الإسلامي، مفتتحا كتابه حول كون التاريخ، حيث تساءل خل التاريخ علم أو فن؟ ، ثم انتقل بعد ذلك إلى فلسفة التاريخ، برؤية حضارية متجسدة في السؤال التالي: هل التاريخ للشخصيات أم للحضارات.

فثمة جملة من تساؤلات تطرح وتناقش في هذا الحقل: من الذي يصنع أحداث التاريخ ويؤثر في مساره: الأفراد أم الجماعات؟ وما هو محور التاريخ: هل الأفراد أم الحضارات؟.

لينتقل بعد كتابة التاريخ ووضعية التأريخ: لمن يورخ المؤرخ: لشخصيات يراها صنعت التاريخ وأثرت فيه؟ أم يؤرخ لحضارات؟.

كما تطرق أيضا حول قضية التدوين التاريخي، بسرد مراحله وخطواته الأساسية: من جمع ونقل وتركيب. مع الإشارة إلى التنويه لبدايات هذا العمل في العصر القديم.

لينتقل بعد ذلك إلى عنصر مهم وهو المسلمون يصنعون تاريخهم ثم يكتبونه، مع الإشارة إلى دوافع التأليف التاريخ عند المسلمين.

كما تحدث الكاتب رحمه الله عن تاريخ الإنساني العام. مستطردا في ذلك مسألة الدرس الاستشراقي ودوره في تدوين التاريخ.

3- مآخذ الكتاب:

أهم مأخذ الكتاب هي:

-عدم تطرق المؤلف لمسألة التفسير الإسلامي للتاريخ.

- طرحه غالبا ثنائي.

-دراسة فكرية.

-رؤيته موضوعية مقارنة.

-مشكلة التحيز، فالمؤلف إخواني، إلا أن دراسته قيمة وتعليقاته جيدة.

-له تأملات واجتهادات ممتازة.

-له منهج تجميعي تركيبي.

4-خاتمة:

على ضوء ما تقدم من رصد مضامين الكتاب وسيرة الرجل، وما دونه من فكر تاريخي حضاري، يمكن أن أسجل النتائج التالية:

أولا: يعد محمد فتحي عثمان من كتاب التاريخ الإسلامي في الوطن العربي، وقد قدم من خلال كتابه "المدخل إلى التاريخ الإسلامي" جملة من الأفكار والآراء المتعلقة بأسس دراسة التاريخ، وأهم معالمه الحضارية.

ثانيا: يعد كتاب المدخل إلى التاريخ الإسلامي مرجعا مهما في تاريخ الإسلامي بوجهه العام، كما أنه لا غنى لمن يكتب في هذا المجال من الرجوع إليه والاستمداد منه.

هذا، ومما يوصي به في هذا الصدد، دراسة مؤلفات محمد فتحي عثمان الأخرى؛ للإفادة منها في مجال التاريخ والفكر الحضاري، وأيضا العمل على كشف نصوص أخرى.

وأعتذر عما قد شط فيه القلم، وبعد عن الصواب، وحصل فيه الزلل، وأحمد الله تعالى على الهداية إلى الكتابة في هذا الضرب من البحوث، التي تعرف بجهود أهل الغرب الإسلامي في بناء المعرفة الإسلامية، وتجلي صفحة مشرقة مضيئة من صفحات حضارتنا الإسلامية الخالدة، وأصلي واسلم على النبي الهادي البشير، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، والحمد لله رب العالمين.

ومن الله وحده نستمد العون والتوفيق

مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد الخامس (ديسمبر 2018 م)
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

البيئة في ظل تنمية مستدامة في الجنوب الجزائري

أة.نسيبة فريجات / أة . ليلى سليماني
جامعة غرداية

ملخص

إن نمط الحياة الاستهلاكي والاستغلال الغير عقلاني للموارد البيئية خلق عدة تفاعلات وتحولات جذرية فرضت ضرورة التفكير في ايجاد سبل تهدف إلى خلق نمو اقتصادي من جهة وتكفل حماية للبيئة ومواردها من الاستنزاف اللاعقلاني من جهة أخرى، وهو ما مثل جوهر التنمية المستدامة هذه الأخيرة التي حضيت باهتمام كبير تبنت من خلاله معظم الدول أجندة التنمية المستدامة وأصبحت بذلك اقترابا جديدا في عدة حقول معرفية ، وفي هذه الورقة البحثية نهدف إلى إبراز مفهوم التنمية المستدامة بمختلف أبعاده ومعرفة أهم استراتيجيات التنمية المستدامة في الجزائر وخاصة التي تعنى بالمشكلات البيئية في الجنوب الجزائري .

الكلمات المفتاحية : البيئة – التنمية المستدامة – مشكلة التصحر- صعود المياه- الطاقات المتجددة.

Abstract

The consumer's lifestyle and the irrational exploitation of environmental resources have led to many challenges and environmental damages. Thus, the globe started to think of ways to create economic growth on the one hand and to ensure the protection of the environment and its resources from irrational attrition on the other. This is the essence of the modern concept of sustainable development which most countries in the world have become interested in, and it became a new approach in several fields. The present paper aims to highlight the concept of sustainable development, and it deals with the strategies used for sustainable development in Algeria particularly those adopted to cope with the environmental challenges in southern Algeria.

Keywords: environment - sustainable development - desertification - rise of water - renewable energies.

مقدمة:

تعد البيئة اليوم من بين أكثر المسائل التي يرتكز عليها الاهتمام حاليا على المستوى العالمي ، خصوصا لأنها غدت أهم تحد لبقاء الإنسان ورفاهيته، واعتبارها أحد ركائز التنمية في المجتمعات فهي واجهة عاكسة لصور تطور الشعوب والدول في كافة المجالات ، حيث ارتبط مفهومها بشكل مباشر بالاستخدام الأقصى للموارد المتاحة ، وتعتبر التنمية المستدامة الأكثر ارتباطا بالبيئة ، فهي التنمية التي تقوم بتلبية حاجات الأجيال الحالية دون أن تعرض لخطر قدرة الأجيال المقبلة على تلبية حاجاتها سواء بسبب استنزاف الموارد الطبيعية وتلويث البيئة أو بسبب الديون العامة التي تتحمل عبئها الأجيال اللاحقة أو بسبب عدم الاكتراث بتنمية الموارد البشرية مما يخلق ظروفاً صعبة في المستقبل نتيجة خيارات الحاضر.

لذلك فهي تعمل على تحقيق الأهداف التنموية من جهة وحماية البيئة واستدامتها من جهة أخرى ، إلا أن ثمة حقيقة مفادها أن التدهور البيئي هو أحد الأسباب المعيقة للتنمية ، خاصة إذا تزايدت احتياجات التنمية متجاوزة قدرة الموارد البيئية المتوفرة ، حيث لا تتيح لها إمكانية التجدد .

وإدراكا لهذه الحقيقة فقد أدرجت التنمية بشكل أساسي ضمن جل المؤتمرات العالمية الخاصة بالبيئة ، كما أنجزت عدة مشاريع عالمية وأخرى وطنية بهدف إدراج البعد البيئي ضمن استراتيجيات دعم التنمية في مختلف الدول بما فيها الجزائر .

لذلك إن الإشكالية المطروحة في هذه الورقة البحثية تتمثل في : ما علاقة البيئة بالتنمية المستدامة ؟ وما هو واقع البيئة والتنمية المستدامة في الجزائر ؟ وكيف ضمنت الجزائر البعد البيئي في سياسات التنمية المستدامة الخاصة بالجنوب الجزائري؟

وللإجابة على هذه التساؤلات قمنا بتناول هذا الموضوع معتمدين على أربع أقسام تناول الأول التعريف بالبيئة والتنمية المستدامة أما القسم الثاني دار حول فكرة علاقة البيئة والتنمية المستدامة والقسم الثالث تمحور حول آفاق التنمية في الجزائر

لنختم مع القسم الأخير حول البعد البيئي في استراتيجية دعم التنمية المستدامة في الجنوب الجزائري.

1. مفاهيم أساسية حول البيئة والتنمية المستدامة :

1-1 مفهوم البيئة

تعرف البيئة بأنها المجال أو الوسط الذي يعيش فيه الإنسان ، يتأثر به ويؤثر فيه ، ويتسع هذا المجال أو الوسط ليشمل منطقة كبيرة جدا أو تضيق دائرته ليشمل منطقة صغيرة جدا لا تتعدى رقعة البيت الذي يسكنه[1] .

وتشمل البيئة كل ما يحيط بالكرة الأرضية أو يقع عليها أو يوجد في داخلها، فالغلاف الغازي والمياه والطاقة والنباتات والحيوانات كلها مجتمعة تكون البيئة .

كما عرفت أنها كل ما هو خارج كيان الإنسان ، وكل ما يحيط به من موجودات ، فالهواء الذي يتنفسه والماء الذي يشربه ، والأرض التي يسكن عليها ويزرعها ، وما يحيط به من كائنات حية وجماد ، هي عناصر البيئة التي يعيش فيها ، والإطار الذي يمارس فيه حياته ونشاطاته المختلفة .

ولفهم معنى البيئة الحقيقي لا يكفي أن ننظر إلى جذور الكلمة العربية وتفسيراتها دون ربطها بالمصطلحات الغربية وصولا إلى تعريف عالمي للبيئة ، فمصطلح Environnent يدل على كل ما يتفاعل معه الإنسان في محيطه من الأرض في سطحها وباطنها وما تحويه من ثروات إلى جانب الغلاف الجوي مع كل ما يدخل في تركيبه من مواد ، إضافة إلى الكائنات الحية الأخرى التي تعيش مع الإنسان في الكوكب ، وكذلك البيئة الاصطناعية التي تشمل كل ما يشيده الإنسان لتسيير أمور حياته ، والبيئة الجمالية التي تشمل الآثار والمواقع التاريخية على مر العصور وصولا

1 – سلمى زكي الناشف ، **الوعي البيئي ،** كلية التربية دار البشير ، سلطنة عمان ، 2002 ، دط ، ص13.

إلى البيئة الاجتماعية التي تشمل تكاثر وتوزيع السكان وتنظيم المجتمعات ومستويات إنتاجها وتحقيق التنمية المستدامة[1] .

وفي مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة البشرية – الذي عقد في ستوكهولم عام 1972 تحت شعار رفعه علماء البيئة " نحن لا نملك إلا كرة أرضية واحدة " – عُرفت البيئة أنها جملة الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما ومكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته[2].

نستنتج أن مفهوم البيئة يتسع ليشمل الحياة بمختلف جوانبها الطبيعية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية المترابطة فيما بينها وتشكل موطنا للإنسان والكائنات الأخرى يستمدون منه حاجاتهم يؤدون فيه نشاطهم تأثيرا وتأثرا.

- **أقسام البيئة :**

وقد اختلف العلماء والباحثون حول تقسيم البيئة، حيث نجد البعض منهم قسمها إلى قسمين رئيسيين هما البيئة الطبيعية والبيئة المشيدة.

✓ **البيئة الطبيعية**

وهي عبارة عن المظاهر التي لا دخل للإنسان في وجودها أو استخدامها، ومن مظاهرها: الصحراء ، البحار، المناخ ، التضاريس ، الماء السطحي والجوفي والحياة النباتية والحيوانية والبيئة، ذات تأثير مباشر أو غير مباشر في حياة أية جماعة حية (حيوان أو إنسان).

✓ **البيئة المشيدة**

"وتتكون من البنية الأساسية المادية التي شيدها الإنسان ومن النظم الاجتماعية والمؤسسات التي أقامها. ومن ثم يمكن النظر إلى البيئة المشيدة من خلال الطريقة

1 – نزار دندش ، **كتاب البيئة ،** دار الخيال، بيروت ، 2005، دط ، ص52.

2 – داود عبد الرزاق الباز ، "**مفاهيم أساسية في القانون العام لحماية البيئة "، عالم الفكر** ،الكويت ، المجلد 32 ، العدد3 ،ص61.

التي نظمت بها المجتمعات حياتها، والتي غيرت البيئة الطبيعية لخدمة الحاجات البشرية. وتشمل البيئة المشيدة استعمالات الأراضي الزراعية والمناطق السكنية والتنقيب فيها عن الثروات الطبيعية وكذلك المناطق الصناعية (والمراكز التجارية والمدارس والمعاهد والطرق ...الخ.[1]

هذا ونجد البعض الآخر من المفكرين، قسم البيئة إلى ثلاثة عناصر أساسيه اعتمادا على توصيات مؤتمر "استوكهولم" الدولي، وتتمثل هذه العناصر في: البيئة الطبيعية، البيئة البيولوجية والبيئة الاجتماعية .

أ- **البيئة الطبيعية** :"وتتكون من أربعة نظم مترابطة هي: الغلاف الجوي، الغلاف المائي، اليابسة، المحيط الجوي، بما تشمله هذه الأنظمة من ماء وهواء وتربة ومعادن ومصادر للطاقة بالإضافة إلى النباتات والحيوانات[2].

"وفي تفاعل تلك الأنظمة مع بعضها يجد الإنسان الظروف والعوامل البيولوجية اللازمة لحياته، وكذلك الحفاظ على استمرارية أنشطته الإنتاجية المتعددة. فالنبات ينتج المادة والطاقة في تراكيب عضوية معقدة، ويأكل الحيوان النبات والعشب ويأكل حيوان آكل اللحوم حيوان آخر آكلا للعشب. والإنسان يأكل الحيوان والنبات. وهكذا تستمر علاقة الإنسان بالبيئة (المحيطة به من نبات وحيوان وموارد وثروات")[3].

ب. البيئة البيولوجية : تعد البيئة البيولوجية جزءا من البيئة الطبيعية، وهي تشمل كل الكائنات الحية، بدءا بالإنسان وأسرته ومجتمعه وصولا إلى مختلف الكائنات الحية الأخرى داخل المحيط الحيوي.

1- سيد عاشور أحمد، **التلوث البيئي في الوطن العربي واقعة وحلول معالجته،** الشركة الدولية للطباعة، مصر، 2006 ، دط ، ص 12.

2 - **المرجع السابق** ، ص 14 .

3 - حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **مشكلات المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري** ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية د.ط ، 2005 ، ص 28.

ج. البيئة الاجتماعية :"ويقصد بها الإطار من العلاقات الذي يحدد ماهية علاقة حياة الإنسان مع غيره. ذلك الإطار من العلاقات الذي هو الأساس في تنظيم أي جماعة من الجماعات سواء بين أفرادها بعضهم ببعض في بيئة ما، أو بين جماعات متباينة أو متشابهة معا وحضارة في بيئات متباعدة، وتؤلف أنماط تلك العلاقات ما يعرف بالنظم الاجتماعية. وقد استحدث الإنسان خلال رحلة حياته الطويلة بيئة حضارية لكي تساعده في حياته فعمر الأرض واخترق الأجواء لغزو الفضاء"[1].

والبيئة التي نحن بصدد دراستها هي كوكب الأرض بما يحمله من مجالات مختلفة والتي تتمثل في:المجال الصخري، المجال المائي، الغلاف الجوي، الغلاف الحيوي.

1-2- التنمية المستدامة

التنمية في أصلها هي ناتج عمل الإنسان على تحويل عناصر فطرية في البيئة (تراكيب و بنيات جيولوجية ...) إلى ثروات أي إلى سلع و خدمات تقابل حاجات الإنسان ، هذا التحويل يعتمد على جهد الإنسان و ما يوظفه من معارف علمية وما يستعين به من أدوات ووسائل تقنية ، التنمية هي تغيير في البيئة يهدد توازنها الفطري ، و يصل إلى درجة الإضرار إذا تجاوز قدرة الفطرة البيئية على الاحتمال و قدرتها على استعادة التوازن و رأب التصدعات. ومن هنا ظهرت أهمية التنمية المستدامة كمفهوم جديد[2] .

كثر استخدام مفهوم التنمية المستدامة في الوقت الحاضر ، ويعتبر أول من أشار إليه بشكل رسمي هو تقرير" مستقبلنا المشترك" الصادر عن اللجنة العالمية والبيئة عام 1987، تشكلت هذه اللجنة بقرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر عام 1983 برئاسة " **برونتلاند"** رئيسة وزراء النرويج وشخصية من النخب السياسية والاقتصادية الحاكمة في العالم، وذلك بهدف مواصلة النمو الاقتصادي العالمي دون

1 – سيد عاشور أحمد، ، **مرجع سبق ذكره**، ص13.

2 – مجلة البيئة و التنمية" في العالم " ، مجلد خاص العددان 52-53، 2003، ص ص :22-23.

الحاجة إلى إجراء تغيرات جذرية في بيئة النظام الاقتصادي العالمي ،وتم بموجب هذا التقرير دمج الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية في تعريف واحد.

وعرفت اللجنة التنمية المستدامة:" بالتنمية التي تأخذ بعين الاعتبار حاجات المجتمع الراهنة بدون المساس بحقوق الأجيال القادمة في الوفاء باحتياجاتهم" وهناك صنفين من التعاريف:

الصنف الأول: تمثل تعاريف مختصرة سميت بالتعاريف الأحادية للتنمية المستدامة، وهذه التعاريف أقرب للشعارات وتفتقد للعمق العلمي والعملي والتحليلي منها:

- التنمية المستدامة هي التنمية التي تتعارض مع البيئة.
- التنمية المستدامة هي التنمية المتجددة والقابلة للاستمرار.
- التنمية المستدامة هي التي تضع النهائية لعقلية لا نهائية الموارد الطبيعية.

أما الصنف الثاني: تمثل تعاريف أكثر شمولاً ومنها: هي التنمية التي تعنى باحتياجات الحاضر دون الاضرار بقدرة أجيال المستقبل على الوفاء باحتياجاتهم الخاصة.وهي تفترض حفظ الأصول الطبيعية لأغراض النمو والتنمية في المستقبل، وأنها تنمية اقتصادية واجتماعية متوازنة ومتناغمة، تعنى بتحسين نوعية الحياة مع حماية النظام الحيوي.

- هي التنمية التي تقوم أساساً على وضع حوافز تقلل من التلوث وتقلل من حجم الاستهلاك الراهن للطاقة وتضع ضرائب تحد من الإسراف في استهلاك الماء.

وحصر تقرير الموارد العالمية الذي نشر عام 1992 المختص بدراسة موضوع التنمية المستدامة ما يقارب (20) تعريف للتنمية المستدامة، وتم تصنيفها كما يلي[1] :

1 - G. Ferone, D. Debas, A.S. Genin, **Ce que développement durable veut dire**, éditions d'organisation, 2005, p8.

***من الناحية الاقتصادية**: تعني التنمية المستدامة بالنسبة للدول المتقدمة خفض استهلاك الطاقة والموارد، أما بالنسبة للدول النامية فهي تعني توظيف الموارد من أجل رفع مستوى المعيشة والحد من الفقر.

***من الناحية الاجتماعية(الإنسانية):** تعني التنمية المستدامة السعي لتحقيق استقرار النمو السكاني، ورفع مستوى الخدمات الصحية والتعليمية خاصة في المناطق الريفية.

***من الناحية البيئية**: تعني التنمية المستدامة حماية الموارد الطبيعية والاستخدام الأمثل للأرض الزراعية والموارد المائية.

***من الناحية التكنولوجية**: فهي تعني نقل المجتمع إلى عصر الصناعات النظيفة التي تستخدم تكنولوجيا خضراء وطاقة نظيفة، وهو ما يسمح بإنتاج أدنى الحدود الممكنة من الغازات الملوثة والحابسة للحرارة والضارة بطبقة الأوزون.

وأكد تقرير " **برونتلاند"** على الارتباط الوثيق بين التنمية الاقتصادية والاجتماعية مع الحفاظ على البيئة، وأشار التقرير إلى عدم إمكانية تطبيق إستراتيجية للتنمية المستدامة دون ملاحظة متطلبات التنمية للجوانب الثلاثة" الاقتصادية، الاجتماعية والبيئية [1].

وتهدف التنمية المستدامة إلى تحقيق جملة من الأهداف التي يمكن عرض أهمها من خلال البنود الآتية[2]:

1- أسامة الخولي، **مفهوم التنمية المستدامة** ، مركز الدراسات للطباعة والنشر ، بيروت ، 1999 ، ص ص 44-45.

2 - عثمان محمد غنيم، ماجدة أحمد أبو زنط ، **التنمية المستديمة (فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها)**، دار الصفاء، عمان، الطبعة الأولى، 2007، ص28-30.

- **تحقيق نوعية حياة أفضل للسكان**: من خلال عمليات التخطيط وتنفيذ السياسات التنموية لتحسين نوعية الحياة في المجتمع اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا وروحيا، عن طريق التركيز على الجوانب النوعية للنمو، وليس الكمية وبشكل عادل ومقبول وديمقراطي.

-**احترام البيئة الطبيعية:** من خلال التركيز على العلاقة بين نشاطات السكان والبيئة وتتعامل مع النظم الطبيعية ومحتواها على أنها أساس حياة الإنسان، إنها ببساطة تنمية تستوعب العلاقة الحساسة بين البيئة الطبيعية والبيئة المبنية، وتعمل على تطوير هذه العلاقة لتصبح علاقة تكامل وانسجام.

- **تعزيز وعي السكان بالمشكلات البيئية القائمة**: وتنمية إحساسهم بالمسؤولية تجاهها، وحثهم على المشاركة الفاعلة في إيجاد حلول مناسبة لها من خلال مشاركتهم في إعداد وتنفيذ ومتابعة وتقييم برامج ومشاريع التنمية المستديمة.

- **تحقيق استغلال واستخدام عقلاني للموارد**: باعتبارها موارد محدودة، لذلك تحول دون استنزافها أو تدميرها وتعمل على استخدامها وتوظيفها بشكل عقلاني.

- **ربط التكنولوجيا الحديثة بأهداف المجتمع**: تحاول التنمية المستديمة توظيف التكنولوجيا الحديثة بما يخدم أهداف المجتمع.

- **إحداث تغيير مستمر ومناسب في حاجات وأولويات المجتمع**: وبطريقة تلائم إمكانياته وتسمح بتحقيق التوازن الذي بواسطته يمكن تفعيل التنمية الاقتصادية، والسيطرة على جميع المشكلات البيئية ووضع حلول مناسبة لها.

ومما سبق يتضح أن التنمية المستديمة تعمل على زيادة الوعي بأهمية الموارد المتاحة وضمان حسن استغلالها، كما أن أهدافها متجددة تبعا للمستجدات الطارئة على الصعيد العالمي.

2- العلاقة بين البيئة والتنمية المستدامة :

يشير تقرير التنمية في العالم لسنة 1992 أن التنمية والإدارة البيئية السليمة جانبان متكاملان لنفس جدول الأعمال ، فبدون حماية بيئية ملائمة ستنهار التنمية وبدون تنمية ستفشل حماية البيئة[1].

وقد أصبحت هناك قناعة شبه كاملة من أن إدارة البيئة بشكل سليم ومتوازن يعتبر ضرورة لعمليات التنمية في الوقت الذي أصبحت فيه حماية البيئة ، ووقف التدهور البيئي من الأهداف الرئيسية للتنمية والتي تسعى إليها الكثير من المجتمعات المتقدمة والنامية على السواء ، مما جعلها تولي أهمية بالغة للتنمية المستدامة وهي تلك التنمية التي تؤمن إشباع حاجات الأجيال الحاضرة دون الانتقاص من قدرة الأجيال المقبلة على الوفاء بحاجاتها ، والسبيل إلى ذلك ليس فقط الاستعمال الحكيم للموارد الحالية والمحافظة عليها من أخطار التلوث والتبديد والتخريب ولكن أخذ حق الأجيال المقبلة في الحسبان وذلك بالعمل على تنمية قاعدة الموارد الحالية ، كما أن أي خطط لتحسين البيئة يجب أن تتضمن برامج للحد من الفقر باعتباره سببا مباشرا من أسباب تخريب البيئة وتآكل قاعدة النمو في الحاضر والمستقبل ، وهكذا تبرز من جديد مسألة القضاء على الفقر وتحسين توزيع الدخل لصالح ذوي الدخول المنخفضة ، ليس فقط من منظور العدالة الاجتماعية وتحفيز جهود التنمية بل أيضا من منظور حماية البيئة وتحقيق التوازن البيئي أيضا[2].

لهذا ترتكز فلسفة التنمية على حقيقة مفادها أن الاهتمام بالبيئة يعتبر أساسا للتنمية الاقتصادية ، حيث أن استنزاف الموارد البيئية الطبيعية والتي تعتبر أساسا لأي نشاط زراعي أو صناعي سيكون له آثار ضارة على التنمية والاقتصاد بشكل واضح ، ومن ثمة فإن أول اعتبار للتنمية المستدامة هو محاولة الموازنة بين النظام الاقتصادي والنظام البيئي بدون استنزاف الموارد الطبيعية من جهة ومراعاة الأمن البيئي من جهة

---

1 - البنك الدولي، **تقرير التنمية السنوي في العالم** ،1992.

2 - علا الخواجة ، **الإطار المؤسسي لسياسة البيئة ، مركز الدراسات والبحوث** ، جامعة القاهرة ، العدد2 ، 2002 ، ص ص: 184- 185.

أخرى ، وترتكز فكرة التنمية المستدامة على فكرة الإدارة الرشيدة للبيئة ، وهذا يتطلب إدخال تغييرات على أساليب توزيع التكاليف والمنافع وطرق الحسابات الوطنية بحيث يتم إظهار الموارد والعناصر البيئية بغرض استعمالها في عملية التنمية الشاملة[1].

- **التنمية ضمن المؤتمرات الدولية للبيئة :**

نظرا لارتباط المشاكل البيئية بشكل مباشر بقضية التنمية وهذا وفق ما أشرنا له سابقا، فقد تناولت جل المؤتمرات ذات الطابع العالمي الخاصة بالبيئة محور التنمية كأحد المواضيع الأساسية.

إذ ارتبط مفهوم التنمية في العالم بمستويات النمو الاقتصادي المرتبطة بدورها بمعطيات البيئة وظهرت فلسفة اقتصادية اجتماعية جديدة مستمدة من تطور تطبيقات التنمية المستدامة وهي مكافحة الفقر عن طريق تعزيز أنماط المعيشة المستدامة والتي تعتمد على إدارة الموارد الطبيعية واستثمار القدرات البشرية للفقراء في تحسين مستوى المعيشة بشكل مستدام ، وفي هذا السياق نوجز عرض أهم المؤتمرات الدولية للبيئة.

2-1- مؤتمر ستوكهولم

انعقد بمدينة ستوكهولم بالسويد سنة 1972بحضور ممثلي 113 دولة والعديد من الهيئات التابعة للأمم المتحدة، وكان المؤتمر الدولي الأول الذي يعقد تحت رعاية الأمم المتحدة لبحث العديد من الموضوعات التي تتعلق بالبيئة، وصدر في ختام أعماله أول وثيقة دولية في شؤون البيئة، بالإضافة إلى خطة للعمل الدولي تضمنت 109 توصية تدعو الحكومات ووكالات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية إلى مواجهة المشكلات البيئية.

1 - **المرجع نفسه** ،ص: 186.

وكان من نتائجه الهامة انتشار برنامج الأمم المتحدة للبيئة، كما أوجد قوة دفع هامة في البلدان وفي الأمم المتحدة بشأن إدراك المشاكل البيئية الناشئة والتصدي لها من خلال[1]:

- الالتزام بمبدأ الإنتاجية المستدامة المثلى في استغلال الموارد الطبيعية والأنظمة البيئية.
- التخفيف من التلوث البيئي.
- وضع معايير كافية لحماية البيئة.

وفي سنة 1983 أنشئت اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية، لكي تقترح استراتيجيات بيئة طويلة الأجل وأن تنظر في الطرق والوسائل التي يستطيع المجتمع الدولي أن يعالج بها الشواغل المتعلقة بالبيئة والتنمية بشكل أكثر فعالية، وقدمت اللجنة في سنة 1987 أي بعد ثلاث سنوات من العمل مقترحات شاملة للنهوض بالتنمية المستدامة من خلال " مستقبلنا المشترك " ، وركزت على أنه حتى تكون السياسات قابلة للاستدامة يتطلب النظر في الأبعاد الايكولوجية للسياسة في نفس الوقت مع الأبعاد الاقتصادية .

3-2- مؤتمر نيروبي:

عقد بكينيا بين 10 و18 ماي 1982 بتكفل من الأمم المتحدة وتم التطرق فيه إلى المسائل المتعلقة بالبيئة والتنمية وكذا الارتفاع المحسوس لسكان العالم، لا سيما دول العالم الثالث، ودعا المؤتمر إلى بذل الجهود والتعاون الدولي والإقليمي في هذا الإطار للحد من انتشار الفقر والتلوث، حيث غالبا ما يصبح الفقر والأمية والمرض والقذارة وسوء التغذية، المنتشرة على نطاق واسع والتي نكبت بها نسبة كبيرة من

1 - عصام نور، **الإنسان والبيئة في عالم متغير**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002، ص 117.

سكان العالم سببا للضغط والتوتر والصراع على الصعيد الاجتماعي وتبعا لذلك اعتمد إعلان نيروبي لمساعدة الدول النامية ماديا وتقنيا وعلميا لمعاجلة التصحر والجفاف ومكافحة الفقر وتحسين أوضاع البيئة[1]، لكن لم تمض فترة من الزمن حيث أصبح أكثر بنود إعلان نيروبي دون تنفيذ رغم الجهود الدولية والإقليمية التي بذلت حينذاك، وأن الأسباب الدولية الكامنة وراءه تعود إلى الصراع الدولي وانقسام العالم وشل حركة الأمم المتحدة التي أنيط بها إعلان نيروبي وآلية التنفيذ[2].

3- المؤتمر العالمي للبيئة والتنمية:

أو ما سمي "بقمة الأرض" عقد بين3 و14 جوان 1992 بـ "ريو ديجانيرو" بالبرازيل تحت شعار الأرض بين أيدينا .

وقد كان من أهم أسباب انعقاد المؤتمر هو السعي لحماية البيئة من التلوث من خلال توحيد الرؤية بين دول الشمال الغنية وبين دول الجنوب الفقيرة والمتواجد معظمها في أمريكا اللاتينية وإفريقيا وجنوب آسيا، وقد اتضح من خلال المؤتمر أن الأنماط التنموية السائدة في دول الشمال المتقدم المعتمدة على الصناعة والتكنولوجيا المفرزة للنفايات لا سيما الكيميائية وما إلى ذلك، كما أن غياب التنمية في دول الجنوب يساهم بالقدر نفسه من الإجهاد للطبيعة والإضرار بالبيئة[3]، وقد نتج عن هذه القمة مايلي :

- ✓ **اعلان ريو**[4] :

1 – عامر محمود طراف، **"أخطار البيئة والنظام الدولي"**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1998، ص82.

2 – **المرجع نفسه**، ص83.

3 – سيد أحمد غريب وآخرون، **"دراسات أسرية وبيئية"**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997،ص 137.

4 – **وثيقة اعلان ريو بشأن البيئة والتنمية السياسة الدولية** ،1992 ، ص153.

صادق عليه ممثلو178 دولة بالاجماع ويتكون من 27 مبدأ تهدف إلى إقامة مشاركة عالمية جديدة ومنصفة عن طريق إيجاد مستويات للتعاون بين الدول وقطاعات المجتمع الرئيسية والشعوب ومن بين ماجاء فيه مايلي:

-التركيز على الجنس البشري في مخططات التنمية المستدامة.

- تبادل المعارف والمعلومات بين الدول وحق كل فرد في الوصول إلى مصادر المعلومات التي تتحفظ بها السلطات عن البيئة.

- حماية البيئة أثناء الحروب والنزاعات المسلحة.

- ضرورة سن قوانين وطنية ودولية لتغريم الملوث وتعويض ضحايا الكوارث الإيكولوجية.

كما أكد على محاربة الفقر والتخلف وتحسين التعليم والصحة في المناطق النائية سيما في البلدان النامية.

✓ **برنامج النشاط للقرن الواحد والعشرين الأجندة 21** ".

وهي عبارة عن خطة شاملة ذات أبعاد استراتيجية ناقش شتى الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية وحماية الموارد من أجل التنمية وتقرير دور الفئات البشرية المختلفة ثم وسائل تنفيذ الخطة واستخدام التقانة السليمة بيئيا وتسخير العلم لأغراض التنمية المستمرة[1]. حيث تم إنشاء لجنة التنمية المستدامة ذات الطابع الحكومي الدولي إذ تتكون من 59 عضوا وتعمل على مراقبة وتنسيق الأعمال بين البرامج المرتبطة بالبيئة والتنمية داخل نظام الأمم المتحدة[2] .

1 - سنوسي خنيش ،**استراتيجية ادارة حماية البيئة في الجزائر** ،رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الجزائر ، 2005 ص32.

2- - Ministère de l'aménagement de territoire et de l'environnement, « Glossaire de l'environnement et développement durable », Mars, 2004, P155.

ورغم نجاح هذا المؤتمر إلا أن سلبياته تجلت في النزاع بين الدول الصناعية والدول النامية والفقيرة المنتجة للمواد الأولية فقد جاءت الدول الصناعية الغنية إلى المؤتمر بشعار "الملوث يدفع الثمن" وكانت تهدف إلى تكليف الدول المنتجة للنفط دفع ضريبة الكربون ومنع الدول الغابية من قطع أشجارها وهذا ما رفضته هذه الأخيرة لأنه بمثابة قطع لرزقها ومورد عيشها[1].

4- مؤتمر الأمم المتحدة للتنمية المستدامة جوهانسبورغ 2002:

عقد بعد مرور عشر سنوات على انعقاد مؤتمر ريو وذلك في مدينة جوهانسبورغ بجنوب إفريقيا من 26 جوان إلى 4 جويلية 2002 وحضرها مايزيد عن 20 ألف مشارك وتعد بمثابة ناقوس ينذر بتردي الوضع البيئي على الصعيد العالمي ناهيك على اعتباره بمثابة امتداد لمؤتمر ريوديجانيرو 1992، كونه يراجع حوصلة ما تم تقديمه وتحقيقه من أجندة القرن 21 ومدى وفاء الدول بالتزامها لتحقيق التنمية المستدامة[2].

وقد هدف المؤتمر إلى:

- التركيز على تقليص الفجوة بين الشمال الغني والجنوب الفقير وأهمية التضافر الدولي للقضاء على آفة الفقر كونها عدو للتنمية المستدامة.
- وضع اتفاقية عمل بين الدول لتحقيق التنمية المستدامة.

وبهذا يكون المؤتمر قد أدرج دعم التنمية المستدامة كهدف أساسي له ، فهي ترتكز على ضرورة تحديد أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية، بحيث يكون لها بعد استمراري في المراحل المستقبلية، فضلا عن إشباع الحاجات الأساسية وتحسين مستويات الحياة دون الإضرار بالبيئة ومكوناتها ويمكن ترجمة ذلك وفق المعادلة التالية: التنمية المستدامة = الحماية + التطور.

---

1 - فتحي دردار، "**البيئة في مواجهة التلوث**" دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2002، ص 132.

2 - عبد العزيز بن عثمان التويجري ،**العالم الإسلامي والتنمية المستدامة** ، مجلة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة 1545 ،جوان 2002،ص09.

حيث تتفاقم العوامل التالية: العوامل الاجتماعية (العادات والتقاليد، القيم الدينية) والعوامل الاقتصادية (حاجات الإنسان الأساسية) والعوامل البيولوجية (المصادر الطبيعية).

وفيما يخص الملاحظات العامة عن المؤتمر، فقد جاءت ردود أفعال متناقضة حول نجاحه الذي تؤكده الهيئات الحكومية، بينما تؤكد الهيئات والمنظمات غير الحكومية على فشله باعتباره لم يقدم حل فعلي للتقليص من الفقر أو حتى التوصل إلى اتفاق فعال حول مكافحته بالإضافة إلى المواضيع المتعلقة بانتشار الأمراض والحروب والفساد.

3- أفاق التنمية المستدامة في الجزائر:

أدركت الجزائر على غرار باقي دول العالم أهمية إقامة توازن بين واجبات حماية البيئة و متطلبات التنمية من خلال الإدارة الحكيمة للموارد، و لتجسيد هذا الهدف اتخذت إجراءات و سياسات من شأنها تحسين الأوضاع المعيشية ، الاقتصادية و الاجتماعية و الصحية للمواطن، وصون بيئته ، وسوف نتناول جزء من هذه الإجراءات من خلال ما يلي:

✓ مشاريع منجزة وأخرى في طور الانجاز :

بادرت وزارة المالية في الإطار الموجه لدعم النمو و تهيئة الإقليم بتخصيص 36,5 مليار دينار كغلاف مالي لدعم التنمية المستدامة من خلال المشاريع التالية:

-مشروع حماية الساحل.

-مشروع حماية التنوع البيولوجي.

-إنجاز مشروع خاص بالبيئة.

-وضع دراسة خاصة بالبيئة و تهيئة الإقليم.

-مشروع خاص بتوفير الماء الشروب.

-عمليات تحسين المحيط الحضري.

-مشروع لإعادة تصريف الفضلات المنزلية.

و في إطار المؤسسات الصغيرة و المتوسطة قررت الوزارة إنشاء 600 ألف مؤسسة على آفاق 2020 بإمكانها استقطاب ما لا يقل عن 6 ملايين منصب شغل مع الأخذ بعين الاعتبار عامل النوعية و الإنتاجية ، وتحديد بعض الفروع الإنتاجية ذات الميزة النسبية بغرض إعدادها لدخول السوق العالمية.

و في إطار الإنعاش الاقتصادي ، تم انجاز عمليات تخص إنهاء أشغال أكبر من 10 مراكز دفن النفايات في أهم المراكز الحضرية للبلاد إضافة إلى هذا هناك أعمال أنجزت و أعمال في قيد الإنجاز نذكر منها:

-تشخيص الوحدات الملوثة قصد تحويلها من أماكنها.

- وضع جهاز مراقبة الهواء.

-مشروع انجاز الحضيرة الوطنية " دنيا " و التي تمتد على مساحة تفوق 200 هكتار بين الجزائر و المدينة الجديدة بسيدي عبد الله.

-إعداد مخطط تهيئة الشاطئ في إطار مخطط عمل تهيئة البحر الأبيض المتوسط و الذي يهدف إلى الحماية و الاستعمال العقلاني و الدائم لموارد الشواطئ في منطقة الجزائر العاصمة.

-تسجيل 26 موقع للمناطق الرطبة ذات أهمية دولية بعنوان اتفاقية "رام سار" في أحواض أبيرة ، العصافير ملاح ، و طونقا بولاية الطارف.

أما العمليات الموجهة لحماية التراث الثقافي الأثري فيتعلق الأمر ب: قصبة الجزائر ، قصر الداي بوهران و قسنطينة ،حضيرة الطاسيلي و الأهقار،منطقة ميزاب، قلعة بني حماد ، قصور تمنطيط و تبليلي[1].

✓ **القانون03-10 المتضمن حماية البيئة في إطار تنمية مستدامة**

1 – وزارة تهيئة الإقليم و البيئة و السياحة ، **تقرير حول حالة و مستقبل البيئة في الجزائر** ، الجزائر ، 2005.

يمكن القول بشأنه أنه جاء ثمرة مشاركة الدولة الجزائرية في عدة محافل دولية تخص هذا الموضوع منها ندوة ستوكهولم وقمة الجزائر لدول عدم الانحياز وكذا مصادقة الجزائر على العديد من الاتفاقيات التي تصب في نفس الإطار وأهمها اتفاقية ريودي جانيرو المنعقدة بالبرازيل التي تعتبر نقطة التحول الكبرى في السياسة البيئية الدولية بصفة عامة والجزائرية بصفة خاصة، وخير دليل على النهضة البيئية التي جاء بها القانون السالف الذكر، تضمنه على مجموعة من المبادئ والأهداف التي تجسد حماية أفضل للبيئة، بما يتناسب ومتطلبات التنمية المستدامة ومبادئها.

و بالرجوع إلى نص المادة 4 من القانون رقم : 10/03 المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة نجد أن هذه الأخيرة : " مفهوم يعني التوفيق بين تنمية اجتماعية و اقتصادية قابلة للاستمرار و حماية البيئة أي إدراج البعد البيئي في إطار تنمية تضمن تلبية حاجات الأجيال الحاضرة و الأجيال المستقبلية.

كما جاء بجملة من المبادئ التي تجسد مضمون التنمية المستدامة مثل: مبدأ المحافظة على التنوع البيولوجي ومبدأ عدم تدهور الموارد الطبيعية ومبدأ الاستبدال ومبدأ الإدماج ومبدأ النشاط الوقائي ومبدأ الاحتياط ومبدأ الملوث الدافع .

نص على آليات تؤمن بتحقيق الموازنة بين البيئة والتنمية مثل دراسة الأثر على البيئة وموجز التأثير وتوسيع الرقابة الشعبية من خلال تخويل الجمعيات حق الادعاء ومقاضاة أي مشروع يحدث التلوث.

- بالرجوع إلى نص المادتين : 10و11 من القانون رقم 10/03 المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة يتضح أن المشرع الجزائري لم يقف موقفا سلبيا اتجاه الاستنزاف الخطير للموارد الطبيعية ، إذ اعتبر أن الدولة ملزمة بضمان حراسة مختلف مكونات البيئة ، كما أنها تسهر على حماية الطبيعة.

- فرض عقوبات وغرامات مالية كعقوبات الإضرار بالتنوع البيولوجي والمجالات الحيوية والإطار المعيشي العام[1] .

✓ **المخطط الوطني من أجل أعمال البيئة والتنمية المستدامة**

اعتمد من قبل مجلس الوزراء بتاريخ 12 أوت 2001 وبعد الدراسة والنقاش وضع المخطط الوطني للأعمال من أجل البيئة والتنمية المستدامة لمدة 10 سنوات 2001 -2011 ، أين حددت فيه جملة من الأهداف قصيرة ومتوسطة وطويلة المدى واستند على الآليات الاقتصادية التي تعد وسيلة لتحقيق التنمية المستدامة مثل التحفيزات المالية والدعم والإعانات.

يرمي هذا المخطط إلى المساهمة في تحقيق الإستراتيجية الوطنية لحماية البيئة عن طريق تنفيذ تدابير البرنامج الحكومي في مجال الإنعاش الاقتصادي للقيام بـ :

– تطوير الصحة ونوعية الحياة من خلال ما يلي :

-تحسين الماء الشروب و التطهير.

-تقليص المخاطر المرتبطة بالتلوث ذو المصدر الصناعي.

-تحسين نوعية الهواء في المدن الكبرى و بضواحي المناطق الصناعية.

-التخلص من البنزين الذي يحتوي على مادة الرصاص و تحسين نوعية المازوت .

– تقليص إنتاج النفايات و إدخال تقنيات التسيير المتكامل للنفايات سواء على المستوى المؤسساتي أو المالي.

-تحسين الأطر القانونية و المؤسساتية و الإدارة البيئية.

– المحافظة على الموارد الطبيعية وتحسين إنتاجيتها وذلك بـ:

1 – القانون رقم 10/03 المؤرخ في20/07/2003 المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة ،الجريدة الرسمية العدد 43 ،لسنة 2003.

– توضيح الطبيعة العقارية (حقوق الملكية، الدخول و الاستعمال) للأراضي الفلاحية و السهبية.

–توزيع عقلاني للموارد من الماء و اعتماد تكنولوجيات إنتاج و استعمال أكثر ملائمة.

–بلوغ أهداف الأمن الغذائي من خلال إنتاج ذو قيمة مضافة عالية ، و سياسة سقي دائمة ، و تحسين نسبة تغطية الواردات بالصادرات في التجارة.

–زيادة الغطاء الغابي و عدد المناطق المحمية.

–حماية الأنظمة البيئية الهشة و إعطاء أهمية للتنوع البيولوجي و المناطق الشاطئية.

– صياغة إطار قانوني لإشراك السكان المحليين و المجاورين و بقية الشركاء في المشاريع المرتبطة بحماية التراث الطبيعي[1].

– تخفيض الخسائر الاقتصادية:

–عقلنة استعمال الموارد المائية.

–عقلنة استخدام الموارد الطاقوية.

–عقلنة استعمال المواد الأولية في الصناعة.

–رفع معدل رسكلة النفايات و استعادة المواد الأولية.

–تحسين التسيير البيئي ، التحكم في تكاليف الإنتاج ، صورة و سمعة القيمة التجارية للمؤسسات.

–تحويل (وربما إغلاق) المؤسسات العمومية الأكثر تلوثا و الأقل مردودية ماليا.

– حماية البيئة الشاملة

1 – وزارة تهيئة الإقليم و البيئة و السياحة ، **مرجع سبق ذكره** ، 2005 ، ص 27.

-زيادة الغطاء الغابي ، كثافته و تنوعه البيولوجي.

-زيادة عدد الفضاءات المحمية ، المناطق الرطبة و مناطق التنمية المستدامة(التهيئة المتكاملة، الفلاحية ،الغابية، الرعوية.

-حماية الواحات من النفايات المنزلية و الملوحة [1].

4- البعد البيئي و استراتيجية دعم التنمية المستدامة في الجنوب الجزائري.

لم تخل الجزائر كغيرها من دول العالم من المشكلات البيئية التي بدأت في الظهور تدريجيا عقب الاستقلال مباشرة اهتماما كبيرا بالتصنيع والتعمير والتشييد بغية النهوض بالبنى التحتية للبلاد وتحقيق التنمية الوطنية والخروج من الواقع المتدهور الذي خلفه المستدمر الفرنسي، والجنوب الجزائري على غرار كافة المناطق يعاني عدة مشكلات بيئية ولعل أبرز تتمثل فيما يلي :

1.. تلوث الهواء:ترجع أسباب هذا التلوث إلى التدفقات الهوائية الملوثة التي تسببها حركة مرور السيارات وبعضها الآخر مصدرها منزلي، كما أن إنبعاثات وغازات المصانع تعتبر أحد أبرز أسباب تلوث الهواء خصوصا داخل النسيج الحضري الذي يمتاز بطابع صناعي،كما يمثل إحراق النفايات الصلبة في المناطق القريبة من العمران أحد مسببات تلوث الهواء[2].

2. تلوث المياه:

ويعتبر تلوث المياه أحد أبرز المشكلات البيئية التي تعرفها الجزائر في العديد من الولايات والمناطق خصوصا التي تمتاز بالنشاط الصناعي والزراعي، فقد تسببت المواد الكيماوية المستخدمة في الزراعة في حدوث نسب مختلفة لتلوث المياه السطحية والجوفية[3].

1 - **المرجع السابق** ، ص28.

2 - وزارة تهيئة الإقليم والبيئة، **تقرير حول حالة ومستقبل البيئة في الجزائر**،2000،ص56.

3 - بلال بوترعة ، **المرأة وحماية البيئة** ،مطبعة سخري،الجزائر ،ط1 ،2012، ص 40-41.

.3. مشكلة النفايات:

تعتبر مشكلة النفايات من أبرز المشاكل البيئية التي عرفتها العديد من المجتمعات خصوصا الحضرية منها نظرا لازدياد حجم وكميات النفايات التي ينتجها النشاط الإنساني المتزايد في مقابل نقص الوعي البيئي والمعرفي حول طريقة التعامل مع هذه النفايات[1].

.4. مشكلة التصحر:

كانت ومازالت مشكلة التصحر مشكلة ذات أبعاد عالمية ووطنية مع تزايد المشكلات البيئية العالمية كالاحتباس الحراري والفيضانات والزلازل والبراكين ومن ثم كان لابد على الدول والحكومات أن تولي هذه المشكلة اهتماما كبيرا وتستوفي حقها من الدراسة والتخطيط قصد إيجاد حلول لها.

"تطبيقا لمؤتمر قمة الأرض وما عالجه من قضايا بيئية أهمها مشكلة التصحر قامت الجزائر بتخصيص مبالغ معتبرة للحد من رقعة التصحر حيث خصص 800 مليون دولار سنويا لتنفيذ هذا المشروع وتمكنت من استرجاع ما يقارب 3 ملايين هكتار ضمن 07 ملايين هكتار كانت مهددة منذ سنة 1996بفضل حملات معالجة الأراضي القاحلة عن طريق التشجير، كما عقدت عدة مؤتمرات وورشات عمل بشأن هذه الظاهرة ،ونظرا للمقترحات التي قدمتها الجزائر في مجال التصحر وحماية البيئة في المناطق الجافة عين وزير البيئة سفيرا لمنظمة صحاري العالم لسنة 2006"[2] .

5. مشكلة صعود المياه:

تعد ظاهرة صعود المياه من بين المشكلات التي انعكست سلبا على الطبيعة البيئية والصحية في العديد من مناطق الجنوب الجزائري كولاية الوادي وورقلة، وتسببت في

---

1 – عبد الوهاب صالح العوج ،**النفايات الصلبة وإعادة التدوير، مجلة الدراسات الاجتماعية** ،جامعة العلوم والتكنولوجيا، صنعاء، اليمن، ديسمبر ج6،ع12،2001،ص358.

2 – شراف براهيمي ، **البيئة في الجزائر من منظور اقتصادي في ظل الإطار الاستراتيجي العشري (2001-2011)** ، مجلة الباحث – العدد 12 ، 2013، ص102.

ظهور هذه المشكلة العديد من العوامل منها الطبيعية كتشبع طبقة الأرض بسبب مياه الأمطار إضافة إلى الطبيعة الجيولوجية للمنطقة وأسباب بشرية كارتفاع الكثافة السكنية ، وغياب التخطيط لأبعاد زمنية طويلة التي يتجلى في شبكة الصرف و سيطرة الصرف الفردي الذي لعب دور هام في تلويث المياه السطحية وما ترتب عن هذا من مشاكل صحية و بيئية[1].

***استراتيجيات التنمية المستدامة لولايات الجنوب الجزائري.**

أشارالسيد **نور الدين بدوي في** مداخلته خلال لقائه بولاة الجنوب بورقلة سنة 2016 أن"الجنوب يفرض نفسه اليوم أكثر مما مضى كمتغير أساسي في معادلة التنمية الوطنية فبعد أن كان النفط السمة الغالبة عليه أصبحت العديد من عوامل الانطلاقة الاقتصادية رهينة به فلا طاقة متجددة ولا فلاحة مكثفة وعصرية وسياحة واعدة ولا عمق اقتصادي جهوي ودولي من دونه فهو يعني اليوم الكثير". **وأن التنمية المستدامة في الجنوب أولوية بالنسبة للسلطات العمومية وقد ركز في مداخلته على جملة من النقاط نلخصها فيما يلي[2] :**

- توجد في ولايات أدرار والوادي وغرداية وبسكرة ثروة فلاحية تفوق احتياجات الوطن الغذائية يمكن أن تكون موردا للعملة الصعبة.

-كما تعتبر أدرار وعين صالح "خزانا لا ينضب"من الطاقة الشمسية يسمح للبلاد وليس فقط لولايات الجنوب من الاكتفاء ذاتيا من حاجياتها من موارد الطاقة والتوجه نحو سياسة تصديرية "جريئة"، حيث تملك الدولة "مقومات التنافس الاقتصادي النزيه مالا يتوفر عند غيرنا" .

1 - عبداوي جيهان ريم ،**مشكلة صعود المياه وأثارها على البيئة بإقليم وادي سوف** ،رسالة ماجستير في تهيئة الأوساط الإقليمية، جامعة منتوري، قسنطينة،2006، ص 75.

2- http://www.radioalgerie.dz/news/ar/article/20160716/83537.html تاريخ الولوج اليه 01 ديسمبر2018 على الساعة 21,00.

– المقومات السياحية بمناطق الجنوب على غرار غرادية وتمنراست وجانت وبني عباس وبشار وقصور أدرار التي تمثل فضاء متميزا متفردا من مناظر طبيعية ومواقع سياحية وعمرانية ودينية وصناعات تقليدية.

–كما تعتبر تمنراست وعين قزام وإيليزي وأدرار وبرج باجي مختار "أقطابا تنموية مستقبلية ونقاط إشعاع جهوية متفتحة على الساحل الإفريقي تستقطب دول الجوار في إطار نموذج اقتصادي جهوي مندمج يسمح لنا بتسويق منتجاتنا المحلية والترويج لها جهويا والتحكم على المدى المتوسط في مسارات تجارة الساحل الإفريقي مما يؤهل بلادنا أن تلعب دورا محوريا في المبادلات التجارية والاقتصادية الأورو–إفريقية.

– دعم الدولة لولايات الجنوب من أجل التقليل من الفوارق في مجال المرافق العمومية والشبكات القاعدية لاسيما على مستوى المناطق الحدودية والمعزولة.

–سعي الدولة لجعل ولايات الجنوب تستفيد من إجراءات خاصة تتناسب وخصوصيتها الاقتصادية والاجتماعية والمناخية حتى نحين تدريجيا من جاذبيتها وتنافسيتها الاقتصادية.

– سعي الدولة إلى تقليص الفوارق بين ولايات الشمال و ولايات الجنوب من خلال جعل 2017 سنة للتكفل بالتنمية المستدامة و الاستثمار لتأهيل الجماعات المحلية في جنوب الوطن.

– اعتماد الطاقات المتجددة كمورد طاقوي رئيسي ليس فقط لتموين المواطنين بالكهرباء بل أيضا لسد حاجيات الاقتصاد المحلي من الطاقة والتعاون بشكل مكثف في هذا المجال مع الجامعات ومراكز البحث المختصة.

–توجيه الاستثمارات العمومية في مجال الري والأشغال العمومية توجيها استراتيجيا يسمح بتطوير المناطق الحدودية والتحفيز على إعمارها بسرعة وبشكل متناغم من خلال انجاز مسالك وطرقات والتنقيب على المياه في ممرات إستراتيجية معروفة المواطن في أمس الحاجة إليها.

– تحفيز الاستغلال الاقتصادي للموارد المنجمية المحلية الباطنية والسطحية والتشجيع على توطين استثمارات ناجعة في هذا الميدان والتنسيق مع المصالح القطاعية المعنية تنسيقا وثيقا لتجسيد المشاريع المبرمجة.

– محاربة التصحر ومخلفاته سواء داخل المحيطات العمرانية أو في التجمعات الثانوية والمنعزلة لتشجيع الساكنة على الاستقرار في أماكن تواجدها وتعميرها وتفادي هجرة بعض المناطق الإستراتيجية التي تطمح السلطات العمومية لأن تتبوأ مستقبلا مكانتها بين الجماعات المحلية.

–التعاون بصورة مكثفة مع مراكز بحث مختصة تعمل في الميدان والتي يمكنها أن تساعد على وضع حلول مبتكرة في هذا المجال والعمل على تنفيذها وإنجاحها.

– آفاق سياسة الطاقات المتجددة في الجنوب الجزائري: تصدرت الطاقات المتجددة أجندة السياسات التنموية في الجزائر وتم تعيين عدة مشاريع مرتبطة بالطاقات المتجددة والجديدة، فمن بين المشاريع التي دخلت حيز التنفيذ خلال 2005نذكر منها[1]:

– مشروع 105 ميغا واطن هجين شمسي غازي في حاسي الرمل.

– استعمال الطاقة الشمسية في الإنارة الرئيسية في تمنراست ومنطقة الجنوب الغربي.

– مشاريع إنجاز حديقة هوائية في فيفري 2002 بطاقة 10 ميغا واط في منطقة تيندوف بالتعاون بين شركة NEALوبين سوناطراك وسوناغاز ومجموعة سيم (السميد الصناعي للمتيجة) واستعمال الطاقة الشمسية في الانارة الريفية بمنطقة اسكران التابعة لولاية تمنراست الجنوبية بما يكفل توصيل الكهرباء إلى 1500 حتى 2000 منزل ريفي سنويا بالاضافة إلى انجاز أول محطة هجينة لتوليد الطاقة

1 – وزارة الطاقة والمناجم ، مديرية الطاقة الجديدة والمتجددة ، **دليل الطاقات المتجددة** ، الجزائر، 2007 ، ص 41

الكهربائية العاملة بالغاز والطاقة الشمسية بمنطقة تليغمت على بعد 25 كلم شمال حاسي الرمل وهي تمثل أكبر حقل غازي في افريقيا، مرشحة لأن تكون مصدر طاقوي بديل ونظيف على مساحة 64 هكتار حيث يوجد بها 224 جامع للطاقة الشمسية يبلغ طول كل واحد منها 150 متر.

-كما تمت برمجة محطتين لسنة 2013 ويتعلق الأمر بمحطة " المغير " بولاية الوادي ومحطة "النعامة"بولاية البيض بغرب البلاد وفي الفترة الممتدة بين 2016 و 2020 يتم إنجاز أربع محطات أخرى بطاقة 300 ميغا واط لكل واحد ة منها مع طاقة إضافية تقدر بـ 1200 ميغا واط وهناك برنامج يمتد إلى 1غاية 2030 بطاقة 600 ميغا واط سنويا إبتداءا من 2013.

- "يمثل الجنوب الجزائري مصدر لطاقة الرياح خاصة الجنوب الغربي (تيممون، عين صالح، تمنراست) حيث تتجاوز سرعة الرياح في هذه المناطق 5 امتار/الثانية على ارتفاع 21 أمتار من على سطح الأرض وتتجاوز 9متر/الثانية على ارتفاع 01 متر من على سطح الأرض، ومنه فالطاقة الكهربائية المولدة عن طريق الرياح يمكن إنتاجها محليا وبدون تكاليف نقل، عن طريق إنشاء المحطات الكهربائية في المناطق المعزولة مما يعالج مشكل الكهرباء في الجزائر"[1].

-كما تتوفر الجزائر على طبقة جوفية من المياه الحارة تتربع على مساحة تقدر بالعديد من آلاف الكيلومترات المربعة تدعى بالطبقة المائية الألبية أو"القاريالكبيس" يحدها من الشمال بسكرة ومن الجنوب عين صالح ومن الغرب أدرار أما من الجهة الشرقية فإنها تمتد إلى غاية الحدود التونسية ، إذ تشكل هذه الطبقة خزانا واسعا من حرارة الأرض الجوفية، و تتراوح درجة الحرارة المتوسطة لهذه المياه ب 57م°، ،وقد أنتجت العمليات الأولية لاستغلال هذه الطبقة طاقة سنوية تقدر ب 700 ميقاوات ،

1 - سعد جدي ، **الطاقة المتجددة كمصدر للدخل في ظل الصدمات النفطية- دراسة حالة الجزائر**،رسالة ماستر في العلوم الاقتصادية -تخصص مالية ونقود، جامعة محمد بوضياف المسيلة ،الجزائر،2016-2017، ص 42.

لكن عموما يقتصر استغلال مياه هذه الطبقة على العلاج من بعض الأمراض كداء المفاصل مثلا عن طريق الحمامات المعدنية كما هو الحال بمنطقة زلفانة بولاية غرداية . أين تتراوح درجة حرارة مياه الطبقة الألبية 40م° ، كما أن هناك مشروع لتقدير كميات المياه الحارة المتواجدة بهاته المنطقة يحمل هذا المشروع اسم "تقدير عدد آبار المياه الحارة بزلفانة" لأجل استعمال هذه المياه في الزراعة وفي تكييف الجو و داخل البنايات[1].

1 – **المرجع السابق** ، ص43.

خـاتمة

إن علاقة البيئة بالتنمية المستدامة علاقة ذات طابع خاص ، فالبيئة مسألة حياتية هامة متعلقة أساسا بالإنسان الذي يعد حلقة أساسية في التنمية ، لذلك فإن مايحدد علاقتهما بشكل رسمي هي الممارسة على أرض الواقع ، فطبيعة الحياة البشرية تتطلب الاستمرار والتكاثر مما يتسبب في استنزاف كبير للموارد البيئية الذي يؤثر حتما سلبا على التنمية بشكل واضح ، ومن ثمة فان مسؤولية التنمية المستدامة هي محاولة الموازنة بين جميع الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية من جهة ومراعاة حماية وصيانة البيئة من جهة أخرى ، لا سيما إذا تم إدراج البعد البيئي ضمن إستراتيجيات دعم التنمية كما هو الحال في الجزائر التي وان كانت بعض المؤشرات تعكس رغبتها القوية في المضي قدما نحو إستراتيجية التنمية المستدامة فان مقارنتها ببعض الدول المجاورة تبين الهوة بينهم في نفس المجال وتظهر جليا أن الرغبة هاته غير كافية. مع أن الجنوب الجزائري يمثل خيارا استراتيجيا متميزا في مجال التنمية المستدامة للطاقات المتجددة في الجزائر.

المصادر والمراجع المعتمدة

1. سلمى زكي الناشف ، **الوعي البيئي ،** كلية التربية دار البشير ، سلطنة عمان ، 2002 ، دط.
2. نزار دندش ، **كتاب البيئة ،** دار الخيال، بيروت ، 2005، دط.
3. داود عبد الرزاق الباز ، "**مفاهيم أساسية في القانون العام لحماية البيئة "، عالم الفكر** ،الكويت ، المجلد 32 ، العدد3 .
4. سيد عاشور أحمد، **التلوث البيئي في الوطن العربي واقعة وحلول معالجته،** الشركة الدولية للطباعة، مصر، 2006 ، دط.
5. حسين عبد الحميد أحمد رشوان، **مشكلات المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري،** مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية د.ط ، 2005، ص 28.
6. مجلة البيئة و التنمية" في العالم " ، مجلد خاص العددان 52-53، 2003.
7. G. Ferone, D. Debas, A.S. Genin, **Ce que développement durable veut dire**, éditions d'organisation, 2005.
8. أسامة الخولي، **مفهوم التنمية المستدامة** ، مركز الدراسات للطباعة والنشر ،بيروت ، 1999.
9. عثمان محمد غنيم، ماجدة أحمد أبو زنط، **التنمية المستديمة (فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها)**، دار الصفاء، عمان، الطبعة الأولى، 2007,
10. البنك الدولي، **تقرير التنمية السنوي في العالم** ،1992,
11. علا الخواجة ، **الإطار المؤسسي لسياسة البيئة ، مركز الدراسات والبحوث** ، جامعة القاهرة ، العدد2 ، 2002,
12. عصام نور، **الإنسان والبيئة في عالم متغير**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2002.
13. عامر محمود طراف، **"أخطار البيئة والنظام الدولي"**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1998,
14. سيد أحمد غريب وآخرون، "**دراسات أسرية وبيئية"،** دار المعرفة الجامعية، مصر، 1997.
15. **وثيقة اعلان ريو بشان البيئة والتنمية السياسة الدولية** ،1992,

16.سنوسي خنيش ،**استراتيجية ادارة حماية البيئة في الجزائر** ،رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة الجزائر سنة ,2005

17. Ministère de l'aménagement de territoire et de l'environnement, « Glossaire de l'environnement et développement durable », Mars, 2004.

18.فتحي دردار، "**البيئة في مواجهة التلوث**" دار الأمل، تيزي وزو، الجزائر، 2002.

19.عبد العزيز بن عثمان التويجري ،**العالم الإسلامي والتنمية المستدامة** ، مجلة المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة 1545 ،جوان ,2002

20. وزارة تهيئة الإقليم والبيئة، **تقرير حول حالة ومستقبل البيئة في الجزائر**،2000.

21.بلال بوترعة ، **المرأة وحماية البيئة** ،مطبعة سخري،الجزائر ،ط1، 2012 .

22.عبد الوهاب صالح العوج ،**النفايات الصلبة وإعادة التدوير،مجلة الدراسات الاجتماعية** ،جامعة العلوم والتكنولوجيا،صنعاء،اليمن، ديسمبر ج6،ع,12،2001

23. شراف براهيمي ، **البيئة في الجزائر من منظور اقتصادي في ظل الإطار الاستراتيجي العشري (2001-2011)**، مجلة الباحث – العدد 12 ، 2013 .

24.عبداوي جيهان ريم ،**مشكلة صعود المياه وأثارها على البيئة بإقليم وادي سوف** ،رسالة ماجستير في تهيئة الأوساط الإقليمية، جامعة منتوري ، قسنطينة،,2006

25. وزارة تهيئة الإقليم و البيئة و السياحة ، **تقرير حول حالة و مستقبل البيئة في الجزائر** ، الجزائر ، 2005.

26.القانون رقم 10/03 المؤرخ في20/07/2003 المتعلق بحماية البيئة في إطار التنمية المستدامة ، الجريدة الرسمية العدد 43 ،لسنة 2003.

27.http://www.radioalgerie.dz/news/ar/article/20160716/8353 7.html تاريخ الولوج اليه 01 ديسمبر2018 على الساعة 21,00.

28. سعد جدي ، **الطاقة المتجددة كمصدر للدخل في ظل الصدمات النفطية- دراسة حالة الجزائر**، رسالة ماستر في العلوم الاقتصادية –تخصص مالية ونقود، جامعة محمد بوضياف المسيلة ،الجزائر،2016-2017.

مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد الخامس (ديسمبر 2018 م)
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

المعايير المساعدة في عملية إدماج مخرجات المنظومة التكوينية في الحياة العملية

سويداني عبدالرحمن
أستاذ مؤقت بقسم علم الاجتماع والديموغرافيا
جامعة غرداية– الجزائر
Prof.souidani@gmail.com

ملخص

يُعد نظام التكوين المهني والتعليم المهني هو إحدى اوجه التطور والرقي ، حيث تمكنت العديد من الدول من ان تجعل منه أداة فعالة في عملية الإدماج المهني لأكبرعدد من الأفراد المؤهلين ، وفي هذا الصدد عمدت الجزائر كغيرها من الدول في الإستثمار في هذا المجال وذلك من خلال بناء المؤسسات التعليمية من جامعات ومراكز التكوين المهني وتوفير التاطير المناسب للمتكونين من اجل الإستفادة من كفاءاتهم التي قد تساهم وبشكل كبير في تحريك عجلة التنمية الإقتصادية والإجتماعية هذه الأخيرة والتي تشهد بدورها تحولات وتغيرات مستمرة أثرت في طبيعة التكوين الذي من اهم ركائزه الأساسية نوعية التخصص وطبيعة الشهادة ومن هنا وجب الخذ بعين الإعتبار، هذان العنصران الأخيران اللذان يعتبران من أهم المعايير التي تساعد في عماية الإدماج المهني وخاصة امام بروزنشاطات جديدة خاصة في قطاع الخدمات والتصنيع وهذا بفضل الإستخدام الواسع لتكنولوجيا الإعلام والإتصال.

الكلمات المفتاحية : الادماج المهني؛ حاملي الشهادات؛ سوق العمل؛ التشغيل؛ التكوين المهني.

Standards that assist in the process of integrating the outputs of the training system into the working life.

:Abstract

The system of vocational training and vocational education is one of the aspects of development and progress, and many have been able to do so states to make it an effective tool for the professional integration of the largest number of qualified personnel, and in this regard Algeria, like other countries, has invested in this field through the construction of educational institutionsUniversities and vocational training centers and provide the appropriate balance for the constituents in order to benefit from their competencies that may contribute greatly to moving the wheel of economic and social development of the latter, which is witnessing in turn transformations and continuous changes influenced the nature of the composition,

which is the most important pillars of the quality of specialization and nature the two most important standards that help to achieve professional integration, especially in front of new activities, especially in the services and manufacturing sector, are the widespread use of information and communication technologies.

Keywords: professional insertion ; holders of certificates ; run-labor-market ; formation profitionnel ; Marché du travail.

مقدمة:

يعمل كل من الجهازين التربوي التكويني والاقتصادي الانتاجي لتحقيق اهداف التنمية الاقتصادية الاجتماعية ، حيث يسعى الاول وفق سياسة التكوين الى تخريج حاملي الشهادات تبعا لمقتضيات الكيفية والكمية للتنمية ، ويسعى الثاني وفق سياسة التشغيل الى توظيف حاملي شهادات التكوين لتحقيق النمو الاقتصادي اللازم[1] ، لكن السؤال المطروح هل هذا يتحقق فعلا في الواقع أي الى أي مدي تتوافق سياسة التكوين مع سياسة التشغيل .

ولعل من بين اكثر الاهتمامات التي تشترك فيها الدول المتقدمة او النامية والتي تعتبر الجزائر احدى هذه الدول هو الاهتمام بتعليم وتكوين مواردها البشرية بتوفير الهياكل القاعدية ، ومختلف الإمكانيات الضرورية من أجل ضمان اكتساب المعارف والمهارات لكبر عدد ممكن من الأفراد ، إدراكا منها لدوره الريادي في تحقيق التنمية الاقتصادية ، من خلال تحسين الإنتاجية والنوعية ، ودعم تنافسية المنتوج المحلي بما يكفل الحفاظ وتعزيز قوة النشاط الاقتصادي ، وتوسيع نطاق التشغيل.

ومن هذا المنطلق ، فنجاعة و فعالية المنظومة التكوينية (التكوين الجامعة) في أي دولة ، لا تقاس على حسب عدد الهياكل والمنشآت القاعدية المنجزة ، بل تقاس

1- سويداني عبدالرحمان ، أثر برنامج إدماج حاملي الشهادات الجامعية في سوق العمل ، مذكرة لنيل متطلبات شهادة ماجستير، دراسة ميدانية بالوكالة الولائية للتشغيل بولاية أدرار نوذجاً ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية –جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان2016 ، ص 44.

بمستوى قدرته على تزويد سوق العمل بأيدي عاملة مؤهلة ومتخصصة وفق الاحتياجات.

وعليه تبرز أهمية وجود شراكة بين نظام التكوين ومختلف الفاعلين في سوق العمل لتفادي الاختلال المؤدي لهدر الطاقات البشرية والموارد المالية ، إضافة لتعطيله لنمو القطاعات الاقتصادية ، نتيجة سوء التكوين أو انعدامه ، ومن هنا برز اهتمام الاقتصاديين الأوائل والمعاصرين بهذا العنصر الحيوي ، الذين تناولوه من وجهات نظر مختلفة ، لكن بخلفيات مشتركة تؤكد علاقته الوثيقة بسوق العمل.

بتدني أسعار المحروقات في السنوات الاخيرة والّتي تشكل المصدر الأ ول للعملة الصعبة ،تراجع النسيج الاقتصادي في الجزائر ، وتأثر مستوى التشغيل عموما مما أجبر الدولة على الدخول في سلسلة من الإصلاحات الهادفة نحو التوجه لاقتصاد السوق، ومع تطبيق برنامج التعديل الهيكلي ظهرت نسب مرتفعة لظاهرة البطالة حتى عند فئة المتعلمين.هذه الوضعية دفعت إلى التفكير في إيجاد ميكانيزمات تشجيع خلق مناصب العمل الّتي تسمح بإدماج وإعادة إدماج الأفراد الذي يملكون مؤهلات علمية ومهنية ، على غرار إنشاء الوكالة الوطنية لدعم تشغيل الشباب (1996) لإنشاء مؤسسات مصغرة وصيغ برنامج الاماج المهني الخاصة بكل الفئات سواء الحاملة للشهادة او الغيرحاملة للشهادة الذي ظهر2008.

ومع الانفتاح الاقتصادي الذي ترجمه اتفاق الشراكة مع الاتحاد الأوروبي ودخول الاستثمارات الأجنبية في قطاعات مختلفة ، ووضع برنامج الإنعاش الاقتصادي ، كل هذا ساهم في إحداث تحولات على سوق العمل في الجزائر من خلال ظهور احتياجات جديدة في قطاعات نامية تحتاج إلى نظام تعليم وتكوين يستجيب لمتطلبات من جهة ،ومن جهة أخرى يساهم في تأهيل العامل المحلي في الاحتفاظ بمنصب عمله ، ودعم قدراته أمام منافسة العامل الأجنبي.

ولا يخفى أنّ فرص الاندماج في سوق العمل أصبحت أكثر من أي وقت مضى خاضعة لمعيار المؤهلات والكفاءة الّتي لن تتحقق إلا بوجود منظومة تكوين قادرة

على تخريج عمال يتميزون بقدرة على التكيف مع المتغيرات المستمرة في مختلف الوظائف.

ومن هذا المنطلق، وفي ظل هذه التحولات نطرح الإشكالية التالية: ما هي المعايير المساعدة في عملية ادماج مخرجات المنظومة التكوينية في ظل التحولات التي يشهدها سوق الشغل في الجزائر ؟ وتندرج ضمن هذه الاشكالية جملة من التساؤلات وهي :

- ماهي الخصائص المميزة لسوق الشغل في الجزائر ؟ وماهي متطلباته ؟
- كيف يمكن تجديد وتطوير مناهج المنظومة التكوينية مما يجعلها متلائمة مع احتياجات سوق الشغل فالجزائر ؟
- كيف تتحرك فئة المتخرجين من المنظومة التكوينية داخل نظام الشغل بحثا عن الاستقرار وما سبب ذلك ؟
- كيف تواجه هذه المخرجات الظروف القاسية لسوق الشغل من أزمة اقتصادية وسياسة التشغيل ومنافسة حول الشغل .

وللإجابة على الإشكالية ، وضعنا الفرضيات التالية:

- يعرف سوق الشغل ومتطلباته تحولات عديدة وتغيرات في سير آلياته و قوانينه .
- اصلاح وتجديد مناهج وبرامج المنظومة التكوينية وخلق أجهزة مشتركة بينها من جهة وبين المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية من جهة أخرى بامكانه المساعدة في استخدامية وإدارة المخرجات
- تواجه هذه الفئة بطالة تفوق المتوسط وهي تجد صعوبة في عملية الاندماج في الحياة العملية .

1- أهمية الموضوع:

تتلخص أهمية هذا الموضوع في معالجة لجانب يتعّلق برفع مستوى أداء العاملين في مختلف القطاعات بالشكل الذي يؤدي إلى تطوير قدراتهم ، وبالتالي تحسين مستوى النجاعة الاقتصادية.

ومن جانب آخر يعتبر التكوين وسيلة يتمكن الأفراد بواسطته من إيجاد منصب عمل والتكيف مع السياسات المنتهجة في هذا المجال والتغيرات المتواصلة لمتطلبات مختلف الوظائف.

كما لا يخفى حاجة القطاعات الاقتصادية لأكبر عدد ممكن من الكفاءات خوصا في ظل انفتاح مبني من موقع قوة ، تكون مصدرها بالدرجة الأولى منظومة تكوينية لكي لا يكون سوق العمل الوطني سوقا للعمالة الأجنبية ّالتي بدأت تتزايد من عام لآخر.

تكمن أهمية هذا الموضوع ايضا في أنه يدرس طاقة من أهم الطاقات البشرية الهائلة التي تتمتع بها الجزائر خصوصا من هم من حملة الشهادات الجامعية لذلك فإنه من الضروري تبني سياسات تحسن إدارة هذه الموارد خصوصا في مرحلة التكوين سوآءا التعليم الجامعي أو التكوين المهني وهي آخر مرحلة يتم بعدها الاندماج في عالم الشغل.

لا يجب أن يكون التعليم هدفا في حد ذاته، بل من المفروض إن يكون وسيلة لاستنهاض بالطاقات و الإبداعات البشرية المؤهلة و تيسير إدماجها في سوق العمل، هذا السوق المنتج الذي يعول عليه في تحقيق الرقي و التقدم للاقتصاد المحلي، و يتحقق توافق التعليم الجامعي مع متطلبات سوق الشغل انطلاقا من تجديد مناهج المنظومة التكوينية و تكييفها وفق المتغيرات الاجتماعية و الاقتصادية.

كما يحث البحث إلى تسليط الضوء على احد أهم جوانب القصور في المنظومة التكوينية وهي المناهج، التي لم تعد مناسبة لكسب الرهانات والتحديات التي تواجهها اليوم،فمن المناسب البدء في التفكير في كيفية خلق منظومة ريادية لها مكانة مرموقة بين المنظومات العربية و العالمية، شعارها هو جودة المخرجات و ليس كمها.

2- المنهج المتبع وعيّنة الدراسة

اعتمدنا في هذا الموضوع على الأسلوب الوصفي التحليلي، باعتباره يتلاءم مع موضوع الدراسة كما تم استخدام بعض الأدوات الإحصائية مثل، معامل التوافق

لدراسة مدى استعداد المؤسسات في إدماج الشباب في مجال العمل. وأيضا تمت الاستعانة بالمصادر الميدانية المتمثلة في: الاستبيان. والمصادر العلمية الرسمية المتمثلة في: مختلف القوانين والتشريعات والإحصائيات التي تتعلق بالموضوع لاسيما قوانين الإدماج وبرامج تأهيل الشباب. وأيضا الاعتماد على الكتب العلمية الأكاديمية في علم الاجتماع وعلم الاقتصاد المتخصصة في الشباب والعمل. أما بالنسبة لعينة الدراسة فتجب الإشارة أنه تم استخدام أسلوب المسح الاجتماعي وتحديدا " المسح بالعينة "- باعتبار أن المسح الاجتماعي يعتبر من نماذج الدراسات الوصفية – وحدد حجم العينة بمؤسسة بريد الجزائر بولاية ادرار حيث تشتمل هذه المؤسسة على(48 شابا مدمجا) . وتم توزيع عليهم الاستبيان الذي يضم(21سؤالا).

3- المعالجة الإحصائية:

تمّ استخدام المعالجة الإحصائية في تحليل البيانات التي تم جمعها في هذه الدراسة، حيث تم استخدام معامل التوافق وهذا حسب طبيعة الموضوع، ولأن معامل التوافق يستخدم لقياس الارتباط بين ظاهرتين وصفيتين تعرض بياناتهما في جداول مزدوجة تحتوى على أكثر من 4 خلايا. يطلق عليها "جداول التوافق ".

- **الجانب النظري للدراسة:**

ويضم المحاور التالية:

1- **المنظومة التكوينية** (المفهوم، الوظائف).

- **التعليم العالي:**

- **هيكلة التعليم العالي:**

بعد الاستقلال أنشئت عدّة جامعات في المدن الكبرى (وهران قسنطينة عنابة)، أما النظام البيداغوجي المتبع فهو ما كان موروثا عن الفرنسين اذ كانت الجامعة مقسّمة إلى كليات وهي: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الحقوق والعلوم الاقتصادية ، كلية الطب، كلية العلوم الدقيقة، وتمنح فيها شهادات:

- الليسانس بعد ثلاث سنوات دراسية.
- شهادة الدراسات المعمقة، وتدوم سنة واحدة تختم بأطروحة مبسطة.
- شهادة الدكتورة الدرجة الثالثة، وتدوم سنتان على لأقل من البحث لإنجاز اطروحة علمية.
- شهاد دكتوراه، وتصل مدتها إلى خمس سنوات من البحث النظري او البحث التطبيقي.

وقد تغير النظام البيداغوجي بعد إصلاحات 1971 برفع عدد سنوات الليسانس إلى أربع سنوات واحداث شهادة الماجستير التي تدوم على الأقل، ثم مرحلة الدكتوراه وتدوم خمس سنوات، وفي سنة 1984 تم وضع الخريطة الجامعية التي كانت تهدف الى تخطيط التعليم الجامعي إلى آفاق سن 2000 . إن بتحديد احتياجات سوق العمل من أجل توفيرها من خلال توجيه الطلبة إلى التخصصات المطلوبة، وهذا بمساعدة المديرية العامة للموارد البشرية التي تصدر سنويا ميزانية كمية للتعليم والعمل بوضع العلاقة بين المتخرجين (مستوى المؤهلات) من النظام التعليمي وعدد مناصب العمل المستحدثة في نفس الفترة.[1]

4- نظام الهيكلة الجديدة للتعليم الجامعيLMD

تضع الهيكلة الجديدة المقترحة نظام التعليم العالي في مستوى انظمة التعليم العالي المعمول بها منذ مدة في البلدان الانجلوسكسونية والذي وافقت عليه مؤخرا بلدان التحاد الأوروبي يسمى هذا النظام ليسانس_ماستر_دكتوراهLMD

1- Djamel Feroukhi , la problématique de l'adéquation formation emploi, Alger) CREAD , 2005 , P 223 .

ويتسم بتوفير مجال اوسع لدراسة التخصصات وجعل الطالب يصل الى اعلى مستوى تتيحه له مهاراته وقدراته الذاتية من خلال تنويع مدروس للمسارات التعليمية التي فيها ثلاثة اطوار تتوج بثلاث شهادات وهي [1]:

- الطور الأول : مدته 3 سنوات بعد الباكالوريا يتوج بشهادة ليسانس ويثمن هذا الطور التكوين القصير المدى لكونه يسمح للمتخرج. إما بالاندماج المهني أو متابعة التكوين (الانتقال الى الطور الثاني)، ويتم التحضير للمسارين في السنة الثالثة بإعداد برنامجها بالتنسيق مع القطاعات المختلفة(التربية الوطنية الصحة العدالة الفلاحة الصناعة السكن المؤسسات الصغيرة والمتوسطة.

- الطور الثاني :مدته5 سنوات بعد الباكالوريا يتوج بشهادة الماستر يسمح هذا الطور بمتابعة التكوين الاساسي والحصول على تخصص يمكن الطالب من متابعة التكوين في الدكتوراه (باكالوريا8) او التوجه نحو نشاط مهني ويمكن تحقيق هذا بفضل موازنة دقيقة بين التعليم الاساسي والتطبيقي حسب كل فرع أو تخصص في ضوء التشاور مع القطاعات المستعملة.

- الطورال ثالث: مدته 8 سنوات بعد الباكلوريا يتوج بشهادة الدكتوراه، فأمام تعدد الاختصاصات والتطور المذهل للمعارف والطابع التطبيقي للبحث ، فإن التكوين في مستوى الدكتوراه يضمن في نفس الوقت:

- تعميق المعارف في الاختصاص.
- تكوين عن طريق البحث ولصالحه (تكييف قدرات البحث ، التكيف على العمل الجماعي...).

إن ما يبرر إعادة التوجيه في مستوى الدكتوراه أيضا، هو ظهور حرف جديدة تكون مدتها محددة أحيانا كنتيجة للتطور التكنولوجي، وتطور طلب يتجه تدريجيا إلى التخصص النوعي والتكويني في مستوى الدكتوراه، والذي ينبغي أن يبقى أولوية لدى المؤسسة الجامعية.

1- www.mesrs.dz/-default_sp?

5- مميزات نظام الهيكلة الجديدة للتعليم العالي:

يضم نظام ليسانس ، ماستر دكتوراه عدة مميزات نذكر منها:

- تقليص مدة التكوين العالي ، هو في الواقع فسح مجال تطوير مهام التكوين المستمر ، مع تعزيز وتقوية استعمال تكنولوجيات الإعلام والاتصال كما يتيح هذا النظام عدة معابر بين مختلف الفروع والتخصصات ، مما يسمح للطلبة من الاستفادة من مسارات مختلفة.
- إدماج شعب الامتياز في هذا النظام ، يكتسي طابعا استراتيجيا في عالم تبرز فيه أهمية تكوين العبقريات الفكرية لتوظيفها في تنمية البلد.
- استبدال شهادة الدراسات العليا DES بشهادة تكون أكثر تحديدا ، بشهادة الليسانس أو الماستر حسب مدة الدراسة ، وهذا يتطلب إعادة النظر في ترتيب الشهادات في سلم والوظائف.
- تسمح الهيكلة الجديدة بمواجهة الأعداد المتزايدة للطلبة ، وتنظيم أحسن للدراسات وتقليص للحجم الساعي الأسبوعي ، ومن جهة أخرى تسمح هذه الهيكلة نظرا لمرونتها ، بالانتقال من منطق مسارات حتمية إلى منطق مسارات فردية مع مراعاة انسجامها التكويني والتأهيلي
- تساعد هذه الهيكلة على التحكم في الأدوات الضرورية بواسطة اعتماد مقررات مشتركة (الإعلام الآلي ، اللغات....).

إن إعادة تنظيم التعليم الكيفية ّالتي تطرقنا إليها ، يتوافق والتوجهات العالمية ، المتمثلة في تنويع ملامح التكوين وتكييفها مع الحقائق ّالتي تمليها عولمة الاقتصاد التكنولوجي والعلمي.

فهكذا تترجم عولمة التعليم العالي بفضل برامج بيداغوجية يتعين مراجعتها كل عشر سنوات على الأقل، وبتكوينات تكون مدتها أقصر ما يمكن(مثل الليسانس) وبتكوينات ذات طابع مهني ، تسهل حركية الأفراد ، أضف على ذلك ، أن مسارات

التكوين ستتضمن مقررات مشتركة أفقية ، بات وجودها ضروريا مثل الإعلام الآلي واللغات الأجنبية.

6- التكوين المهني :

لا يمكن إنجاح أي سياسة تنموية إلا إذا توفرت الكفاءات المهنية الضرورية لتجسيدها ، ولا يمكن إنجاح أي سياسة تصنيعية إلا إذا كانت مصحوبة بالتكوين المهني والتقني للأفراد ، الذين يعملون على تحقيق وتنفيذ هذه السياسة ، من هنا ظهرت الحاجة إلى قطاع التكوين المهني مباشرة بعد الاستقلال لتلبية حاجات الاقتصاد الوطني من اليد العاملة المؤهلة.

7- تطور التكوين المهني :

كانت مرحلة 1962-1969 فترة توفير الشروط المؤسساتية و السياسية والإقتصادية والاجتماعية التي تسمح بتنفيذ إستراتيجية للتنمية .

بدأ جهاز التكوين المهني بوجود سبعة عشر(17)هيكل تكويني تابع لوزارة العمل و الشؤون الاجتماعية بقدر استيعاب لا تتعدى 2000 متدرب بصفة دائمة ، و 2500 في مجال التمهيد للتكوين .

مع بداية السبعينات عرف النشاط الاقتصادي توسعا كبيرا نتيجة ارتفاع عائدات المحروقات ، إلا أن مسار التصنيع المكثف اصطدم بعجز جهاز التكوين المهني أنذاك في تلبية الاحتياجات من اليد العاملة المؤهلة ، لهذا أد مجت السياسة الوطنية لتكوين المهني في سيرورة التصنيع المبنية على إنشاء مؤسسات كبيرة منشئة للعمل ، والمحفزة على التنمية الاقتصادية .

وهكذا ارتفع عدد مراكز التكوين المهني للكبار إلى 25 ركز بقرة استيعابية تقدر ب 6000 متدرب ، ويهدف التكوين إلى إعداد عمال متخصصين ، وعمال مؤهلين في التخصصات التقليدية مثل : البناء ، النجارة ، الترصيص الصحي ، الميكانيك ، إضافة

إلى هذه المراكز تم إنشاء معهدين تكنولوجيين مهمتهما تكوين التقنيين السامين في فروع الهندسة المعمارية و الأشغال العمومية والصيانة .

في سنة 1980 وصل عدد المراكز إلى 72 مركزا ، ليتضاعف العدد بثلاث مرات في إطار مخطط تنمية قطاع التكوين ، حيث قدرت عدد المراكز في 1985 ب 272 ، بزيادة القدرة الاستيعابية ب 70000 منصب تكوين .

كما عرفت بداية الثمانينات ، ظهور نمط جديد من التكوين ، و المتمثل في التمهين بموجب قانون 1981 المعدل سنة 1989 ، الذي يهدف إلا إشراك قدرات مؤسسات الإنتاجية ، هياكلها ورشاتها ، وإطاراتها في عملية التكوين .

وبموجب هذا القانون تغيرت مراكز التكوين المهني للكبار لتصبح مراكز التكوين المهني والتمهين ، كما أدمج أيضا التكوين المهني بالمراسلة ، وهو ما سهل عملية التكوين لشريحة واسعة من العمال.

إلا أن تدهور أسعار المحروقات وما تبعها من أزمات اقتصادية واجتماعية ، أدّى إلى تخلي العديد من المؤسسات العمومية عن مهامها التكوينية.

وفي خضم الإصلاحات الاقتصادية ، فتح ملف التكوين المهني سنة 1990 ، في إطار مخطط ، أوصى بعدة إجراءات منها[1]:

- إنشاء مجالس استشارية تعمل على توفير شروط مناسبة للتكوين والتشغيل.
- توسيع أنماط التكوين إلى جانب التكوين الإقامي مع تنويع الشعب والتخصصات.
- دعم عملية التكوين بتأطير من مستوى جامعي.
- لا مركزية التسيير الإداري والمالي لقطاع التكوين المهني.

ص:85. 2002.،ارئ لجز ا، لوالأ القعبطل ، راد ارغلب ، لث التكلب المثل،ارئ لجز القيبرتل اون يوكتل اب ،ةجلفوب ايغث 4-

- إحداث مؤسسة للدراسة والبحث، تقوم بدور المرصد في مجال لإدماج حملة شهادات التكوين المنهي في سوق العمل.
- فتح التكوين المهني للاستثمار الخاص.
- المحافظة على مؤسسات التكوين التابعة للقطاع الاقتصادي ، واستعمالها ضمن اتفاقيات.

رغم الأهداف الطموحة لهذه الإجراءات ، إلا أن الوضع السياسي والاجتماعي في البلاد في فترة التسعينات ، لم تمكن القطاع من تركيز جهوده بالشكل المناسب.

ومع تحسن الأوضاع مع بداية سنوات 2000 ، أصبح من الواجب إعادة النظر أكثر لهذا القطاع خصوصا من الجانب المالي(الميزانية المخصصة لقطاع التكوين المهني أقل من ميزانية التربية والتعليم العالي، وبلغت في 2005 : 16402855000دج).

8- هياكل وأنماط التكوين المهني:

8-1 هياكل التكوين المهني:

تشرف وزارة التكوين المهني على شبكة من المؤسسات وتنقسم إلى قسمين:

هياكل للتكوين وأخرى للدعم.

تتمّثل هياكل التكوين في:

-المعاهد الوطنية المتخصصة للتكوين المهني INSFP وتقدم تكوينا في المستوى 4 و5 .

- معاهد التكوين المهني IFP وتهتم بتكوين المكونين وإنجاز البرامج.

- مستويات التكوين المهني الخمسة المذكورة سابقا هي:

- المستوى الأول : تكوين عمال متخصصين.
- المستوى الثاني : تكوين عمال مؤهلين.
- المستوى الثالث : تكوين عمال ذوو مؤهلات عالية.

- المستوى الرابع : تكوين تقنيين.
- المستوى الخامس : تكوين التقنيين السامين.

وفيما يخص هياكل الدعم تتمّثل في:

-المعهد الوطني للتكوين المهنيINFP.

-مراكز الدراسة والبحث في المهن والمؤهلاتCERPEQ.

-المعهد الوطني لتطوير وترقية التمهين والتكوين المستمرINDEFOC.

-المركز الوطني للتعليم المهني عن بعدCNEPED.

- الوكالة الوطنية لعتاد التكوين المهني ANEFP وهي مختصة في شراء المعدات البيداغوجية.

2-8 أنماط التكوين المهني:

ينقسم التكوين المهني في الجزائر إلى أربع أنماط هي : التكوين الإقامي ، التمهين، التكوين عن بعد التكوين المسائي.

3-8 التكوين الإقامي:

يعتبر هذا النمط من التكوين المهني التقليدي حيث يتم جانبه النظري والتطبيقي في مراكز التكوين المهني، عدد الملتحقين به هو 225723 سنة 2004 أي أكثر من ٪ 52 من مجموع المنتسبين لهذا القطاع توجد ثلاث دورات للتسجيل في التكوين الإقامي تفتح في : يناير ، مارس وسبتمبر ، حيث أن غالبية الملتحقين من التلاميذ المتسربين من قطاع التربية.

4-8 التمهين:

يتم هذا النمط من التكوين في المؤسسات والورشات الإنتاجية وكذلك في مراكز التكوين المهني التي تشرف على متابعة العقد ونقل المعارف النظرية المتعلقة بالمهنة ،وحسب قانون 81 -07المؤرخ في 27 جوان 1981 في مادته الثانية :

"التمهين هو نمط من التكوين المهني يهدف إلى اكتساب مؤهلات مهنية أولية معترف بها أثناء العمل ،تسمح بمزاولة مهنة في مختلف قطاعات النشاط الاقتصادي المرتبطة بإنتاج السلع والخدمات[1].

- علاقة رب العمل بالممتهن تكون بواسطة عقد تمهين ، يحدد شروط وواجبات

- كل طرف ويستفيد بموجبه الممتهن من أجر مسبق يكون كالآتي:

- تدفع الدولة مبلغا شهريا يعادل ٪ 15 من الأجر الوطني الأدنى المضمون لفترة سداسي(6 أشهر) للتكوين الّتي يمتد إلى 24 شهر ، و 12 شهر للتكوين الّتي يفوق24 شهر.

- يدفع رب العمل ابتداء من السداسي الثاني في حالة عدم التكّفل المالي للدولة مبلغا يعادل ٪ 30 من الأجر الوطني الأدنى المضمون ، وفي السداسي الثالث والرابع حوالي ٪ 50 من الأجر الوطني الأدنى المضمون ، ثم ٪ 60 و ٪ 80 بالنسبة للسداسي الخامس والسادس عل التوالي.

كما يستفيد الممتهن من امتيازات أخرى كالضمان الاجتماعي والمنح العائلية ، ولضمان نجاح نمط التمهين حدد القانون المؤسسات المستقبلة للممتهنين بالشكل التالي:

-المؤسسات من 1 إلى 5 عمال : تستقبل على الأقل ممتهن واحد.

-المؤسسات من 21 إلى 40 عامل : تستقبل على الأقل 04 ممتهن.

-المؤسسات 40 إلى 100 عمال : تستقبل 05 ممتهنين على الأقل.

-المؤسسات من 100 إلى 1000 عامل : تستقبل ممتهن واحد لكل 20 عامل.

-أكثر من 1000 عامل : تستقبل ٪ 03 من مجموع العمال.

1 -JOURNAL OFFICIEL , 30 JUIN, 1981 , N 26.

- بلغ عدد الملتحقين بالتمهين سنة 2004 : 170968أي ٪ 39.45 من مجموع المتكونين .

8-5 التكوين عن بعد:

وهو تكوين عن طريق المراسلة يتكفل به المركز الوطني للتعليم المهني عن بعد (CNEPD) ،كما يخضع المتكونون لحصص تطبيقية في مراكز التكوين المهني.

وصل عدد المسجلين في هذا النمط 13771 متكون سنة 2004 ، أي ٪ 3.18 من مجموع المسجلين في التكوين المهني ، ويبقى التكوين عن بعد أقل الأنماط انتسابا.

8-6 التكوين المسائي:

عرف التكوين المسائي منذ بداية التسعينات تطور لكن بنسب متواضعة ، ومع بداية سنوات 2000 ، بدأ هذا النمط يحتل مكانة وسط الأنماط الأخرى ، بل ويفوق التكوين عن بعد ، نظرا لحاجة العمال خاصة لضرورة التكوين المتواصل ، وملائمة من جانب التوقيت ، فبلغ عدد المنتسبين إليه في 2004 (22922) ونسبة ٪ 5.29 من مجموع الملتحقين بالتكوين المهني.

9- **هيكلة ومتطلبات سوق الشغل** (المفهوم، تكنولوجيا العمل):

-سوق العمل

- 9-1 مفهوم سوق الشغل:

يمكن القول، أن سوق العمل هو "المكان أو المجال الذي يلتقي فيه الباحثون عن فرص العمل (العمال) والباحثون عن العمال(أصحاب العمل) ويتم من خلاله تحديد مستوى الأجور و(حجم العمالة).

ويعرف سوق العمل أيضا" :بأنه الأرضية التي من خلالها يستطيع الأفراد تحقيق منافعهم المادية والنفسية والاجتماعية والثقافية والشخصية في إطار الحدود التي تفرضها هيكلة الشغل".

كما أن سوق العمل يعتبر جزء هاما من التنظيم الاقتصادي العام للبلد والذي يتكون من مجموع أسواق السلع والخدمات وأسواق عناصر الإنتاج، إذ أن سوق العمل يتأثر بشكل مباشر بالظروف الاقتصادية العامة في البلد، ففي حالة الازدهار الاقتصادي فإن سوق العمل يتمتع بالعمالة الكاملة، وهذا يعني أن جميع قوة العمل المتاحة العمل المناسبة تحصل على فرص العمل المناسبة وتتسلم بالتالي أجورا عالية، أما إذا ساءت ظروف الركود الاقتصادي فإن هذا ينعكس بوضوح على وضع سوق العمل الذي سيعاني من البطالة وانخفاض مستويات الأجور.

10- تكنولوجيا العمل

10-1 مفهوم التكنولوجيا :

هي عبارة عن الاعمال الآلية والتعليم و زيادة المهارات عن طريق ما يعرف باستخدام الحواسب والانترنت وما يتعلق بها من أدوات و أساليب عمل تكنولوجية ، وفي التنظيمات الكبيرة يتم استخدام تكنولوجيا العمل في جميع المستويات التنظيمية ، فكلمة تكنولوجيا تشير الى مفهومين ، فالمقطع الاول "TECHNO" يعني فن صنعه ، او تقني أما المقطع الثاني من الكلمة "LOGY" فهو يشير الى مذهب أو علم أو نظرية ، وهي عبارة عن علم تطبيقي أو طريقة فنية لتحقيق هدف علمي ، و هي كذلك جميع الوسائل التي يتم استخدامها لتوفير كل ما هو ضروري لتحقيق مستويات معيشية معينة .[1]

ولقد تباينت وجهات نظر العلماء حول تحديد معنى دقيق وواضح لمفهوم تكنولوجيا العمل، فهناك من يتطرق لها على أنها تطوير العملية الإنتاجية والأساليب المستخدمة لتخفيض تكاليف التشغيل، وهناك من ينظر لها على أنها تلك الأساليب

1- بوبكر هشام ، إستراتيجية التكوين ومتطلبات الشغل ، دراسة ميدانية بالمعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني بسكيكدة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجيستر، تخصص :تنمية الموارد البشرية، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2006-2007، ص :

والعمليات الفنية التي تستخدمها منظمات الأعمال لتغيير المدخلات وتحويلها إلى مخرجات.

10-2 أهمية تكنولوجيا اللعمل :

أصبح استخدام التكنولوجيا في العمل من المقومات الأساسية لنجاح المؤسسات الإدارية،فالتغيرات والتحولات العالمية في أداء الأعمال تدفع المؤسسات إلى البحث عن أساليب عمل تواكب هذه التحديات وتحافظ عل ى بقائها واستمرارها، فالمنافسة الشديدة في ضوء هذه التحولات أدت إلى ضرورة استخدام التكنولوجيا في أداء الأعمال.

فعمل المؤسسات اليوم، يتطلب استخدام التكنولوجيا بصفة دائمة ومستمرة، والعمل دون استخدام هذه الأساليب بجعل أداء المؤسسات دون المطلوب وبتكاليف عالية، إضافة إلى تراجع البناء التنظيمي لعدم قدرته على مواكبة المستجدات، فاستخدام التكنولوجيا ساعد المؤسسات الادارية في السيطرة على البيئة المحيطة، ويساعد كذلك على توجيه الجهود؛ بما يكفل العمل على تحقيق الأهداف المرسومة.

فتكنولوجيا العمل هي المعرفة والأدوات والأساليب والنشاطات المستخدمة في تحويل مدخلات المؤسسة إلى مخرجات يترتب عليها الحفاظ على البقاء والاستمرار ومواجهة التحديات، لذلك أصبح لزاما على المؤسسات الادارية استخدام الأساليب التكنولوجية مثل أسلوب العمل، وبناء على كثافة رأس المال المستخدم، أي استخدام مستويات متطورة من تكنولوجيا العمل في العمليات الإنتاجية والخدمات، والابتعاد عن الأساليب التقليدية أو نصف الآلية في أداء الأعمال.

10-3 مراحل تطور تكنولوجيا العمل :

لقد مرت التكنولوجيا بعدة مراحل كغيرها من مراحل تطور المعرفة الإنسانية، وبمكن تحديد هذه المراحل فيما يلي:

- مرحلة الصناعة اليدوية.
- مرحلة المكننة.
- مرحلة الإنتاج الكبير.
- مرحلة التحكم الآلي :وهذه هي المرحلة الأهم حيث شاهدت تزايد الحاجات لاستخدام التكنولوجيا في العمل وانتشرت التكنولوجيا في جميع المؤسسات الإدارية والاقتصادية في العالم، وهذا الانتشار دليل على الحاجة المتزايدة لاستخدامها، فكل مرحلة من هذه المراحل ساهمت في تطوير واستخدام التكنولوجيا، ويلاحظ انتشار الحواسيب في العمل الإداري، فهو ذا أثر كبير وواضح على زيادة وسرعة الأداء وتنظيمه وترتيبه لدرجة أن الأساليب اليدوية القديمة أصبحت غير ملائمة للاستخدام في الوقت الحاضر، فمهام وواجبات التنظيمات الإدارية أصبحت على درجة من التعقيد وأصبح من وظائف الإدارة الأولية العمل على زيادة الطاقة الإنتاجية للنظم الإدارية، وهذه الطاقة لا يمكن زيادتها عن طريق استخدام الأساليب التقليدية في العمل، بل عن طريق استخدام الوسائل الحديثة مثل الكمبيوتر والأدوات التكنولوجية المتطورة، أي العمل على تقنية المعلومات.

فتكنولوجيا العمل وعلى رأسها الكمبيوتر، أصبحت الإدارة الرئيسة المستخدمة في قطاع الأعمال نتيجة لقدرته على إدخال ومعالجة البيانات والمعلومات والقدرة على التخزين والحفظ واسترجاع المعلومات، الأمر الذي يشير إلى دور تكنولوجيا العمل من خلال الكمبيوتر على تبسيط العمل الإداري، ولتكنولوجيا المعلومات دور كبير في تحديث وتطوير إدارة الأعمال وإدخال معلومات جديدة تؤدي إلى خلق أنواع جديدة من الوظائف ومجالات عمل ونشاطات كبيرة في بيئات العمل، لذلك بمكن ملاحظة دور تكنولوجيا المعلومات من خلال أنها:

- تساعد على توفير قوة عمل فعلية داخل المؤسسة.
- تساعد على زيادة قنوات الاتصال الإداري بين مختلف الإدارات.
- تساعد على تحقيق رقابة فعالة في العمليات التشغيلية.

- تساعد على توفير الوقت خاصة للإدارة العليا للتفرغ لواجبات أكثر أهمية مما هي فيه.
- تساعد على تقليص حجم التنظيمات الإدارية.
- ولهذا فقد أصبحت تكنولوجيا العمل في الوقت الحاضر من أساليب العمل المستخدمة في القطاعات الإنتاجية، وأصبحت هي الرائدة في قطاع الأعمال، حيث شهد هذا القطاع زيادة في الطلب على استخدام الحواسيب في المؤسسات الإدارية، لدرجة أن شركات الحاسوب أصبحت تمثل المراكز الأولى في السوق المالي وسوق الأعمال.
- هذا بالإضافة إلى شبكة الإنترنت التي أصبحت من أكثر الشبكات أهمية في مجال عمل منظمات الأعمال، فهي شبكة تقدم خدمات كثيرة من خلال الأساليب التالية:
- الشبكة العالمية العنكبوتية.
- لوحة الإعلانات الإلكترونية.
- المناقشات الجماعية.
- البريد الإلكتروني...

10-4 متطلبات استخدام تكنولوجيا العمل:

يحقق استخدام تكنولوجيا العمل في المنظمات الكثير من الفوائد التي تعود على التنظيم وعلى الأفراد، فهي تؤدي إلى تغيير في حياة الأفراد وك ذلك في حياة المؤسسات من حيث البقاء والاستمرارية ومواكبة المستجدات في البيئات المحيطة، ولكن حتى يمكن الاستفادة من التكنولوجيا فإن استخدامها يتطلب توافر متطلبات كثيرة منها :ضرورة وجود كوادر إدارية ماهرة قادرة على التعامل معها ومعرفة خصائصها كما يتطلب استخدامها ضرورة العمل على تطوير الأنظمة الإدارية وأنظمة الاتصالات المعمول بها لكي تتمكن المنظمة من الاستجابة للتغيرات والاستفادة منها، كما لابد من العمل على تكوين قوة العمل وزيادة مهاراتها وقدراتها إضافة للعمل على توفير بيئة عمل جيدة ومناخ تنظيمي فعال قادر على تهيئة الأجواء المنافسة

لاستخدام التكنولوجيا، ويؤدي استخدام الحواسيب الإلكترونية وما يتفرع منها من أجهزة ومعدات ذات استخدام مكتبي مثل، أجهزة تصنيف المعلومات والطباعة الإلكترونية إلى توفير قوة عمل فعلية ذات مهارات وقدرات عالية، فاستخدام هذه الأجهزة بكفاءة وفعالية يؤدي إلى توفير الوقت وزيادة الإنتاجية.

وتتطلب استخدام تكنولوجيا العمل ضرورة توافر الموارد المادية للحفاظ عليها وصانتها وضرورة توافر ما تحتاجها من معدات وأجهزة وقطع غيار، وتوفير بيئة ملائمة لعمل التكنولوجيا من حيث التهوية والتخزين والتشغيل وتوافر قطع الغيار، إضافة إلى عمل الدراسات المسحية لمعرفة وتحديد ما تحتاج هذه الأجهزة في المستقبل، ولمعرفة ما توصلت إليه صناعة التكنولوجيا حتى تتمكن المنظمة من مواكبة ما هو جديد في هذا المجال.

11- الادماج المهني (المعاييرالمعتمدة في عملية الادماج واستقطاب المخرجات):

- **خصائص أفراد عينة البحث :**

الجدول رقم (01)يبين توزيع أفراد العينة حسب الجنس.

الجنس	التكرار	التكرار النسبي٪
ذكور	31	٪64
إناث	17	٪36
المجموع	48	٪100

من خلال الجدول يتضح أن الاتجاه العام يتمثل في فئة الذكور بنسبة 64٪ لـ 31 مبحوث ، و أما نسبة الإناث فكانت ب 36٪ لـ 17 مبحوث ، ونلاحظ أن هناك تباعد بين النسبتين وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن فئة الإناث تتوجه بنسبة

كبيرة إلى المؤسسات العمومية ذات الطابع الإداري على عكس المؤسسات العمومية ذات الطابع الاقتصادي .

الجدول رقم (02) يبين توزيع أفراد العينة حسب الحالة الاجتماعية.

الحالة الاجتماعية	التكرار	التكرار النسبي٪
متزوج(ة)	14	٪29
اعزب(عزباء)	33	٪69
مطلق (ة)	1	٪2
المجموع	48	٪ 100

من خلا الجدول يتبين أن فئة العزاب تمثل أعلى نسبة لأفراد العينة بنسبة 69 ٪في حين تمثل نسبة المتزوجين29 ٪ ونسبة المطلقين 02٪ فقط .

الجدول رقم (03) يبين توزيع افراد العينة حسب الشهادة المتحصل عليها .

الشهادة المتحصل عليها	التكرار	التكرار النسبي ٪
تقني سامي	8	٪17
ليسانس ل م د	28	٪58
ليسانس كلاسيك	12	٪25
مهندس	0	٪0
المجموع	48	٪100

من خلال الجدول يتضح أن فئة حاملي شهادة ليسانس ل م د أعلى نسبة لأفراد العينة بنسبة 58٪ وتليها فئة حاملي شهادة ليسانس كلاسيك بنسبة 25٪ في حين تمثل نسبة التقني سامي 17٪ لتكون صفة مهندس منعدمة في العينة .

الجدول رقم (04) يبين توزيع أفراد العينة حسب مدة العمل ضمن عقود الإدماج المهني .

مدة العمل	التكرار	التكرار النسبي٪
4أشهر- 10 أشهر	4	٪8
11شهر -17 شهر	15	٪31
18 شهرا- 24شهرا	29	٪61
المجموع	48	٪100

الجدول يبين المدة التي قضاها المبحوث في منصبه منذ التحاقه بالعمل في إطار العقود إدماج حاملي الشهادات ، و يتضح من خلال الجدول أن هناك 61٪ من المبحوثين مدة عملهم في عقود إدماج حاملي الشهادات تتروح ما بين]18 شهرا-24شهرا[وتليه 31 ٪مدة عملهم تتروح ما بين]11شهر -17 شهر[وفي الأخير لدينا ما نسبته 8٪ تراوحت مدة عملهم ما بين]4أشهر- 10 أشهر.[

وبناءا على هذا التصنيف يتضح أن معظم أفراد العينة يمثل نسبة 92 يعملون في عقود إدماج حاملي الشهادات أكثر من 10 أشهر مما يعني أنهم اندمجوا مع العمل وهذا ما يجعلهم قابلين للدراسة والبحث .

12- مناقشة وتحليل النتائج:

إن التعريف ببرنامج الادماج المهني ، ومعرفة الخصائص والاهداف التي وجد من اجلها و كذا الهيئات المعنية به سوآءا من حيث التمويل او التسيير كل هذا يدعونا لطرح التساؤلات التالية :

- ما هي المعايير التي يتم على أساسها اختيار و تعيين الشباب ؟
- كيف يستطيع الشاب ان يندمج ضمن هذا العقد (CID) ؟
- كيف هي نظرة الشاب لهذا العقد؟ وما هي اماله من خلاله ؟

13- استقطاب الشباب الخريجين :

ان وظيفة الاختيار والتعيين تعتبر الامتداد الطبيعي لوظيفة البحث والاستقطاب للقوى العاملة الشابة وتتضمن هذه العملية المفاضلة والانتقاء بين الافراد المتقدمين لشغر وظيفة معينة من حيث درجة صلاحيتهم لتلك الوظيفة ، وعليه فهي تهدف الى العامل المناسب في المنصب المناسب ، وذلك من خلال تحقيق التوافق بين متطلبات و واجبات الوظيفة وبين مؤهلات و خصائص الشاب المتقدم لشغل هذه الوظيفة .

الجدول رقم (05) : يبين توزيع بين الشهادة وأسس الاختيار للمنصب .

نوع الشهادة / أسس اختيار المنصب	تقني سامي		ليسانس ل م د		لسانس كلاسيك		المجموع	
الشهادة	5	٪62	16	٪57	7	٪58	28	٪58
الخبرة	3	٪38	10	٪36	3	٪25	16	٪34
عشوائيا	0	٪0	2	٪7	2	٪17	4	٪8
المجموع	8	٪100	28	٪100	12	٪100	48	٪100

من خلال الجدول يتّضح لنا أن الاتجاه العام يمثل الشباب المختارين على أساس الشهادة بنسبة دلالة تقدر ب 58٪ وهي مدعمة عند فئة حاملي شهادة تقني سامي بنسبة 62٪ وفئتي ليسانس كلاسيك و ل م د بنسبتي 58 ٪57 ٪ على الترتيب أما الشباب الذين اختيروا على اساس الخبرة فقد مثلوا بنسبة 34٪ وهي مدعمة بنسبتي ٪38 و 36٪ عند فئتي حاملي شهادة تقني سامي و شهادة ليسانس ل م د على الترتيب و في المقابل نجد المختارين عشوائيا فقد مثلو بنسبة 8 ٪ والتي دعمت بنسبة 17٪ عند فئة ليسانس كلاسيك و 7 ٪عند فئة ليسانس ل م د .

من خلال هذه المعطيات الاحصائية، يتّضح لنا أن معيار الشهادة، قد لعب دورا مهما في تحديد المعايير التي قد يتم على اساسها اختيار وادماج المتعاقد ، وهذا ما عنينه بمفهوم الاستقطاب و عملية المفاضلة والانتقاء بين الشباب المتقدمين بعقد ، حيث أن متطلبات برنامج الادماج المهني تكمن في وجود شاب متخرج من المنظومة التكوينية ، فبالرجوع إلى طبيعة المؤسسة التي تم دمج هذه الفئة بها، فإننا نلاحظ انها ذات طابع عمومي اقتصادي ومن شروط هذه المؤسسات في عملية الادماج هو تلاؤم الشهادة بالمنصب المشغول .

الجدول رقم (06) يبين نوع الشهادة المحصل عليها وتلاؤم الوظيفة .

نوع الشهادة / تلاؤم الوظيفة	تقني سامي	ليسانس ل م د	ليسانس كلاسيك	المجموع
نعم	6 ٪75	24 ٪86	9 ٪75	39 ٪81
لا	2 ٪25	4 ٪14	3 ٪25	9 ٪19
المجموع	8 ٪100	28 ٪100	12 ٪100	48 ٪100

وفي هذا الجدول، يميل الاتجاه العام إلى الشباب المجيبين بوجود تلاؤم بين وظيفتهم والشهادة المتحصل بنسبة دلالة قدرها 81 ٪ مدعمة عند فئة حاملي شهادة ليسانس ل م د بنسبة86 ٪وفئتي ليسانس كلاسيك وتقني سامي بنسبة 75٪ لكل منهما . أما في الجهة المقابلة نجد المجيبين بعدم وجود تلاؤم الوظيفة مع شهاداتهم أي المجيبين بـ لا ، فقد مثّلوا بنسبة 19٪وهي مدعمة بنسبة 25٪ عند فئتي حاملي شهادة تقني سامي و شهادة ليسانس كلاسيك لكل منهما و نسبة 14٪ عند فئة ليسانس ل م د.

انطلاقا من هذه المعطيات، يتأكّد لدينا أن جهاز الادماج المهني ضمن عقود ادماج حاملي الشهادات، قد حقق تلاؤم بين المناصب والشهادة المتحصل عليها عند الخريجين وذلك بنسبة 81 ٪، و هذا راجع للأسس والمعايير المتبعة، وخاصة في المؤسسات الاقتصادية في سياسة تشغيل الموارد البشرية باعتماد وظيفتي الاستقطاب والاختيار، ومن هنا يتّضح بأن عامل الشهادة وعامل الخبرة، يعتبران مؤهلان ضروريان يجب توفرهما من أجل دمج مخرجات المنظومة التكوينية في الحياة العملية .

- **خاتمة:**

خلاصة القول ، فإن الجزائر كغيرها من الدول العربية تعاني العديد من المشكلات الاجتماعية، وخاصة في أوساط الشباب عموما وحاملي شهادات المنظومة التكوينية على وجه الخصوص، ومن أبرزها مشكلة الادماج المهني؛ هذه الظاهرة التي تتطلب دراسة ومواجهة واقعية من طرف القائمين على القطاعين ا لقطاع التربوي التكويني والقطاع الاقتصادي الانتاجي، لأنهما يعتبران من أهم المقومات التي تقف عليهما عملية الادماج المهني، فالأول يمكّن الشباب من الحصول على الشهادة والتخصص واللذان يتعتبران معياران ضروريا يعتمدان في عملية الاستقطاب والاختيار. وأما الثاني فيمنح لهذه الشريحة الشبانية عمل يكفل لها حياة كريمة يسودها الأمان والاستقرار في جميع ميادين الحياة، وبالتالي يمكن تحقيق مايسمى بالتنمية المستدامة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: العربية

01- بوفلجة عياث ، التربية والتكوين بالجزائر ، الكتاب الثالث، ط 1،دار الغرب ، الجزائر ، 2002,

02- بوبكر هشام ،إستراتيجية التكوين ومتطلبات الشغل ، دراسة ميدانية بالمعهد الوطني المتخصص في التكوين المهني ، سكيكدة، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجيستر، تخصص :تنمية الموارد البشرية، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، كليةالعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، السنة الجامعية 2007,/2006

03- سويداني عبدالرحمان، أثر برنامج إدماج حاملي الشهادات الجامعية في سوق العمل ، مذكرة لنيل متطلبات شهادة ماجستير، دراسة ميدانية بالوكالة الولائية للتشغيل بولاية أدرار نموذجاً ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية –جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان ، 2016 .

ثانياً: الأجنبية:

Djamel Feroukhi , la problématique de l’adéquation 01) formation emploi, Alger) CREAD , 2005 .

02)JOURNAL OFFICIEL , N 26, 30 JUIN, 1981 .

)www.mesrs.dz/-default_sp?

مجلة روافد للبحوث و الدراسات / مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة غرداية / العدد الخامس (ديسمبر 2018 م)
E: 2588-1787 / P: 2543 - 3563
/http://rawafid.univ-ghardaia.dz

دور الاتصال الشخصي الأسري في عملية التنشئة الاجتماعية

د. عبد الرحمان بابا واعمر
جامعة غرداية – غرداية
ba.abderrahmane@yahoo.fr

ملخص

تبحث هذه الورقة البحثية في واحد من أهم أنواع الاتصال: وهو الاتصال الشخصي الأسري باعتباره عملية اجتماعية تربوية تساهم بشكل أساسي في عملية التنشئة الاجتماعية خاصة مع ملاحظة تراجعه دوره بتعقد الحياة العصرية واحتلال مؤسسات اجتماعية أخرى لهذا الدور كالشارع، ووسائل الاتصال الحديثة بشكل خاص. تأتي أهمية الدراسة بتبيان اهمية الاتصال الشخصي ومميزاته مقارنة بأنواع الاتصال الأخرى، الذاتي، الجمعي، الوسطي، والجماهيري وميادين بروزه. مركزين عليه في مستوى الأسرة والمجتمع باعتباره مساهما في تربية الأجيال. والتحذير في الأخير من الآثار الناجمة عن نقصه أو انحرافه على سلوكيات الفرد والجماعة.

الكلمات المفتاحية: الاتصال ؛ الاتصال الشخصي؛ الاتصال الأسري ؛ التنشئة الاجتماعية.

The Role Of Family Communication in Social Education

Abstract:

Family communication is considered as one of the most important types in the process of social education. However, it has started to retreat in recent years because of the complescity of modern life and the occupation of other social institutions for this role ;particularly, the street and modern means of communication. This paper sheds light on the importance of personal communication and its characteristics as compared with other type of communication (sulyective communication, collective communication, and mass communication). We emphasise on its role at the level of the family and the society, and the negative effects that its lack many have on the morality of the individuals .

Key words : Personal communication , Family communication, Social education, Communication**.**

مقدمة:

إن الحديث عن الاتصال الشخصي في أي مجتمع يقودنا إلى معرفة الخصائص الاتصالية وبنية التفكير الثقافي وطرق التأثير في هذا المجتمع وذلك من خلال الدراسات الاتصالية التي أنجزت في المجال، غير أن الباحثين والدراسات المنجزة في حقل الاتصال والمجتمع اهتمت كثيرا بالأنواع الأخرى من الاتصال، كالاتصال الجماهيري وتأثيره على الجمهور. رغم أن قياس التأثير في هذه الدراسات يتطلب جهدا كبيرا، والوصول إلى المعرفة الكاملة تشوبها الكثير من الشوائب، وبالمقابل نقص الدراسات التي تحاول الولوج إلى الفعل الاجتماعي لدى الفرد من مختلف نواحيه كتلك المتعلقة بالمعرفة الاتصالية والاجتماعية والثقافية وغيرها.[1] فالأزمة تكمن كما يقول الباحث – رضوان بوجمعة – في عدم معرفتنا بالآخر بكل ما يحمله هذا الجهل من عدم معرفة مدونة الآخر (Code) على حد ما أكده ستيوارت هال أحد رواد الدراسات الثقافية في مجال الأبحاث الاتصالية والذي جاء بمفهومي التدوين En coding وفك المدونة Decoding.

وباعتبار الأسرة أهم فضاء لمعرفة وفهم مدونة الآخر بفضل التفاعل بين أعضائها تأتي هذه الورقة البحثية التي تسعى إلى معرفة أهمية الاتصال داخل الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية من خلال سؤال جوهري: إلى أي مدى يساهم الاتصال الشخصي الأسري في عملية التنشئة الاجتماعية؟

أولا: الاتصال الشخصي، أهميته وخصائصه

1- تعريف الاتصال: تعدد زوايا التطرق إلى موضوع الاتصال بتعدد مجالات العلوم الإنسانية، غير أنها ركزت في مجملها على أنه عملية لنقل وتبادل المعلومات. فأقدم هذه التعاريف هي التي ركزت على الاشتقاق اللغوي لكلمة Communicare اللاتينية، بمعنى يشيع أو يجعل الشيء شائعا، فالاتصال يتحقق

1- رضوان بوجمعة، **أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل– محاولة تحليل انتربولوجي–**، رسالة دكتوراه دولة في علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر، 2007، ص 13.

عندما تتوفر مشاركة عدد من الأفراد في شيء معين، فبالاتصال نحاول أن نشترك في المعلومات والأفكار والاتجاهات.[1]

وهذا التعريف – بالإضافة إلى تعاريف أخرى – تأثرت إلى حد كبير بالاشتقاق اللغوي، فاقتصرت على أن الاتصال هو نقل للمعلومات من فرد إلى آخر لغرض الانتشار والشيوع، وبهذا يقترب كثيرا إلى تعريف الإعلام الذي يهدف أساسا إلى نقل المعلومات من المرسل إلى المستقبل.

غير أن علم النفس ساهم في تعريف الاتصال من خلال العلاقة بين المنبه والاستجابة التي تشير إلى الاتصال الهادف أو المقصود، ومن هذه التعاريف، تعريف كارل هوفلاند حيث يقول: "الاتصال هو العملية التي يقوم بمقتضاها الفرد القائم بالاتصال بإرسال مثير عادة ما يكون لفظيا لكي يعدل من سلوك الآخرين".[2] وكذلك تقرير دافيد بيرلو بأن: " السلوك الاتصالي يهدف إلى الحصول على استجابة معينة من شخص ما أو أن الاتصال هو الاستجابة المميزة للفرد نحو مثير معين".[3] و هذان التعريفان يشيران إلى ضرورة حدوث الاستجابة من الفرد المتلقي سواء كانت مستهدفة، ويستشعرها المرسل أو القائم بالاتصال في شكل تغذية مرتدة أو راجعة Feed Back أو ما يسمى بـ " رجع الصدى"، وهذا ما أدى بوصف الاتصال بأنه عملية تفاعل Interaction بين المرسل والمستقبل.

وبذلك يمكن القول أن علم النفس ساهم في تفسير العلاقة الدائرية في الاتصال بديلا عن العلاقة الخطية Linear التي رسمتها التعريفات الأولى.

وقد ساهم أيضا علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي في التأكيد على التفاعل الاجتماعي في عملية الاتصال، وكذلك تأثيرات السياق الاجتماعي على هذه العملية

1- محمد عبد الحميد، **نظريات الإعلام واتجاهات التأثير**، عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الثانية، 2000، ص18.

2- حسن عماد مكاوي، **الإعلام ومعالجة الأزمات**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، 2005، ص17.

3- محمد عبد الحميد، مرجع سبق ذكره، ص 18.

فيعرفه جورج جربنر:" هو صورة من صور التفاعل الاجتماعي، وهو العملية التي يتفاعل بها أطراف هذه العملية من خلال الرسائل في سياقات اجتماعية معينة".[1]

كما يذهب بعض الباحثين إلى تعريف أوسع للاتصال على أنه " تبادل الإشارات البصرية والحركية والإيماءات والمحاكاة والتعبير و الوقفات القصيرة أثناء الكلام والنظرات".[2]

حيث تقوم هذه الرموز بدور المنبهات والمثيرات التي يرسلها المرسل لتحقيق استجابات معينة في المستقبل تتفق مع ما يستهدفه المرسل من أهداف، وهو ما يتفق مع منظور علم النفس في أن عملية الاتصال تشير إلى مثير واستجابة يعملان في علاقة دائرية. كما أن عملية الاتصال لا تقتصر على الأفراد فقط ولكنها تمتد إلى الجماعات والمجتمعات والثقافات من خلال وسائل الاتصال المتعددة والمتطورة، وهو ما يشير إلى الأشكال المتعددة للاتصال. غير أن الدراسات الاتصالية كانت غزيرة في بعض الأشكال على حساب الأشكال الأخرى رغم أهميتها، فمثلا نجد التركيز الكبير للدارسين للظاهرة الاتصالية على محور الآثار التي من الممكن أن تتركها وسائل الاتصال الجماهيرية على مختلف المؤسسات الاجتماعية وعلى الأفراد، رغم صعوبة قياس الأثر ومصدره. وقد ازدادت هذه الصعوبات المعرفية – كما يقول الباحث رضوان بوجمعة – على إهمال الدارسين للظاهرة الاتصالية لمحور الاتصال بين الأشخاص والاتصال الثقافي وهذا بالرغم من إقرار بعض الباحثين بأن ما تقوم به وسائل الاتصال الجماهيرية لا يعتبر إلا جزءا بسيطا مما يحدث في المجتمع خاصة وان وسائل الاتصال الجماهيرية لا يمكن أن ترقى لمستوى الاتصال الإنساني المباشر بالمعاني الاجتماعية والثقافية، لأن الوسيلة على سبيل المثال تجهل وفي كثير من الأحيان ثقافة الإنسان الذي تريد أن تتحدث إليه، كما أنها من الممكن أن تتجه في نحو اختصار فهم السلوك الإنساني في مجموعة من الدوافع والغرائز منها إنتاج بعض

1- المرجع السابق، ص 18.

2- عبد الرحمن محمد العيسوي، **تفاعل الجماعات البشرية**، الدار الجامعية، جامعة الإسكندرية، مصر، 2006، ص98.

الصور والرسائل التي تنتج بدورها مجموعة من ردود الأفعال وفق المخطط البافلوفي.[1]

وهذه الورقة تهدف أساسا إلى إبراز هذه الوظيفة -التي غفل عنها الكثير من الباحثين-للاتصال الإنساني المباشر (الاتصال الشخصي) الذي يساهم بشكل واسع في نقل الثقافة بين الأجيال. وهو ما نحاول إبرازه في بعض فصول هذه الدراسة.

2- مفهوم الاتصال الشخصي:

إن الاهتمام بدراسة الاتصال الشخصي قد ظهر في أربعينيات القرن العشرين حيث أصبح يمثل موضوعا حيويا وكان جيرالد ميلر Gerald R.Miller من أوائل الباحثين الذين اهتموا بدراسته من الناحيتين التربوية والعلمية، ثم تحول الاهتمام من الإطار الأكاديمي للاتصال إلى الحوارات الخاصة داخل الجماعات الصغيرة مع التركيز على الهدف من الاتصال. وقد تضمنت اهتمامات الباحثين على العلاقة الاتصالية بينهم وبين معارفهم، أو العلاقة الاتصالية مع أصدقائهم المقربين وشركائهم ومن ثم بدأ الاهتمام بالأسس التطبيقية لقياس تلك الأشكال الاتصالية القائمة على التفاعل.

ومنذ ذلك الوقت تأكد أن للاتصال الشخصي دور كبير داخل الجماعات التي ينتمي إليها الفرد. يتمثل في أن هذا الأخير يحصل على معلوماته ومعارفه من جماعته التي ينتمي إليها ومن قادة الرأي في جماعته

كما ظهر الاهتمام به من خلال الجامعات العلمية والمهنية في لدراسة علوم الاتصال على تحديد مجالات معينة للدراسة، مما أوضح الاهتمام المتصاعد بتعلم ودراسة عمليات الاتصال الشخصي وأيضا ظهر الاهتمام به من خلال البرامج الخاصة بالمؤتمرات واللقاءات العلمية التي تتناول ظواهر الاتصال الشخصي، ومن أمثلة ذلك بعض البرامج الترفيهية الخاصة بالاتصال الشخصي بالاتفاق مع الجمعية

1- رضوان بوجمعة، مرجع سبق ذكره، ص13.

العامة للاتصال والذي عقد في برلين الغربية سنة 1976. وتمت في هذا البرنامج مناقشة كثير من البحوث والأوراق التي تتحدث عن الاتصال الشخصي وعملياته. مما يؤكد أنه أصبح يمثل ركنا أساسيا في الدراسات الجامعية، إلى جانب ما تم عقده من لقاءات وحلقات دراسية مدعما من جمعية الاتصال اللفظي حيث عقد لقاء بجامعة ميتشجان Michigan State Un، والآخر تم عقده في جامعة نورث ويسترون في السبعينات تم فيه طرح بعض المجالات النظرية المبتكرة عن المفاهيم في مجال الاتصال الشخصي على يد برجر Berger و ميلر Miller و ستينبرج Steniberg في 1975.[1]

أ- تعريف الاتصال الشخصي:

يشير الاتصال الشخصي إلى الاتصال المباشر الذي يتم بين عدد محدود من الأفراد، ويعرفه بعض الباحثين بأنه " اتصال وجها لوجه وتفاعل الأفراد مع بعضهم البعض، وهو أقوى وسائل الاتصال في تغيير اتجاهات الناس ومفاهيمهم."[2]

ويعرف جيرالد ميلر الاتصال الشخصي Interpersonal Contact على أساس سياق الموقف الذي يحدث فيه الاتصال، فيعرفه بأنه "جلسة تعقد من عدد نسبيا من القائمين بالاتصال (غالبا ما يكون شخصين)، ويتوافر فيه اتصال الوجه للوجه والحد الأقصى من قنوات الإحساس مع وجود الفرص المتاحة لرجع الصدى السريع."[3]

وأما وليامسن وسميت " L.Keith Williom and R.Smith" فقدما تعريفا للاتصال الشخصي من خلال تحليل عناصر المصطلح فذكرا أن "Inter" وتعني "بين". إلى أن الاتصال يحدث بين الناس عادة ولكي يتضح المعنى يتطلب هذا موقفا اجتماعيا أو سياقا والوحدة الاجتماعية المصغرة هي فردين "Dyad" أو

1- المرجع السابق، ص 31، نقلا عن
Markl Knapp, and Gerald R. Miller, **Hand book of interpersonal communication sage publications**, Beverly, London new delhi, 1985, p8.

2- Dr Zaki badawi, Dictionary of mass communication, English, French, Arabic, Dar El Kards, El moski, Caire, 1978, p 120.

3- فؤاد عبد المنعم البكري، مرجع سبق ذكره، ص 32.

الزوجين، وكلمة "Person" مشتقة من الكلمة اللاتينية "Persona" وتعني قناع أو تنكر Mask، وتشير أيضا في النظريات الاجتماعية المعاصرة إلى مفهوم "الدور"، سواء كان هذا الأخير اجتماعيا أو نفسيا، وهو الدور الذي يقوم به الناس عادة في أي موقف من المواقف الاجتماعية. وتعني كلمة الدور في نظريات التفاعل الرمزي الدور الاجتماعي المرسوم أي مجموعة السلوكيات الخاصة والمرتبطة بمجموعة من الوظائف الخاصة داخل المجتمع. فبعد تحليل الاتصال الشخصي لشخص ما فنحن نحلل الدور الاتصالي لشخص له أدوار سيكولوجية وأدوار اجتماعية، فالمعاني تعتمد على الشخص Person والأدوار الخاصة التي يقوم بها الناس خلال مواقف معينة، والاتصال الشخصي بهذا يمكن النظر إليه على أنه اتصال بين الأدوار.[1]

3- أهمية الاتصال الشخصي:

يعتبر الكثير من الباحثين في حقل الإعلام والاتصال أن الاتصال الشخصي من أقوى السبل في توصيل الرسالة الاتصالية إلى المستقبل وإقناعه بمحتواها، وذلك بغض النظر عن الجهات القائمة بالعملية الاتصالية والهدف من رسالتها بين الانشغالات التجارية المرتبطة بالسوق بمفهومها الواسع والانشغالات المعرفية والعلمية المتعلقة بتطوير المعرفة، خاصة في خضم التطور الواسع والسريع الذي تشهده الرسائل الحديثة لتكنولوجيا الاتصال ومن هنا تزداد أهمية معرفة ثقافة الإنسان في استعمال هذه التكنولوجيات.

كما أن مسألة الإقناع بمحتوى الرسائل الاتصالية يطرحها الكثير من الباحثين خاصة في ظل تطور واختلاف ثقافة الشعوب، فيقول الباحث Warner J.severin أن "أهمية الاتصال تتجلى عندما يثار التساؤل عن أكثر الوسائل الاتصالية تأثيرا في إقناع الجمهور، فالإقناع مسألة مهمة وأساسية في دراسات الاتصال بوجه عام. فهو يمثل الجزء الأكبر و ألأهم في دراسة الاتصال المباشر وذلك لوجود العائلة والأصدقاء والمقربين.

1- المرجع السابق، ص 33.

وتبدو أهميته عند نشر الأفكار المستحدثة حيث يؤكد "أفريت م.روجرز E.M.Rogers " على أهميته في مرحلة التقييم، حيث يتكون لدى الفرد الحكم العقلي على قيمة الفكرة المستحدثة وذلك لأسباب أهمها:[1]

- يسمح بتبادل للأفكار من ناحيتين، والشخص الواقع عليه الاتصال قد يحظى من صاحب الاتصال بمعلومات إضافية أو بتمحيص لهذه المعلومات التي تدور حول الفكرة المستحدثة.

- يؤثر على السلوك، كما أنه ينقل الأفكار، وفي معظم الحالات يكون للأفراد الذين يتجاوب كل منهم مع الآخر قيم واتجاهات متشابهة، والبعض منهم يجوز أن يكون جماعة إسناد للبعض الآخر.

- سهولة مصادر المعلومات وإمكانية تصديق ما تأتي به من معلومات، حيث أنه عندما يكون المصدر معروفا ومحسوسا فإنه يكون جديرا بالثقة.

- قد يكون للاتصال الشخصي فاعلية أكبر في مواجهة أي معارضة أو كره للفكرة المستحدثة من الشخص الواقع عليه الاتصال، فالمصادر غير الشخصية للمعلومات يمكن أن تكون في العادة أكبر قابلية للتجاهل والتحاشي من طرف الإنسان عن المصادر الشخصية.[2]

- القدرة على التفسير والمناقشة والإقناع وتميزه بدقة الأفكار والموضوعات التي تكون محورا أساسيا لموضوعات الاتصال الشخصي وتعبيرها عن واقع المجتمع المحلي.

بالإضافة إلى ما سبق فإن الاتصال الشخصي يحقق للأفراد الموافقة والرضا عن النفس، حيث قد يعطي الفرد لنفسه الضوء الأخضر في بعض الأوقات لبعض تصرفاته عندما يرى الآخرون الذين يتعاملون معه يقومون بالأفعال نفسها، حيث يزود الاتصال الشخصي الآخرين بالثقة ويحقق نوعا من القبول المباشر للتصرفات

1- المرجع السابق، ص 39.

2- أفريت م روجرز، ترجمة، سامي ناشد، **الأفكار المستحدثة وكيف تنشر**، عالم الكتب، جامعة القاهرة، ص 134.

والأفعال عندما يرى الشخص أن الآخر يمر بالأخطاء والمشكلات نفسها التي يمر بها، فالأمر المهم هو أن هناك أشخاص يعيشون حياة مشابهة لحياتنا ويمرون بتجارب تشبه تجاربنا.

4- خصائص الاتصال الشخصي:

يتميز الاتصال الشخصي بعدة خصائص نذكر منها:

- الإطار المرجعي: من أهم مزايا الاتصال الشخصي (المباشر) أن الأشخاص الذين يتفاعلون أثناء العملية الاتصالية غالبا ما ينتمون إلى نفس الطاقم من القيم والاتجاهات، ومن هنا فإن كل واحد منهم يكون بمثابة شخص مرجعي بالنسبة للآخر.[1]

- التلقائية: بحيث تتم بعض أنواع الاتصالات الشخصية بشكل عفوي وغير مقصود من خلال شبكة من العلاقات الشخصية وغير الرسمية، ويرى "برنارهنسي Bernard Hennessy" أن الاتصال الشخصي الذي يتميز بالعفوية والتلقائية لا تنظمه قواعد ولا إجراءات، ويتم بشكل غير مدبر من خلال الاتصالات اليومية للأفراد غير الرسميين وأن محيط العلاقات بين الأشخاص محيط غير هيكلي.[2]

- توفر إمكانية رجع الصدى: يتميز الاتصال الشخصي بتوفر إمكانية رجع الصدى أو التغذية المرتدة "Feed Back" فيمكن الحصول على ردود أفعال التلقين لرسائل المرسل أو المصدر فورا وفي الحال،عكس الاتصال الجماهيري مثلا الذي يتطلب إجراء بحوث خاصة لمعرفة الأثر أو التوصل لردود أفعال الجمهور، حيث يصعب الوصول إلى الحقيقة والصورة المعبرة بالسرعة الكافية وفي الوقت المناسب.ويؤكد الباحثون على أهمية التغذية المرتدة Feed Back في الاتصال الشخصي ويطلقون عليها التغذية الاسترجاعية الفورية، ويؤكد بعض الباحثين أننا عن طريقه يتاح لنا الفرصة في تكوين أو إعادة تكوين الاتصال بناء على الأشخاص

1- محمود عودة، **أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي**، مكتبة رأفت سعيد، القاهرة، مصر، 1970، ص 112.

2- المرجع السابق، ص 37.

الذين نتحدث إليهم، حيث يمكننا أن نرى ونسمع ونلمس الأشخاص الآخرين من حولنا ونتأثر بهم.[1]

وتعد هذه الخاصية من أهم مزايا الاتصال الشخصي حيث يمكن للمرسل أن يدرك ما مدى فهم رسالته من طرف المتلقي. وبالتالي يمكن إعادة صياغتها وتكرارها أو تكرار أجزاء منها، وذلك عن طريق رجع الصدى السريع الذي يجيب على سؤال المرسل "كيف يبدو أدائي".[2] ومن هنا يستطيع المرسل أن يغير اتجاه المناقشة إذا لقي مقاومة من المتلقين حتى يتماشى معهم ويستطيع التأثير فيهم، وبذلك يمكن للاتصال الشخصي تحسين السلوك حسب الظروف المتاحة والمصداقية والثقة المتبادلة بين المرسل والمستقبل.

- انخفاض التكلفة: إن تكلفة الاتصال الشخصي منخفضة مقارنة بوسائل الاتصال الأخرى، فهناك إمكانية توجيه الرسائل إلى الجمهور المستهدف مباشرة، ويتيح ذلك للمرسل مخاطبة كل جمهور بالغة التي يفهمها بجانب سهولة تقدير حجم التعرض للرسالة.[3]

- تحقيق الألفة وتخفيف العزلة: يساعد الاتصال الشخصي على تحقيق الألفة والتعارف بين الأشخاص، ويعد محركا للكائنات الحية بصفة عامة للتغلب على العزلة أو الشعور بالوحدة من خلال إقامة علاقات مع الآخرين حيث تقوم الأفكار والمعاني بتوطيد وتحسين العلاقات بين الناس.

- كما يتميز الاتصال الشخصي بإتاحة الفرصة للوصول إلى الأفراد داخل الجماعات، ويعتقد تافجيل وفريزر Fraser and Tafgel أن الاتصال الشخصي

1- فؤاد عبد المنعم البكري، مرجع سبق ذكره، ص 37.

2- جون ميرل، ورالف لوينشاين، ترجمة، سعيد الحارثي، **الإعلام وسيلة ورسالة**، دار المعرفة، الكويت، 1990، ص31.

3- علي عجوة، **الأسس العلمية للعلاقات العامة**، عالم الكتب، 1978، ص 170.

يتيح الفرصة للتفاعل بين الأفراد في الجماعات Group enter، وبذلك يعبر عن عملية التفاعل الاجتماعي من خلال التبادل المتوازن للمعلومات والخبرات.[1]

وتؤيد بحوث الاتصال الحقيقة القائلة أن للاتصال الشخصي تأثيرا قويا نحو التغيير في عملية اتخاذ القرار أكثر من تأثير وسائل الإعلام، وذلك عند مقارنة وتواجد التأثيرين معا، ويعتبر الاتصال الشخصي وسيلة إقناع أكثر فاعلية من وسائل الاتصال الأخرى، حيث بينت ذلك دراسة لازارسفيلد عن السلوك الانتخابي والتي انتهت فيها إلى خمس خصائص للاتصال الشخصي، تجعله أكثر فاعلية وهي:[2]

- أن الاتصال الشخصي يصعب تفاديه، حيث يقل توقع الناس لمحتواه.
- أن الكثيرين يميلون إلى الثقة في الأشخاص الذين يعرفونهم ويحترمونهم أكثر من ثقتهم بوسائل الإعلام.
- تنسحب الثقة أيضا على أهمية المحتوى الذي يقال، حيث يقبل الناس ما يقال بثقة أكبر في الاتصال الشخصي.
- السهولة والتفهم التي تسمح بتغيير المناقشة نتيجة لردود الأفعال التي تحدث في الاتصال الشخصي.
- الإقناع الذي يتوفر نتيجة للثقة في المرسل.

وعلى ضوء الاعتبارات السابقة، استخلص الباحثون من دراساتهم أن التأثير يكون في الاتصال الشخصي أقوى من التأثير في وسائل الاتصال الأخرى من صحافة مكتوبة، راديو، كتب، مجلات... [3]

ثانيا: الاتصال الأسري كنوع من أنواع الاتصال الشخصي:

1- فؤاد عبد المنعم البكري، مرجع سبق ذكره، نقلا عن مختار محمد فؤاد أبو الخير، **الاتصال الشخصي بين التلقين وخلق العقل الواعي لتنمية الإنسان بالريف**، مجلة بحوث الاتصال، عدد ديسمبر 1992، كلية الإعلام، ص 36.

2- فؤاد عبد المنعم البكري، مرجع سبق ذكره، ص 40.

3- انشراح الشال، **مدخل إلى علم الاجتماع الإعلامي**، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة،1985، ص 136.

تعد الأسرة الوحدة الاجتماعية القاعدية للمجتمع والتي تقوم على أساس العلاقات الزوجية لتلبية حاجات فطرية والقيام بوظائف شخصية واجتماعية، كما يتجسد فيها كل معاني التفاعل المباشر (وجها لوجه) والتواصل بين أفرادها. فالعلاقات الأسرية تقوم على التبادلات والتأثيرات المتبادلة التي تساعد على التماسك والتعاون، وهذا التبادل في التفاعل يتمثل في الاتصال الديناميكي والمشاركة.

ويعود الفضل في تحليل الاتصال الأسري والذي يتم بين أفراد قادرين على إقامة علاقات حقيقية سعيا لهدف مشترك إلى المدرسة الكاليفورنية من طرف كل من "بالو ألتو Palo Alto" و"جورجوري بتسون Gergory Bateson" و"جاري هال Jary Haley"، كما توصل هؤلاء الباحثون إلى توسيع النظرية لكل سلوك اتصالي في وسط عادي مستقر والمتمثل في جماعة الأسرة ، كونها تمثل الحياة التي تدوم فيها الحياة لفترة زمنية طويلة.[1]

كما يمكن اعتبار الأسرة "كنظام"، أي مجموعة مركزة من أفعال وردود الأفعال المرتبطة بالمحيط الاجتماعي، الاقتصادي والثقافي الوطني والعالمي...الخ. والمرتبطة أساسا بمؤثرات معينة فهي عبارة عن تنظيم ذاتي Auto Organisation يتضمن في حدوده نوع من استقلالية التنظيم. فنظام كهذا يكون في نفس الوقت بنائي Structured و وظيفي Functional، ذلك أن الأسرة مبنية على أساس اختلاف الجنس والأجيال، فهي غير متجانسة بحيث يمكن أن تضمن الوظائف المختلفة للحاضر اليومي والتحضير للمستقبل،[2] إضافة إلى أن الأسرة تمثل شبكة من العلاقات العاطفية والتفاعلات المباشرة بين أفرادها مما يؤدي إلى التآلف والتوافق والارتباط. وتتميز استمرارية التفاعلات داخل الأسرة بعدة خصائص هي:[3]

1- Y vonne Castellan, La famille du groupe à la cellule, Edition sainte tienne (Loire), France, 1980,p 23.

2- Y vonne Castellan, Psychologie de la famille, Edition Privot,Toulouse, Cedex, 1993, p107.

3 Ibid, pp 107-108 .

- الكلية: Totality والتي بفضلها لا يكون أي فرد مستقل عن الآخرين، مؤسسين معا تشكيلة خاصة.

- الجوانب المتعددة للعلاقات: فهي ليست متسلسلة ولكنها مترابطة فيما بينها.

- رجع الصدى: Feed Back الخاص بالتفاعلات التي من خلالها يستطيع كل فرد أن يكيف سلوكه وذلك في حدود استقرار النظام.

- الوضوح: Obvious في مختلف وظائف الأسرة وبالتالي تبعية عناصر النظام، فإذا تغير عنصر ما بفعل مؤثر خارجي تتغير كل العناصر الأخرى وبالتالي تحقيق التوازن ورجع الصدى، وهذه الأخيرة تؤثر بدورها في العنصر الأول المحرك للتغير والذي يملك رد فعل، فإذا مرض أحد أفراد الأسرة مثلا، أو تحصل على مكافأة، أو نجح في امتحان فإن كل أعضاء الجماعة تستجيب لهذه الوضعية الجديدة وكل حركة من هذه الحركات تقدم لكل فرد داخل جماعة الأسرة معلومات ضمنية (implicit) أو صريحة (explicit) وهذا يمثل اتصالا أو تبادلا. ففي إطار الأسرة لا نستطيع أن لا نتصل، فالصمت أو الانعزال في حد ذاتها عبارة عن جواب وتعبير عن حال معاش.

ويتحقق الاتصال الأسري عندما يكون كل فرد قادرا على مقابلة إدراكاته مع الواقع وذلك لمعرفة مدى توافقها مع الوضعية كما هو في الواقع أو بالمعنى الذي يقصدها الشخص الآخر، وهذا ما يحدث اتصالا مباشرا بين الأفراد في نموذج دائري (مرسل- رسالة- متلقي- رجع الصدى). بعيدا عن النموذج الخطي الذي يستوجب وجود وسيط بين المرسل والمستقبل متمثلا في وسيلة الاتصال. وبالتالي فالاتصال في نموذجه الأول (دائري) عبارة عن تفاعل حقيقي وذلك أن الفرد -داخل الأسرة- خلال العملية الاتصالية ومهما كان دوره مرسلا كان أو مستقبلا فإنه يجسد تفاعلا مع بقية أفراد أسرته، وهذا ما يؤدي إلى خلق جو أسري مستقر من خلال العلاقة العاطفية التي تجمع أفراد الأسرة الواحدة، على خلاف الجماعات الصغيرة الأخرى.[1] ويدعم هذا القول التحليل الذي ذهب إليه الباحث "بال Bales" ومساعديه

1 Y vonne Castellan, **La famille du groupe à la cellule**, Op., p 24.

للجماعات الصغيرة المتمركزة حول "العمل المؤقت" بأن المعلومات المتبادلة وظيفيا والملائمة للعمل لم تكن كثيفة في طبيعتها مثل ما هو الشأن في الاتصالات العاطفية، وهذا ما قد لا يتحقق في جميع أنواع الجماعات فكل اتصال تتبعه استجابة مما يؤدي إلى إتمام العمل المشترك. ومن خلال هذا التحليل يمكن القول أن الاتصال في الأوساط العاطفية (الأسرة، بين الأزواج،...) يدخل ضمنه أي سلوك يصدره أحد أطراف العملية التفاعلية، فكل سلوك له قيمة اتصالية سواء كان عن طريق الكلام أو الصمت أو الإيماءات أو تغيرات الوجه، أو الإشارات... وكل السلوكيات غير اللفظية، وبالتالي لا يمكن أن لا نتصل في إطار الأسرة.

وهذا ما أكّده الدكتور"نوفل نوفل" في محاضرة ألقاها بجامعة تشرين بعنوان فعالية الاتصال الأسري وتأثيره على الأطفال، "[1] في عملية التواصل نستخدم كثيرا الرموز والإشارات والحركات والكلمات وغير ذلك، وبناء على ذلك يحدو بنا القول إننا كلما أحسنا انتقاء تلك الأساليب والألفاظ والحركات والإشارات أثناء عملية التواصل أمام أطفالنا كلما كان ذلك مدعاة لنتائج إيجابية تنعكس على تصرفات وسلوك الأطفال... والاتصال(التواصل) في حد ذاته عملية تعامل وعن طريقها يتم تأمين حاجاتنا والوصول لأهدافنا والتعبير عن آرائنا واتجاهاتنا بالإضافة إلى أنها سلوك اجتماعي يقصد به مجموعة من العوامل الاجتماعية التي تؤثر بهذا السلوك فالاتصال مصدر نمو للفرد في جميع الاتجاهات...".

فالتواصل إذن هو الأداة الرئيسية للعلاقات بين الأفراد، وكلما كانت عملية الاتصال قائمة على أسس سليمة كانت نتائجها جيدة، وأكثر ما يعلق عليه الآمال في عملية الاتصال هو عملية التواصل الإيجابي في الأسرة، خاصة بين الزوجين من الجهة الأولى وبين الزوجين وأولادهما من الجهة الثانية وعملية التواصل بين الإخوة بعضهم ببعض، فالطفل عن طريق عملية الاتصال يسعى لتقليد والديه وإخوته. لذا من

1- مهى الشريف، ملخص حول محاضرة الدكتور نوفل نوفل بعنوان، **الاتصال الأسري وتأثيره على الطفل**، الموقع الإلكتروني ليومية الوحدة، اللاذقية، يوم الاثنين 19 فبراير2007. ب ص. تاريخ الاضطلاع، 08-11-2008.

الضروري أن تكون النشاطات والأفعال التي يصدرها أفراد الأسرة ذات سمات إيجابية يفرضها المجتمع ويدعو إليها.

ويقول علماء التربية [1] أن الطفل السعيد هو الطفل الذي يعبر عن مشاعره عندما يشعر بها، ولا يتركها تتراكم بحيث تظهر بعد ذلك في تعابير مدمرة.

ويقولون أيضا أن على الوالدين أن يصادقا ابنهما المراهق حتى يضمنوا له ولأنفسهم المرور الآمن بتلك المرحلة العمرية المحرجة. ومؤكد أن البحث في علوم التربية بشكل أعمق سيرسخ -كما تقول هند فايز أبو العين – لضرورة وجود قنوات عميقة للاتصال بين أفراد الأسرة الواحدة باعتبارها المنظومة الاجتماعية البؤرية، وهذا يعني أن المشاكل السلوكية الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع يمكن أن ترد بشكل أو بآخر إلى ظاهرة الصمت والعزلة داخل البيوت، فجنوح الأبناء المراهقين وانعزالهم عن الأبوين راجع كما تقول الباحثة إلى شعورهم بالاختلاف التام وعدم القدرة على الانتماء لكيان الأسرة، فتظهر عليهم عوارض الصمت والانغلاق عن الآخرين وعدم الاستجابة لأية مؤثرات قد يحاول الأبوان بثها فيهم والبحث في أسباب الوصول إلى هذه الحالة نجدها لا تبدأ في سن المراهقة بل في طفولة ذلك المنعزل فالسنوات السبع الأولى هي التي تؤسس لقدرات الاتصال عند هذا الإنسان فيجب أن يكون حرص الأبوين على بناء شخصية تتقبل الأخذ وتقابله بالتعبير عما فيها، وهذا لا يمكن أن يكون في أسرة يتبع مؤسسوها القمع والصراخ والتحقير كأساليب للتربية وتقويم الفعل، وحتى يستطيع المراهق أن يتقبل أباه صديقا له على هذا الأخير أن يؤسس لها في مراحل تسبق مرحلة حاجة المراهق لها وذلك من باب ترسيخ الثقة بين الأب وابنه.

فالأهمية الكبيرة التي تقع على عاتق الاتصال الأسري تكمن في وجود آليات لتوجيه سلوكيات أفرادها دون تغليفها بصبغة الأمر والنهي، ولذلك فعلى الأبوين أن

1- هند فايز أبو العين، **أنصتوا إلى أبنائكم**، الموقع الإلكتروني لجريدة الرأي، عمان، الأردن، الاثنين10 أذار 2008، http//hend-abuenien.blogspot.com تاريخ الاضطلاع، 19 مارس 2008. ب ص.

يتدخلا بشكل فعال في بناء معتقدات أبنائهم بعيدا عن التوجيه والتلقين المباشرين لأنهما لا يسهمان إلا في خلق رفض ورغبة في العصيان عند الابن وبذلك تخلق فجوة بين الأهل وابنهما.

أ- أسباب نقص الاتصال الأسري:

يمكن اختصار أسباب نقص الاتصال الأسري في بعض الأسر إلى ما يلي:[1]

- تباين المستوى الثقافي والعلمي بين أفراد الأسرة يقلل من فرص الاتصال والحوار الأسري ظنا منهم بعدم فهم كل طرف لما يحمله الطرف الآخر من الأفكار والمعتقدات...
- انشغال كل من الأب والأم بأعمالهما ومهامهما بعيدا عن الأبناء والمنزل.
- انعدام الثقة بقدرة الاتصال و الحوار على إحداث النتيجة المطلوبة.
- الجهل بأساليب الحوار الفعالة.
- عدم أخذ الاتصال الأسري والحوار محمل الجد باعتباره في بعض الأسر ترفا زائدا للابن. فبالإمكان الاستغناء عنه وإشغاله بمراجعة دروسه والمذاكرة.
- اختلاف معطيات العصر من جيل إلى آخر، فجيل الآباء يختلف عن جيل الأبناء تماما.
- الاعتماد على القوة من قبل بعض الوالدين وإهمال الجانب العاطفي للأبناء.
- دكتاتورية بعض الآباء التي تجعلهم يرفضون الحوار مع أبنائهم، اعتقادا منهم أنهم أكثر خبرة من الأبناء، فلا يحق لهم مناقشة أمورهم.
- وجود الخادمات في البيوت وإسناد المهام الرئيسية في شؤون الأسرة لهن كالتربية،...
- الترف المادي المتزايد يوما بعد يوم حيث تشكل الهواتف النقالة وأجهزة الكومبيوتر و شاشات السينما جزء من حياة الأسرة، الأمر الذي صرف أفرادها عن الاتصال والحوار الأسري.

1- موقع ناصح للسعادة الأسرية، **ثقافة الحوار الأسري...قراءة واقعية**،11-11- 2007 ، تاريخ الزيارة،20-03-2008. ب ص.

ب- الآثار الناجمة عن نقص الاتصال الأسري:

يعتبر الاتصال الأسري أو الحوار داخل الأسرة من بين الأسس المهمة في بناء الحالة النفسية والمعنوية للأسرة. والمتطلع للسلبيات التي تحدث جراء نقص أو عدم الاتصال داخل الأسرة يدرك أهمية الموضوع وضرورة الالتفاف حوله لأنه تاج كما يقول الباحثين لحل الكثير من المشاكل الأسرية والكشف عن العديد من الأمراض النفسية وحتى الجسدية لأفراد الأسرة ومن بين الآثار السلبية الناجمة عن نقص الاتصال داخل الأسرة ما يلي:[1]

- تفكك الأسرة وانتشار البغض و الحقد بين أفرادها.

- البحث عن بديل. وربما كان الهاوية بالنسبة لأي فرد لا يجد من يستمع إليه فعالم الاستشارات الزوجية يئن من كثرة لجوء كلا من الزوجيين لرفقاء آخرين والسقوط في المحرمات في الكثير من الأحيان سببها العلاقة الأسرية البعيدة عن الحوار، فانجراف الكثير من الشباب إلى الخطيئة سببها تنشئتهم وعلاقتهم غير الحميمية داخل أسرهم حيث لا يجدون فيها من يخاطبهم ويحاورهم ويجيب عن تساؤلاتهم.

- انعدام الثقة بين أفراد الأسرة.

- يؤدي انقطاع الحوار بين الأبوين و أبنائهما منذ الصغر إلى انقطاع صلة الرحم في الكبر.

- إن عدم وجود الأذن الصاغية للطفل داخل الأسرة، تجعله فريسة لرفقاء السوء وذلك لبحثه عن من يستمع إليه ويعبر له عن قيمته وذاته والتنفس عما بداخله.

- معظم الأمراض الجسدية التي تظهر على أفراد الأسرة منشؤها من كتمان الأمور وخاصة السلبيات. فمن المهم عند الأطباء كشف المرض في بدايته حتى لا يستفحل وتصعب مداواته.

- المشاكل النفسية مترتبة عن انقطاع لغة الحوار داخل الأسرة سواء بين الأزواج أو بين الآباء والأبناء، ففي مؤتمر "التربية الوجدانية للطفل بالقاهرة في الفترة 08-09

1- المرجع السابق. ب ص.

أفريل 2006م".خرج المؤتمرون بتوصية أنه لابد من إيجاد لغة الحوار بين الوالدين والأطفال لما لها من مردود إيجابي على التربية الوجدانية للطفل، فانعدام الحوار يجعل الفرد إنسانا معزولا رافضا لشتى أساليب الحوار والمناقشة مع الآخرين في حياته المستقبلية، فيغلب عليه طابع الانطوائية.

ثالثا: أهمية الاتصال الشخصي الأسري في عملية التنشئة الاجتماعية

1- مفهوم التنشئة الاجتماعية:

تعتبر التنشئة عملية اجتماعية تساهم في الحفاظ على تكامل و استقرار واستمرار المجتمع من جهة، كما تساهم في بناء الشخصية الإنسانية وتهيئة الفرد للحياة الاجتماعية.

فمن خلال التنشئة الاجتماعية تبنى شخصية الفرد وينتقل التراث الثقافي والاجتماعي عبر الأجيال، ومن خلالها تنمى قدرات الفرد واستعداداته الفطرية، ويوجه إلى الخير والصلاح أو إلى الشر والفساد... ومع ذلك لا يتوقع منها أن تجعل من الإنسان خيرا محضا أي أن التنشئة لن تمحو استعدادات الفرد للخير أو استعداده للشر أو أي ركيزة من ركائزه الفطرية.

أ- تعريف التنشئة الاجتماعية:

عرفها معجم العلوم الاجتماعية بقوله: "التنشئة الاجتماعية هي إعداد الفرد منذ ولادته لأن يكون كائنا اجتماعيا وعضوا في مجتمع معين."[1] ويقول حامد عبد السلام زهران:" إنها عملية تعلم وتعليم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى إكساب الفرد، طفلا فمراهقا فراشدا فشيخا سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي، وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية."[2]

1- مجموعة من المؤلفين، **معجم العلوم الاجتماعية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص 184.

2- حامد عبد السلام زهران، **علم النفس الاجتماعي**، عالم الكتب القاهرة، مصر، الطبعة الخامسة، 1984، ص 213.

كما يعرفها فليب ماير في قوله: "التنشئة الاجتماعية هي عملية غرس المهارات والاتجاهات الضرورية لدى النشء ليلعب الأدوار الاجتماعية المطلوبة منه في جماعة أو مجتمع ما. "[1]

وتهدف التنشئة الاجتماعية إلى إكساب الأفراد في مختلف مراحل نموهم (طفولة، مراهقة، رشد، شيخوخة) أساليب سلوكية معينة تتفق مع معايير الجماعة وقيم المجتمع، حتى يتحقق لهؤلاء التفاعل والتوافق في الحياة الاجتماعية وفي المجتمع الذي يعيشون فيه، وعملية التنشئة الاجتماعية تتم من خلال عمليات التفاعل الاجتماعية فيتحول الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، مكتسبا الكثير من الاتجاهات النفسية والاجتماعية عن طريق التعلم والتقليد، مما يطبع سلوكه بالطابع الاجتماعي. ويقوم المجتمع بدور هام من خلال عملية التنشئة الاجتماعية يتمثل في تشجيع وتقوية بعض الأنماط السلوكية المرغوب فيها والتي تتوافق مع قيم المجتمع وحضارته... في حين يقاوم ويحبط أنماط أخرى من السلوكيات غير المرغوب فيها.

كما أنها تهدف إلى غرس عوامل ضبط داخلية للسلوك، توفير الجو الاجتماعي الملائم، تحقيق النضج النفسي، تعليم الفرد المعارف والمهارات والقيم التي تمكنه من الاندماج في المجتمع، تنمية القدرة على الاعتماد على الذات في تلبية الحاجات بالطرق المقبولة اجتماعيا.

ب- آليات التنشئة الاجتماعية:

تعتمد أساسا على التقليد، الملاحظة، التوحد (وهو تقليد لا شعوري للنموذج المقلد)، الضبط، الثواب والعقاب.

2- **خصائص التنشئة الاجتماعية**: هناك عدة خصائص للتنشئة الاجتماعية نذكر منها:[2]

1- زكي إسماعيل، **انتربولوجيا التربية**، الهيئة المصرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، 1980، ص 121.

2- محمد الصدوقي، **التنشئة الاجتماعية**، سلسلة تربويات، العدد الأول، السبت 24 تشرين الثاني 2007.

- عملية نمو: حيث تنمو بنمو الطفل من كائن بيولوجي يتحكم في سلوكه وحاجاته الفيزيولوجية، إلى فرد ناجح متحرر إلى حد ما من دوافعه، فيصبح متحكما في انفعالاته ونزواته محاولا التوفيق بينهما، وبين مطالب البيئة الاجتماعية.

عملية دينامكية: لأنها حركة وتفاعل مستمران بين الأفراد وبين الفرد والجماعة التي ينتمي إليها، وهي عملية مستمرة، فهي سلسلة متصلة ومتتابعة من تغيرات تنطلق من الطفولة وتستمر إلى مراحل أخرى من حياة الفرد.

عملية تعلم اجتماعي: حيث يتيح للفرد من خلال فرصة التفاعل الاجتماعي اكتساب الكثير من الخبرات والاتجاهات النفسية.

كما أن هناك بعض المعطيات التي تؤثر سلبا في التنشئة الاجتماعية منها: الصراع بين مكونات الجهاز النفسي للفرد، تجريد الفرد من أدواره الاجتماعية الانعزالية والانطوائية، الطرق التربوية الخاطئة، عدم استقرار والتوازن العائلي، المرض والحوادث، الانفعالات الحادة،...

2- أهمية الاتصال الأسري في عملية التنشئة الاجتماعية:

تتحكم الاتصالات الأسرية في عملية التنشئة الاجتماعية كعملية اجتماعية، تربوية، اتصالية، وذلك من خلال الاتصالات السائدة بين أفراد الأسرة والمتمثلة في الاتصالات بين الآباء والأبناء، وبين الأب والأم وبين الإخوة.[1]

فالأسرة من أولى المؤسسات التي تشارك في تشكيل قيم الطفل ووعيه واتجاهاته سواء سلبا أو إيجابا. فعن طريق الأسرة يكسب أيضا المعايير الخاصة بالأسرة التي تفرضها هي عليه، وبذلك تصبح الأسرة وسيلة المجتمع للحفاظ على معاييره وعلى مستوى الداء المناسب لتلك المعايير. وهذه الأخيرة لها أثرها الفعال في تعديل السلوك الاجتماعي للفرد، وفي تحديد مسار التنشئة.[2] وينشأ الطفل تحت رعاية والديه واهتمامهما اليومي والمستمر والذي يقوم على الاتصال الشخصي بهما.

1- سعيدة عزوز، مرجع سبق ذكره، ص 77.

2- فؤاد البهي السيد، **علم النفس الاجتماعي**، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1985، ص 188.

وللوالدين دور مهم في عملية إكساب الطفل الاتجاهات والأحكام فباتصال الأم بطفلها منذ ولادته وتلبية الحاجات الطبيعية لديه (الرضاعة) يتيح لها فرصة الاتصال الجسمي والعاطفي بابنها كما يساعده على النمو الاجتماعي، فاحتكاك الصغير بأمه يبدأ منذ لحظة ولادته وبالتالي يعد موقف المولود مع أمه أول موقف اجتماعي يواجهه. ويرى الكثير من علماء النفس أن "أساس الصحة العقلية والنمو النفسي والاجتماعي السليم للصغير هو ممارسة أو عقد صلات حارة حميمية ودائمة بأمه وهذه الصلات الأولية بين الصغير وأمه هي التي تحدد الشكل الذي تكون عليه صلاته بأبيه وأشقائه وكذلك صلاته الاجتماعية خارج الأسرة. "[1]

كما أن اتصالات الأب بابنه خاصة في المراحل الأولى من عملية التنشئة الاجتماعية تساعد الصغير على التكيف الاجتماعي، وعلى اكتساب شخصية سوية والاندماج في وسط الرجولة، فلقد أكدت الكثير من الأبحاث على أهمية اتصال الصغير بوالده وأثر ذلك على عدم تكيفه اجتماعيا، فلقد دلت نتائج البحث الذي قام به الباحث آندري André أن نسبة كبيرة من الأطفال الجانحين كانت الصلات بينهم وبين آبائهم غير طبيعية بصورة لا تساعد على النمو الاجتماعي السليم للصغير، في حين كانت اتصالات هؤلاء الصغار بأمهاتهم طيبة.[2]

ويتعلم الطفل من والديه سلوكياته واتجاهاته ويبني أحكامه، دون توجيه أو إرشاد مباشر ولكن من خلال ثلاث عمليات أساسية هي:[3]

المحاكاة، الارتباط، والتدعيم. حيث يميل الطفل إلى تبني الاتجاهات السائدة في بيته، ويقوم بملاحظة سلوك واتجاهات والديه، ويلتقط عديدا من الإشارات غير اللفظية ويستخدمها في المواقف الاجتماعية المختلفة، ويحاكي سلوكهم، ومن خلال الملاحظة والاتصال المباشر يقوم بالربط بين السلوكيات التي تؤدي إلى نتائج إيجابية أو سلبية، والنتائج الإيجابية التي تؤدي إلى نوع من الإثابة الاجتماعية الداخلية،

1- زيدان عبد الباقي، **وسائل وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية و التربوية والإدارية والإعلامية**، ص 169.

2- المرجع السابق، ص 167.

3- فؤاد عبد المنعم، مرجع سبق ذكره، ص 114.

ولذلك فهي السلوك والاتجاه، ويقول الباحث بياجيت Piaget إذا ما حقق الطفل نوعا من الإرضاء الداخلي نتيجة قيامه بسلوك ما، فإن هذا السلوك يتم تدعيمه وبالتالي فإنه سيميل إلى تكراره.[1]

كما أن لعامل القدوة تأثيرا بالغا في تنشئة الطفل، فالطفل لا يستطيع أن يتصرف بشكل يتوافق مع اتجاهات الغير وقيمهم، إلا إذا تبنى تلك القيم والاتجاهات كخطوة أولى ليجاري كبار الأسرة.[2]

وبالتالي فالاتصال بين الأبوين ينعكس أيضا على الاتصالات الصغير بوالديه فاستقرار الاتصال بين الأبوين وتكييفها العائلي يساعد التكيف الاجتماعي للطفل والنمو النفسي، في حين أن غياب الاتصال الجيد واستمرار المشاحنات والمنازعات والسلوك العدائي يجعل من السهل على الصغير أن ينحرف عن السلوك الاجتماعي القويم.

وأهم المزايا التي تتميز بها الأسرة إلى جانب أنها الوحدة الاجتماعية المسؤولة عن التنشئة، وأنها الجماعة الأولية والمرجعية التي تتفاعل مع الطفل وجها لوجه أنها تقف كوسيط فعال يستخدمه المجتمع في توصيل التراث الثقافي من جيل إلى جيل وذلك عن طريق الاتصال.

ومن أهم المهام والأدوار الأساسية التي تقوم بها الأسرة أيضا أنها عملية غرس القيم وذلك عن طريق الاتصال المباشر بين أفراد الأسرة: اتصال الأب أو الأم أو الجد أو الجدة أو الإخوة بالطفل. وترجع أهمية القيم في أنها من أهم الدوافع المحركة لسلوك الطفل فيقول الباحثين في علم النفس أن كل سلوك ناتج عن معتقد والمعتقد ناتج عن قيمة يؤمن بها ذلك الفرد أو تلقاها في تنشئته كما أن لها دورا فعالا في تكامل شخصية الفرد. واتساق نظم القيم لدى الفرد يعني أنه ذو شخصية سليمة، بينما

1- المرجع السابق، ص 114، نقلا عن،
David D Sears & Others, **Social psychology**, USA, Prentice Hall, 1985,p 407.

2- نجيب اسكندر، وآخرون، **قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية**، القاهرة، مصر، 1962، ص 32.

تؤدي الصراعات في نظامه القيمي إلى اضطرابات عصيبة. لذلك فهمة الأسرة هامة وحيوية في إكساب الطفل قيمته التي ستؤثر في سلوكياته، والبعد عن التناقض و الصراع، فالقيم تكتسب خلال عملية التنشئة وهي عملية تستغرق وقتا طويلا. وتكون طريقة غرس القيم حسب توعها، فهناك طريقتان:[1]

1- نوع يغرس بطريقة مباشرة عن طريق التعليم والتلقين والتوجيه مثل: الصدق وحب الوطن والفضائل المختلفة.

2- نوع آخر يغرس ضمنيا بطريقة غير مباشرة حيث يتعلمها الطفل ويمكنه اكتسابها أو استنباطها من البيئة المحيطة به.

- خلاصة:

حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية إبراز أهمية الاتصال الشخصي الأسري في التنشئة الاجتماعية لأرادها من خلال غرس القيم والسلوكيات التي نشأ عليها الآباء ضمن جماعتهم الاجتماعية، خاصة تلك التي تتميز بعادات اتصالية راقية حيث تكثر الزيارات الأقاربية والاجتماعات العائلية والجلسات الأسرية فيجد الفرد ذلك الحنان والشعور بالانتماء العائلي، فيكتسب من خلالها مهارات الاتصال والحوار والنقاش وتبادل الآراء، و بالتالي اكتساب المعارف خاصة إذا تعلق الأمر بالجلسات مع الآباء والأجداد في الأسر الممتدة، كما حاولنا إبراز أخطار نقصه على مكونات الأسرة بمختلف أعمارهم، خاصة منهم الأولاد وآثار ذلك على تنشئتهم الاجتماعية.

1- فؤاد عبد المنعم، مرجع سبق ذكره، ص 115.

République Algérienne Démocratique et populaire
Ministère de l'Enseignement Supérieur Et de la Recherche Scientifique
Université de Ghardaïa
Laboratoire de L'histoire et Civilisation musulmane

Revue

Rawafid

Pour les Recherche et les études

,Périodique international à Comité de lecture
Editée par le Laboratoire de L'histoire et Civilisation musulmane
Université de Ghardaïa- Algérie

Volume : 3 - N° : 02

Rabi al-Thani 1440 / Decembre 2018

P: ISSN: 2543-3563
E: ISSN: 2588-1787